لعنة الذاكرة

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: لعنة الذاكرة
اسم المؤلف: مارينا جمال
التدقيق اللغوي: عاطف حمدي
تصميم الغلاف: محمد دربالة
الإخراج الداخلي: خالد محمود
رقم الإيداع: ١٩٨٣٣ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٧٢-١-٣

مسار للنشر و التوزيع
ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية
01020439639
massar.pub1@gmail.com

لعنة الذاكرة

مارينا جمال

مسار
للنشر والتوزيع
Masaar publishing & Distribution

إهداء

إلى جدى الحبيب.. شمسي التي رحلت ولكن دفئها سيظل يحاوطني.. كنت وستبقى صديقي الإستثنائي وحب حياتي الأول.. أحبك كثيرًا وأفتقدك.

إلى طفلتي ايلينا :بريق الشمس" التي تكفيني إبتسامتها لتنير أيامي.

إلى زوجي الغالى.. دمت الحبيب والصديق، رفيق دربي ونصفي الآخر الذى يكملني بأختلافه، مصدر تشجيعي لتظهر تلك الرواية للنور..

إلى الساعين نحو شغفهم.. كثيري الأحلام.. الراكضين بأصرار في طريقهم الخاص.. أصحاب التفكير الزائد والتفاصيل الكثيرة والقلوب الكبيرة .. أهدي أليكم كتابي.

دفتر قديم

ذكريات الطفولة تلك الذكريات التي بالرغم من كونها أبسط جزء من الماضي ستبقى دائماً هي الحقيقة الوحيدة الراسخة في أذهاننا...تلك الحقيقة التي تخبرنا عن شخصيتنا الأصلية عن ذاتنا و أحلامنا.

حتى وإن بدل الزمن شعر رؤسنا إلى الأبيض وشاخت أجسادنا ستبقى تلك الذكريات لتؤكد لنا أنه يوجد هناك تلك الروح لهذا الطفل الذي بداخلنا.

أعوامنا الأولى..السنوات البسيطة التي تكون أكبر مسئوليتنا بها حل مسائل الرياضيات وأكبر مخاوفنا فقدان لعبتنا المفضلة...بعضٌ منّا في هذه المرحلة يحظى بالكثير من اللحظات السعيدة والبعض الآخر تكون تلك السنوات بالنسبة له جرح عميق مليء باللحظات الصعبة.

في عامه العاشر تلك كانت البداية بالنسبة له فـعلى عكس جميع من كانوا في مثل عمره بسبب حادثة قد مرّ بها فقد "جود" جميع ذكرياته فيما قبل تلك السنة.

وهذا قد جعل منه شخصًا قليلًا ما يتحدث..كانت متعته الوحيدة في الجلوس منفردًا يستمع إلى موسيقى ويقرأ الكتب والروايات خاصةً مؤلفات دوستويفسكى، إجاثا كريستى، نجيب محفوظ وصلاح جاهين

لكن كان لتشيخوف تاثيرًا كبيرًا بداخله فهو بمثابة الأب الروحي له.

ظل يتردد في أذنه بين الحين والآخر لحن غامض بصوت غير مألوف..كان يشعر أن لذلك علاقة بذكرياته الضائعة فحاول مرارًا و تكرارًا أن يتذكر ذلك المجهول ولكن محاولاته بائت بالفشل فرجح أن تلك السنوات الضائعة لم تكن بذات الأهمية ليستطيع تذكرها فقرر أن يطويَ صفحاته القديمة مستمرًا في النسيان وأن يبدأ حياته من بعد تلك المرحلة.

***

ولابد أن نلتقي(رب صدفة خير إن شاء الله)

مرّت الأعوام وأصبح جود كاتبًا مشهورًا له قرّاءه الذين ينتظرون إصداراته في شغف وترقب وكثيرٌ من النقاد الذين يهتمون بتحليل مؤلفاته والتحدث عنها ولكن كان هناك شيء ما يمنعه من الشعور بالنجاح ربّما لأنه حبس نفسه بداخل اسم مستعار متخفيًا عن الأنظار يشاهد الأحداث من خلف نافذة زجاجية يرى الجميع ولكن لا أحد يستطيع أن يراه و كأنه شبح.

في تلك الفترة كانت الأفكار تهرب منه لا يستطيع أن ينهي أكثر من صفحة في اليوم الواحد فبات مشتت الذهن لذا قرر أن يذهب في رحلة خاصة كعادته حتى يستريح قليلًا و يرى أماكن مليئة بأشياء جديدة وأشخاص لا يعلمون عنه شيء سوا انه شخص غريب مهما تغير أو احتدت غرابته لن يهتموا فهم لن يروه مجددًا.

أهلًا ومرحبًا بكم على الخطوط الجوية برجاء ربط أحزمة الأمان..

استيقظ جود مدركًا أنهم على وشك الهبوط فرد ذراعيه جانبًا محاولًا الاستفاقة من آثار النوم التي دائمًا ما تتملكه في سفرياته بسبب دوائه اللعين حتى قاطعته هى بنبرتها الدافئة:

-صباح الخير

نظر لها رافعًا أحد حاجبيه في تعالٍ:

-حضرتك تعرفينى ؟

لتجيبه في ذهول:

-لا

التقط نظارته الطبية واستمر في استجوابها أثناء تلميعه لعدساتها:

-أمال بتتكلمي معايا ليه؟

نظرت له نظرة مطولة تريد استكشافه بها فهي مرتها الأولى في ملاقاة شخص غامض وحاد الطباع هكذا و لكن ما زاد حيرتها ملامحه المميزة وجهه النحيف والطويل بجبهة تملؤها القسمات العريضة و يضفي اللون القمحي على بشرته هالة من الغموض تكملها ذقنه السوداء المشذبة بالكثير من الأسرار..عيناه البنية بها بريق غريب لا تبدو خلفها السعادة حاولت قراءتها ولكنها كالأحجية الفرعونية القديمة بداخل المعبد ليس مقدر لأي شخصٍ أن يصل إليها ويفك طلاسم شفرتها..

لو كان أسلوبه أفضل مما هو عليه لامتدحته على ذوقه الفريد في انتقاء ملابسه فهي تعشق كثيرًا ذلك الأسلوب كنزة صوفية سوداء أسفلها قميصًا ناصع البياض وساعته الإيطالية الفخمة بلونها السيلفر جعلتها تفكر في محاولة اقتناء مثلهم في أقرب فرصة فشغفها بأحدث صيحات الملابس الرجالية قد يصل بها إلى حد شراء بعض الأشياء لاقتنائها وربما لارتدائها.

انهت شرودها وظلت تتمتم بصوتٍ خافتٍ وهي تطوي المجلة التي بيدها حتى تحولت إلى أنبوب رفيعٍ وكأنها تستعد للقتال معه "كائن مغرور وقليل الذوق مش كفاية إنه نام على كتفي طول الرحلة من غير كلمة شكر واحدة"

فالتفت إليها قائلًا:

-بتقولى حاجة؟

أجابته وهي تصر فوق أسنانها:

- ولا حاجة، ولكن بداخلها تريد أن توجه له بعض اللكمات ولكنها اكتفت برمقه بنظرة حادة مطولة وهي تستعد للخروج من الطائرة.

استمعت لصوته من خلفها فاعتدلت رافعة أحد حاجبيها في ثقة:

-أعتقد إنك قلت إننا ما نعرفش بعض بتكلمني ليه دلوقتى؟!

ابتسم ساخرًا:

-ومين قالك إني عاوز أتكلم معاكِ أنا محتاج أعدي وأنتِ سديتي الطريق.

شعرت بالإحرج قليلًا فنكست رأسها إلى الأسفل في غضب متمتمة:

-ياربى إيه الإحراج ده.

القدر تلك الكلمة الغامضة لما تحويه من تأثير سحري على نفوسنا.. فهي دائمًا تخبيء لنا الكثير؛ لتفاجئنا به ذلك المجهول الذي لا نعلم عنه شيء ولا نستطيع سوى أن نتخيله كما نتمنى، أما أن يأتي مثلما تأملنا أو يفاجأنا بعكس ما توقعنا وتلك هي جاذبية القدر إنه مليء بالأسرار الخفية.

لم يكن يدري كلٌّ منهما أن تلك الصدفة التي جمعتهم خارج وطنهم هو لقاء قدرى..ذهب كلٌّ منهم في طريقه؛ ظنًا أنها مجرد مقابلة عابرة ولكن كان للقدر رأي آخر.

***

"أه أنا وصلت على آخر الأسبوع هكون خلصت الجزء الأخير في الكتاب وهبعتهولك أنتَ عارف إني مش بعمل مقابلات مع الإعلام يا أستاذ منصور بلغهم رفضي وأنا آسف مش هبقى متاح للتواصل اليومين دول عشان أقدر أجمع طاقتى وأخلص آخر جزء لو في أي حاجة مهمة بلغني بيها على الإيميل".

أنهى محادثته وقام بالفعل بغلق هاتفه وكأنه يحاول الهرب من عالمه مانعًا أي وسيلة ما من الممكن أن تربطه به.

برغم مزاجه الحاد وأسلوبه المقتضب كان أستاذ منصور ذلك الرجل الذي منذ أن تراه تستطيع أن ترى من خلف نظارته الطبية الصغيرة ولحيته البيضاء كالثلج أنه تخطى عامةً الستين بالفعل، حجمه الضئيل وأكتافه المنحنية التي تعكس رحلته الطويلة في تلك الحياة ولكنه كان دائمًا لديه القدرة على التكيّف والتعامل بحكمة مع جود فما يربط بينهما أكبر بكثير من كاتب ورئيس تحرير فقد كانت أشبه بعلاقة أبويّة روحية وصديقه الأكبر خبرة وعمرًا، العلاقة التي كان جود دائمًا بأشد الحاجة إليها، فبعد وفاة زوجته وابنه الوحيد منذ عشرة أعوام قد كرس أستاذ منصور حياته من أجل كتابة ونشر ما يؤمن به فقط وكان يرى بداخل جود شيئًا يشبه روحه الحرة وشغفه الدائم المنعكس بداخل عينيه نحو حلمه.

بعدما أنهى مكالمته ارتدى معطفه البني وأحكم وضعية كوفيته الصوف الكبيرة بلونها العسلي وغرزتها البارزة المميزة حول عنقه مغلقًا بوجه الهواء أي فرصة من الممكن أن تتسلل منها وأسرع في التقاط سيارة تقله إلى المنزل فهو يكره كثيرًا فصل الشتاء ولا يستطيع تحمله.

Taxi

وجدته فجأة أمامها مرة أخرى فصاحت في دهشة:

-أستاذ مغرور!

أجابها بنظرة حادة توحي بأن تسحب ما قالته:

- نعم!!

فتصنعت ابتسامة صغيرة لتبدو وكأنها تمزح:

-قصدى أستاذ الطيارة.

تلك المصادفات العجيبة التي فجأة تجمعك بشخص غريب والمواقف التي تتكرر في وقت قصير وكأنها مرتبة بإيديّ خفية تجعلك تسأل نفسك ...من هذا الشخص؟!!

أصرّ الاثنان على الدخول من باب السيارة فارتطمت رؤوسهم ببعض معلنة اعتراضها عن تلك التصرفات الصبيانية.

صرخت في وجهه وهي تمسك برأسها من شدة الارتطام:

-أنا إللي شاورتله الأول..أنتَ ممكن تشوف أي تاكسي تاني.

وجدته قبل أن تنهي كلماتها قد قفز في لحظات إلى السيارة وأغلق الباب قائلًا لها بلهجة مليئة بالغرور:

-إيه إللي يثبت إنك إللي وقفتيه الأول..وليه ماتشوفيش أنتِ تاكسي تاني؟

انطلقت السيارة تاركة إيّاها خلفه..ظلّت تركل الرصيف كي تنفس عن غضبها وهى تهمس ببعض الكلمات متوعدة له.

بدأ المطر في السقوط ليكمل دوره في تلك اللحظة القدرية معلنًا

عن بداية مرحلة جديدة ومختلفة مليئة بالمغامرات، المطر دائماً ما يكون له تأثير سحري ومميز بداخلنا تلك القطرات التي تسقط على الأرض وكأنها تتساقط في أعماق نفوسنا لتحفر لها علامات جديدة أو لتزيح الأتربة من على تلك العلامات القديمة المحفورة بداخلنا فنعود لنراها ونرى كيف تغيرنا وكيف غيّرت فينا الحياة.

ذلك الهواء القوي يأتي ليبعثر جميع الأوراق بعقولنا فنجد صفحات من الماضي تهمس في آذننا والنسمات المحملة بقطرات الماء وكأنّها تغسل كل ألم ويأس..فنغلق أعيننا للحظات متخذين نفسًا عميقًا وكأننا نريد أن نسحب كل الهواء النقي من حولنا لنجدد به روحنا المنهكة.

شعرت فريدة بندى قطرات الماء على وجهها فمدت يدها لتجمع القليل منهم بين يديها وهي تقفز كالطفلة الصغيرة فاللعب تحت المطر شعور طفولي ممتع بالنسبة لها لن يتغير مع مرور الزمن.

بسبب سوء الأحوال الجوية تعطلت حركة المرور لإغلاق بعض الطرق في تلك اللحظة لفت انتباه جود في مرآة السيارة ما تفعله فظل يتابعها:

-دي بتلعب!..كويس إني ركبت العربية في الوقت المناسب..المطر ده شيء مستفز.

ظلّ موجهها نظرة لها في دهشة من قدرتها على الصمود في هذا الطقس الشديد البرودة متأملاً القميص الأحمر ذو المربعات السوداء وبنطالها الجينز الفاتح وحذاء أبيض رياضي ما يطلقون عليه " كوتشي"

من يراها أمامه للوهلة الاولى ربما يخطيء ويعتقد أنها فتاة في عامها الأخير من الثانوية ربما لضئالة حجمها وضفيرتها البنية الطويلة بقامتها القصيرة وملامح وجهها الثلجي الطفولي ذا الوجنيتين المتوهجتين كالتفاح في أوان حصاده ولكن نظرة عينيها العسلية المتوهجة مليئة دائماً بالحماس تشعر معها وكأنك أمام كتلة متحركة من الطاقة بدأ فضوله في ملاحقة أفعالها:

-هي هتفضل تلعب في الجو ده كتير كدة ممكن تعيا المجنونة دي... ما علينا هي حرة كلها دقايق والطريق هيفتح ومش هشوفها تاني.

عندما يبدأ ذلك الصراع بين القلب والعقل ونصبح في حيرة نفعل أم لا..نذهب أم لا، عندما يبدو القلب في حالة جنون ونجد أنفسنا نفعل أشياء عقلنا لن يقبلها ولم نكن معتادين على فعلها في السابق..تلك تكن البداية فقط البداية.

شعر بالغباء مما سيفعل فهو عادة لا يهتم لأمر أحد ولكن شيء بداخلة يصر على ذلك

-أنتِ ياااا hey

تلفتت يمينًا ويسارًا ترى من الشخص الذي يتحدث إليه ولكنها كانت الوحيدة الموجودة في تلك اللحظه فشعرت بشيء من الغرابة أشارت بيدها على نفسها:

-حضرتك بتكلمني؟!

أخرج رأسه من النافذة وأجابها بنصف ابتسامة مليئة بالسخرية:

-إيه الذكاء الخارق ده أمال بكلم نفسى يعني؟!

كانت تستشيط غضبًا من طريقته المتعالية أتخذت شهيقًا وزفيرًا بصوت مسموع محاولةً في السيطرة على غضبها:

-اللهم طولك يا روح مع الكائن المغرور ده.

لكنة لم يبالِ تلك المرة لتمتمتها مستكملًا حديثه:

-المطرة شكلها هتزيد والطريق مقفول يعني مش هتلاقي تاكسي بسهولة تعالي اركبي والتاكسي ممكن يوصلنا إحنا الاتنين.

شعرت في تلك اللحظة إنها إن استجابت لطلبه سيكون قد انتصر عليها عقدت زراعيها أمامها ونظرت إلى الأعلى في ثقة وثبا:

-لا اتفضل حضرتك أنا هستنى تاكسي تاني.

فتراجع عن عرضه محترمًا رغبتها وقبل أن يهمّ في الانصراف عاد إليه مجددًا ذلك الألم الشديد فحاول جاهدًا السيطرة عليه ولكن هذه المرة تردد في أذنه ضحكات أطفال(أنا إللي هسبقك يا جود...حاسب هتقع استنى).

كانت هذه مرته الأولى التي يستمع فيها إلى أصوات بداخله وكأن المطر ذكّره بأشياء مفقودة، عادة إلى ما كان يحدث ذلك إلا عندما يواجه موقفًا يضعه تحت ضغط نفسي كبير ولكن الأمر مختلف هذه المرة.

كانت دائمًا أكثر لحظاته ألمًا وحرجًا حين يحدث ذلك وهو بالخارج لما يسببه له من إحراج لذا كان يحاول دائمًا أن يبقى في المنزل لكي يتجنب أن يراه أحد فينظر إليه وكان لديه وباء خطير.

ابتدأت جميع أطرافها تتحول إلى اللون الأبيض من شدة برودة الطقس وخربت قطرات المطر تسريحتها المنسقة فأصبح جزءًا كبيرًا منه فوق جبهتها وما تبقى في موضوعه مليء بالماء كأنها خرجت للتو من حمام السباحة:

-هي مالها بردت كدة ليه .. استنى استنى أنا هركب.

نظر لها في تسائل وهو يراها تصعد بجانبه قائلة:

-مين حضرتك؟

شعرت أنه يحاول التخلص من عرضه السابق نظرت إلى النافذة متمتمة:

-عمال يهزئني من الصبح وجاي دلوقتي يقولي مين حضرتك.

ثم استدارت إليه فجأة ووجهها مليء بالغضب المزين بابتسامة مليئة بالتوعد:

-أنا إللي كنت قاعدة جمب حضرتك في الطيارة شكلك عندك زهيمر يا عيني.

-أه أهلًا بكِ حضرتك رايحة فين عشان أخلي السواق يوصلك

الأول.

رفعت حاجبيها في دهشة من تحوله المفاجيء متمتمة:

-هو ماله بقى ذوق كدة ليه مرة واحدة أنا هبدأ أقلق.

حاولت طرد تلك الأفكار الدرامية من ذهنها وخرجت بطاقة صغيرة من جيب معطفها الجلدي قائلة:

-ده العنوان إللي أنا رايحه عليه.

-دى مجلة كبيرة حضرتك بتشتغلي هناك؟

-إيه ده أنتَ تعرفها أنا من الفرع بتعهم إللي في مصر وعندي اجتماع هنا في الفرع الرئيس.

-أه عشان حدث الذكرى العشرين على المجلة.

شيء من القلق ابتدأ في التسلل إليها كيف من الممكن أن يكون لديه ذلك الكم من المعلومات والأهم كيف أن تكون هذه الصدف وهنا بالخارج، صمتت للحظات ثم سألته مباشرةً:

-أنا ملاحظة إن حضرتك عندك معلومات كتيرة عن المجلة هو حضرتك مين؟!

ابتسم لما قرأه في عينيها من فزع فحاول طمأنتها:

-أنا متابع لمجلتكم أو تقدري تقولي من القراء.

-ويا ترى بقى حضرتك يا أستاذ متابع بتشتغل إيه؟

-أنا يا ستي عازف كمنجة.

تفحصته بعينيها من الأعلى إلى الأسفل وكأنها تحاول تصديق ما قاله:

-واوو كمنجة مع إن شكلك مايقولش كدة خالص.

انفجر ضاحكًا من تصريحها:

-للدرجادي أمال شكلي يقول إيه؟

تنحنحت حرجًا بعدما أدركت اندفاعها:

-آسفة أنا استغربت بس مش قصدي إللي أنت فهمته أنا قلت من أسلوبك الحاد وكلماتك القليلة إنك محاسب أو محامي شخص عملي ملوش في الهزار أو الكلام أو التعامل من أصله.

-كل ده مرة واحدة، آسف لو كان أسلوبي ضايقك أو قلت حاجة ضايقتك ومرسي إني اتعرفت عليكِ.

تملكها الندم من حكمها المتسرع:

-أنا إللي آسفة عشان أخدت انطباع غلط عنك ومرسي إنك وصلتني الأول.

هناك أشخاص مقدر لهم أن يكونوا الأبطال الرئيسيين في قصة حياتنا حتى وإن تأخر مجيئهم، ستبقى دائمًا لحظة عثورنا عليهم هي البداية الحقيقية لحياتنا وسنكتشف أن كل ما مررنا به ليس أكثر من سنوات انتظار.

أحيانًا ما نعتقد أنه النهاية تكون فقط هي نقطة البداية.

***

بعدما انهت كل الأمور المتعلقة بتحضيرات الذكرى العشرين بالمجلة والجانب الكبير من التحديات التي تواجهه خاصةً بعد حصولها على منصب نائب رئيس التحرير للفرع الرئيسي للمجلة في مصر بالرغم من صغر سنها .. ذلك جعلها أكثر تركيزًا وقلقًا من وجود أي تقصير أو أخطاء في العمل فبالنسبة لها لم تكن مجرد وظيفة لكنها كانت حياتها التي تتنفسها..كل ما مرت به وقاسته في حياتها جعلها تضع كل طاقتها وأوجاعها أمام أعينها ليحفزوها على التقدم إلى الأمام في مجال الإعلام هذا الحلم الذي كثيرًا ما كان يراودها وكان يهون عليها.

حياتها المليئة بالأحداث الصعبة حينما فقدت الحب الأسري وأصبحت يتيمة الأم والأب في مرحلة الإعدادية لتكبر برفقة جدتها.

في وسط كل تلك الأحداث والتطورات التي مرّت بها كانت تجد من حلمها جسر يعبر بها إلى عالم آخر وكان ذلك يزيد من قوتها وتخطيها للتجارب والأحداث.

مرّ أول يومين سريعًا وتمت المهمة بنجاح أكثر مما توقعته..كانت تمشي تقفز في الشارع كالطفلة الصغيرة تخطو قفزًا فوق حافة أحد الأرصفة ثم تدور حول نفسها و شعرها البني المنسدل يتطاير حولها فترى فستانها الأسود القصير يحلق معها وتضفي ورداته الحمراء الصغيرة بنهاية أطرافه عالم سحري كوردة حمراء تتراقص فرحًا في ليلة هادئة بداخل

أحد الحقول.

ظلت هكذا طوال طريق عودتها إلى الفندق من شدة السعادة والتحدى الذي كانت تشعر به، وقفت فجأة في منتصف الشارع والساعة قاربت على منتصف الليل فاتحة ذراعيها إلى السماء وهي تصيح بصوتٍ عالٍ يخترق هدوء هذه المدينة...

I am here I can do it

"فتفاجأت بصوت ضحكات عالية أدخلت الرعب إلى قلبها لتجد نفسها أمام مجموعة من المجرمين الذين يتسكعون في تلك الأوقات بشرتهم سمراء وأعينهم جاحظة يرتدون سترات سوداء دون أكمام تبرز عضلاتهم المفتولة وسراويل جينزبها بعض القطع المهتراه أحدهم لديه وشم مخيف لجمجمة فوق ذراعه ويرتدي كابًا صوفيًا أسود والآخر يضع شيئا كالعصا الخشبية بين أسنانه الشديدة الاصفرار وثالثهم حليق الرأس لديه ندبة كبيرة في مقدمة رأسه وحلقة معدنية صغيرة معلقة بإحدى حاجبيه اقتربوا إليها وهم يحاولون إخافتها واستمالتها لتأتي معهم بإنجليزيتهم السوقية..للحظة وجدت نفسها لا تدري ماذا تفعل هل تصرخٍ طالبة النجدة فالوقت متأخر ولا أحد بالشارع فمن سيساعدها، إذًا هل تجري فارة منهم ولكنها مهما ركضت لن تقدر أن تفلت من مخالبهم الوحشية وفي وسط تلك الأفكار الحائرة ودموعها تنهمر خوفًا ويأسًا لمحت شخصًا وكأنه بطلها الخارق الذي أتى في الوقت المناسب لينقذها فصرخت:

-يااااا أنا معرفش اسمه إيه ... يا أستاذ الطيارة يااا من فضلك الحقني.

فنظر لها من الجانب الآخر من الرصيف واضعًا يديه بداخل جيوب سترته الجلدية السوداء دون أن يعيرها أدنى اهتمام، فحاولت أن توقفه مستنجدة:

-من فضلك الحقني منهم أنا خايفة و....

فقاطع كلامها:

-وأنا مالي أنتِ خايفة ولا مش خايفة أنا مقدرش أتخانق معاهم أنتِ مجنونة عن إذنك.

فاسدلت رأسها بعد شعورها بالخزيان والترك وأجهشت في البكاء وابتدأ هولاء المخيفون من الاقتراب منها فانطلقت فارة لتحاول محاولة يائسة وهي تصرخ صرختها الأخيره

تجدد ذلك الصوت بداخله مرة أخرى ليستمع إلى صرخات طفلة صغيرة في أذنه ""انقذني""

تعالت الأصوات بداخله حتى سقط على الأرض محاولًا الضغط بيديه فوق أذنيه لينهِ صوت الطنين المزعج شعر بدوار شديد للحظات ثم استفاق على صرخات من حوله لم يستطع تحديد مصدرها حتى أدرك أن تلك الأصوات المستنجدة لفتاة فانطلق مسرعًا إليها.. فوجدها مقبلة نحوه بعينين زائغتين وأنفاس مرتعشة تركض حافية القدمين محتضنة

حذائها الأحمر بين يديها في محاولة للهرب منهم وهي تبكي مثل طفلة صغيرة ضائعة.

-أنا هحاول أشغلهم اجري أنتِ يلا بسرعة.

مرّ وقتًا طويلًا وهي مختبئة خلف سيارة فضية في نهاية الشارع المقابل لا تعلم ما يحدث حتى سمعت بعد فترة ليست بقليلة من خلفها أنفاس متقطعة قائلة "أنتِ بخير؟!"

تلفتت فرأته أمامها وقطرات الدماء تخفي معالم وجهه حتى أنها حولت كنزته البيضاء إلى اللون الوردي صاحت من فرط صدمتها ليسقط فاقدًا وعيه بين يديها.

الفوبيا

خرجت من غرفتها مسرعة تنظر في كل الاتجاهات تبحث عن حقيبة يديها الزائغة كالمعتاد لا تذكر أين وضعتها بالأمس حتى تكاد تشك أنها تركتها بالخارج في أحد المحلات وعادت بدونها عشوائيتها وذاكرتها الضعيفة في تذكر الأحداث كان ما يميز سارّة دائمًا.

انحنت فوق ركبتيها أسفل الأريكة لتلقي نظرة أخيرة ربما سقطت منها سهوًا لتستمع إلى صوت من خلفها:

-يابنتي أنتِ مش هتفتحي نفسي في يوم وأشوفك خارجة بفستان؟

-ماما حبيبتي، صباح الخير أنا رايحة الشغل مش فرح وبعدين عشان خاطري بلاش حوار كل يوم اتنين ده عشان أنا النهاردة متأخرة عالشغل وورايا مليون حاجة، انهت جملتها بصرخة عالية بعدما ارتطمت رأسها في حافة الأريكة لتبدو كالبلهاء.

أومأت والدتها برأسها في استسلام ونظرت إلى قطعة القماش التي تحوكها بالكروشيه وكأنها اعتادت تلك المناقشة.

همّت سارة في أخذ مفاتيح سيارتها من فوق السفرة لتفر مسرعة قبل أن تبدأ خطبة جديدة، ولكنها لم تنجح هذه المرة لتلحقها والدتها بسؤال من خلفها وهي ممسكة بمقبض الباب فأرخت كتفيها جانبها

واستدارت في استسلام مغلقة الباب مرة أخرى متجهة للداخل:

-أه كلمتها وقولتلها إني مش موافقة.

لم تأخذ سوى بضع ثوانٍ لتجد والدتها قد جن جنونها..ألقت ما بيدها فوق المنضدة وتعالى صوتها:

-ليه فهميني ده خامس عريس يتقدملك الشهر ده، لولا إنك بينتي ومربياكِ وعارفة إنك مش مغرورة كنت قلت إنك بتتقلي على الناس.. كل مرة كنت بقول معلش يابت يا سوسن، سيبيها حقها تدلع لكن كل حاجة ولها آخر يابنتي مش كدة العمر بيجري وأنا..

قاطعتها سارة بنبرة مختنقة:

-متقوليش الجملة دي تاني..متحسسنيش إن تعبي ونجاحي ومستقبلي ده كله راح على الفاضي لما فرحتك بيّا ناقصة عشان جوازه.. أمي الحياة فيها حاجات كتير حلوة وجميلة زي الجواز بالضبط.. من فضلك حسسيني إنك في ضهري ومشجعاني متحسسنيش طول الوقت بالذنب وكأني مطالبة اختار قرار مهم في حياتي زي الارتباط بس عشان أفرحك..أنا هتجوز لما أقابل الإنسان إللي أنا عاوزه اتجوزه مش أي حد وخلاص.

أطلقت زفيرًا طويلًا مشحونًا باليأس والملل من هذا المشهد المكرر أسبوعيًا حتى أصبحت تشعر وكأنه سيناريو إلزاميّ في حياتها ولكن شيء بداخلها نحو تلك السيدة الخمسينية الجالسة أمامها الأستاذة

سوسن المديرة السابقة لإحدى المدارس الثانوية نظارتها الطبية المستديرة ونبرة صوتها الجادة والضعيفة، شعرها الأبيض القصير الذي لا يتعدى أذنيها يزيدها وقارًا ودفأً أكثر لملامح وجهها الخمريّ البسيط والتجاعيد المنحوتة أسفل عينيها ترق لها قلب سارة أسرعت تجاهها واحتضنتها ثم قبلت يدها ورأسها وحاولت رسم ابتسامة على وجهها:

-ادعيلي بقى يا سونسون عشان أنا عندي اجتماع مهم أوي النهاردة في الشركة.

فربتت والدتها فوق يدها قائلةً:

-ربنا يفتح في وشك كل الأبواب المتقفلة يابنتي ويفرح قلبك دائمًا.

حاولت سارة لملمة مشاعرها وخرجت مسرعة هذه المرة نظرت إلى سيارتها مطولًا ثم قررت أخيرًا الذهاب إلى العمل سيرًا في محاولة لاستجماع تركيزها قبل البدء في يومها.

***

مع بداية اليوم الجديد فتح عينيه ليجد نفسه في مكانٍ غريب لا يعرفه فنهض فزعًا يتجول في المكان؛ ليفهم أين هو وماذا حدثَ وإذ به يصرخ عندما رأى ملامحه في المرآة التي أمامه وجهه مليء بالخدوش والجروح، شعر بألم ينتشر في جسده ولكنه لا يتذكر شيء حتى ظهرت هي أمامه فازداد انّزعاجه.

-صباح الخير وأخبارك إيه دلوقتي أنا طلبت الفطار وحالًا يجي،

أنا مش عارفة أشكرك إزاي على إللي عملته معايا امبارح، أنا عمري ما هنسى إنك أنقذتني.

-أنا أنقذتك!! يصمت شاردًا للحظات محاولًا استدراك ما حدث، من ثم شعر بالغضب بداخله بسبب مَن وضعه في هذا الموقف وخرج مسرعًا ليجدها تسرع من خلفه قائلة:

-استنى أنتَ رايح فين؟

التفت إليها في انفعال مشيرًا بسبباته إليها:

-كل ما بشوفك لازم تكوني مصدر إزعاج، الظاهر إني لمّا قلت لك إننا منعرفش بعض فمتكلمنيش أنتِ ما فهمتيش كلامي فهكررهولك تاني..لو سمحت من اللحظة دي أناَ مش عاوز أشوفك قدامي تاني وأه بخصوص إني أنقذتك ياريت تنسيه من أساسه وتنسي إننا اتقابلنا.

تلك الكلمات الصادمة والقاسية جعلتها صامتة وعاجزة عن الرد وتحاول جاهدة ألّا تدع دموعها تنهمر، استدارت لتكمل طريقها إلى غرفتها وهي غير مدركة ماذا يحدث لتخبر نفسها بذلك:

-لا بأس سأفعل ما يريده فمن البداية نحن لا نعرف بعضنا كثيرًا وبعد يومين ستنتهي الرحلة ولن يكون هناك أيّة فرصة لرؤيته مجددًا.

أمّا عنه فقد أغلق على نفسه طوال اليوم ولم يغادر المنزل حاول كثيرًا أن يستعيد أحداث يومه السابق ليفهم أسباب ما حدث ولكنه كلما تذكر أنه قضى ليلته مع هذه الفتاة يزداد انفعاله.

قرر أن ينسى ما حدث واستمر في فعل ذلك طوال اليوم إلى أن غلبه النوم من شدة الإرهاق مستيقظًا على صوت هاتفه:

-ناس هايصة وناس لايصة أنتَ نايم لحد دلوقتي يابيه الظاهر إن في بنات حلو كتير عندك.

-أنتَ مش هتبطل هزارك البايخ ده ..عاوز إيه على الصبح؟!

-المفروض إن الاجتماع السنوي لمجموعة شركتنا الشهر الجاي بس الموعد اتغير وبقى النهاردة أنا مش هلحق أسافر فقلت بما إنك هناك روح احضره واعمل اللازم فيه.

-إحنا مش متفقين إن أنا بعيد عن التوقيعات والأمور الإدارية دي يا شريف وبعدين جاي تقولي دلوقتي إن الاجتماع كمان ساعة!!

-عارف بس الموضوع حصل فجأة اعتبرها حالة طواريء يا أخي.

شريف بالنسبة لجود الصديق والأخ قبل أن يكون ابن العم فمنذُ صغرهم كانوا شركاء في كل شيء يكملون بعضهم بعضًا ولكن شريف على عكس صديقه في تعاملاته مع الفتيات فهو لم يكن يتجنبهم بل كان يستمتع بالتعرف والتقرب منهم، كل شهر فتاة جديدة تكون نهايتها دائمًا الانفصال بعد انتهاء الشهر المقرر لها تلك العادة كانت أسوء عاداته.

***

القلب تلك المملكة التي بداخلنا ولكننا لا نستطيع السيطرة عليها فهي لها قوانينها الخاصة لا نقدر أن نجعلها تختار أحدًا ما أو تترك أحدًا

ما..فالقلب له دائمًا معاييره ومقاييسه المختلفة عن حسابتنا.

ربما في تلك المعركة يستطيع العقل أن يرغم القلب على التراجع أو الانفصال لكن لا يمكن أن يرغمه على أن يحب ويعطي مشاعره لشخص لا يريده، فالحب لا يطلب هو يخترق القلب فقط بدون أسباب أو مواعيد.

سامح هذا الزميل الذي منذ التحاق فريدة بالعمل في تلك المجلة.. لم يستطع أن يرفع نظره عنها فاستطاع أن يصبح لها صديق ليبقى دائمًا بقربها، كثيرًا ما تمنى أن يفصح لها عما بداخله ويتحول ما بينهمٍ من درجة الصداقة إلى ما هو أعمق من ذلك ولكنه كان يتراجع دائمًا في اللحظة الأخيرة خوفًا من أن ترفض فيخسرها إلى الأبد ولكنه لم يكن يعلم أن فريدة لا تؤمن بالحب وتخافه كثيرًا؛ بعدما تركوها والديها اثناء ذلك الحادث المروري من عشرة أعوام لتنجو وحدها قبل أن تعي وتدرك من خلالهم ما هي تلك المحبة وما هو ذلك الحب وماذا يعني فكانت تخاف من الحب فهي ترى أن الحب نهايته الفراق وهي تكره هذا الشعور فقد جربت مرارته سابقًا مع فقدان والديها ولا تريد إعادة التجربة لذا كانت ترى أن القرار السليم دائمًا هو صنع الصداقات ومشاركة الحياة الاجتماعية مع من حولها ولكن هناك ذلك الخط الأحمر الذي لا تسمح لأحد بتعديه فالجميع بالنسبة لها مجرد أصدقاء بدون أيّة مشاعر شخصية فقد كانت تضع كل طاقتها وحياتها في تحقيق حلمها وتبقي قلبها دائمًا خالٍ من أية أحاسيس تجاه أحد فهي ترى أن ذلك من

دوره أن يجعلها في أمان لأطول فترة.

وجدته في استقبالها أمام الباب الرئيسي للمنتجع مرتديًا قميصًا أزرق مليء بالزهور الوردية وشورت كحلي اللون وكأنه آتٍ للتو من إحدى جزر هاواي:

-أخيرًا أنا كنت فاكرك هتقوليلي حاضر زي كل مرة ومش هتيجي.

لم يكن لديها المزيد من الطاقة لمبادلته النقاش هي فقط تريد الهرب من زحمة أفكارها فابتسمت وهي تسير إلى الداخل معه:

-أنتَ عارف إني مش بيبقى قصدي بس أنا مابحبش الزحمة وبعدين أديني أهو نفذت كلامي وجيت عشان متزعلش.

-ماشي يا ستي..أنا عارف إني لازم أزن عليكِ عشان تيجي أنتِ لازم تغيري جو وتفصلي من جو الشغل ده شوية اسبقيني أنتِ هتلاقي كل زمايلنا قدام هجيبلك حاجة تشربيها وأحصلك.

تملكته حماسة وسعادة غامرة من قبولها لدعوته في الانضمام إليهم في حفل الشواء التي على شرف نجاح عملهم الأسبوع السابق بالرغم من ثقته الكبيرة بنفسه أمام الجميع بسبب نجاحه المستمر في عمله وملامحه الجميلة كما اعتاد أن يسمع من إطراءات زميلاته فلقد أخبرته إحدى محررات المجلة سابقًا أنه يشبه أحد النجوم الأتراك التي تفضلهم ببشرته البيضاء وعينيه الزرقاء التي ترى انعكاس البحر بها وهيئته المفتولة التي يكملها طوله الشاهق كأحد العارضين.

يستهويه دائمًا ذلك الشعور بالكمال ولكنه سرعان ما يتبدد أمام فريدة وكأنه طفل صغير فيظل يتفقد مظهره وطريقة كلامه مستعيدًا لاحقًا الحوار الذي دار بينهم ليرى إذا ما كان متألقًا ولفت انتباهها كما يتمنى أم لا.

بعدما تركته وابتدأت في السير ببطء إلى الداخل، شردت أمام البحر متأملة الموجات المتلاحقة فهي دائمًا تجد راحتها في نسماته المنعشة المحملة برطوبة البحر وما تحمله من أسرار تاهت بداخله كعادتها، فقالت محدثة نفسها:

– ياه هو أنا بقالي كتير أوي كدة ما شفتش البحر شكلي فعلًا حياتي عبارة عن شغل وبس، وظلت هكذا تسير محدثة نفسها حتى وصلت إلى منتصف الجسر، أغلقت عينيها وأخذت نفس عميق لتجدد طاقتها..

اختل توازنها فجأة فوجدت نفسها تسقط في ثوانٍ في البحر وهي لا تجيد السباحة، بدأ الماء يسحبها إلى أسفل فصرخت مستنجدة دون فائدة، في تلك اللحظة وعند خروجه من قاعة الاجتماع أسرّه منظر الشاطيء من بعيد خلع عنه رابطة العنق التي يكرهها كثيرًا ووقف مستندًا إلى الباب الخارجي لمبنى الفندق متأملًا في كل ما حوله حتى رأى من بعيد يدًا تلوح له بالاستغاثة ثم اختفت فركض مسرعًا وقفز في الماء.

وجدت نفسها فجأة تستفيق بعد ابتلاع جرعة كبيرة من المياه المالحة نظرت لتلمح ظلًا مألوفًا بالنسبة لها، دققت فإذا بها ترى ذلك الشخص

ظنّت لوهلة أنها تتخيل ذلك بسبب الغرق إلا إنها تأكدت إنها حقيقة عندما استمعت إلى الصوت ذي الأنفاس المتقطعة الذي تكاد تكون حفظته عن ظهر قلب فــقد سمعت منه الكثير من الكلمات القاسية قطع شرودها وهو يصيح بها:

-كان لازم أعرف إن أنتِ مش مصدر إزعاج بس أنتِ الإزعاج نفسه لما مبتعرفيش تعومي تنزلي البحر ليه؟!

أجهشت في البكاء فتراجع عن كلماته مربتًا فوق كتفها:

-أنتِ كويسة؟!

-أنا وقعت من غير ما أقصد أنا بحب البحر بس بخاف منه أنا آسفة.

عندما رآها في تلك الحالة رقّ قلبه لها وشعر ولأول مرة بشيء غريب بداخله فتملكه الخوف من ذلك الإحساس فنهض واستدار مسرعًا وهو مستمر في الحديث:

-متمشيش قرب البحر تاني يا أستاذة إزعاج.

لم يكن يهرب منها في تلك اللحظة ولكنه كان يهرب من نفسه، يهرب من ذلك الشعور المفاجيء الذي شعر به في تلك اللحظة لينبئه عن بداية شيء جديد بداخله، ولكنه يعلم أن ذلك لن يعود عليه إلا بكثير من المشاكل والأوجاع فأسرع إلى منزله.

ليرسل الرواية عبر بريده الإلكترونيّ ويهم في الرجوع إلى مصر كي يقطع على نفسه أيّة فرصة تجعله من المحتمل أن يراها مرةً أخرى.

الفوبيا تلك الحالة من الهلع والرعب التي تنتابنا بسبب مكانٍ أو شخصٍ أو حيوانٍ فـالبعض لديه فوبيا المرتفعات أو الظلام ذلكً الشعورً بالخوف من أشياء نكرهها ونستنفر من وجودها بجانبنا ولكن هناك أيضًا نوع مختلف من الفوبيا..

الفوبيا تجاه الأشياء التي نحبها فهناك أشخاص لديها فوبيا الحب هي لا تكره الحب وكثيرًا ما تتمنى أن تعيشه ولكنها تخافه إن اقترب منها تخاف مما سيحدث لها؛ فتفر هاربة منه.

***

أخـــاف أن أحـــبـــك فـــأتـــألـــم.. وإلا أحـــبـــك فـــأنـــدم

كان جود الابن الوحيد لعائلته والشريك الرسميّ والوحيد لمجموعة شركاتهم هو وابن عمه شريف وبسبب سفر والده للعلاج في الخارج وتواجد والدته معه كان جود عليه المسؤلية الأكبر في مباشرة أعمال الشركة وإدارتها مع شريف ولكنه على الرغم من قدراته القوية على الإدارة وعقليته الحسابية كان يكره تلك الأعمال ولا يجد راحته إلا في كتابة الروايات فكان دائماً يترك لصديقه مباشرة كل الأعمال ويتفرغ هو لتأليف الروايات ولكنه يذهب فقط إلى الشركة ويباشر الأعمال إذا تطلب الأمر أو في حالات الطواريء فهذا كان اتفاقهم الخفي لكي تستمر الشركة في نجاحها ولكي يحقق كل منهم مستقبلهم بالطريقة التي يريدها.

-الأسبوع الجاي الحفلة الرسمية إللي هنعلن فيها التعاقد مع مجلة سكاي طبعًا أنا مش محتاج أقول لك إن بكل المقايس أنتَ لازم تكون موجود، قالها وهو يمرر له فنجان القهوة؛ فرد عليه قائلًا:

-لو على الحفلة دي بس مفيش مشاكل بس مسمعش صوتك لشهر قدام.

-أنا بشحت منك يا ابني أنتَ.. كفاية تزويغ وامسك معايا الشغل شوية وبعدين دي حفلة يعني سهر وموسيقى و بنات حلوين يا فقري.

نظر له بعدم رضا لما يقول:

-زي مـا أنتَ مش هتتغير بعقليتك السخيفة دي.

لم تاخد الكثير من الوقت منذ لحظة دخولها إليهم فهي تحب دائمًا أن تختصر الوقت الذي تقضيه في النقاش مع مديرها المتذمت كما تراه دائمًا.. شاب ثلاثيني مفتول العضلات وجه الأبيض مليء بعض الشيء شعره الخفيف لونه الفاتح يحاول جاهدًا البقاء مكانه ولكنه يبدو عليه في بداية طريقه إلى السقوط إما عن عينيه الخضراء ترى بها الكثير من النفاق والانطلاق تكره هي نظرته المتهكم وأسلوبه المقزز في ارتداء قمصانه الضيقة لإظهار ضخامة عضلاته وخواتمه الذهبية التي يرتديها في كلتا يديه كأنه فتاة ثرية تريد التباهي بممتلكاتها.. كانت ترى أن ملامحه الجميلة قد فقدت معناها بسبب شخصيته المنفرة.

تقدمت إليه في صمت ووضعت المجلدات التي بيدها أمامه:

-فاكس شركة المقاولات وصل وبيطلبوا مننا نبعتلهم كل تفاصيل المشروع وعروض الشهر إللي جاي وإحنا لسة البيانات إللي شغلين عليها وصلالنا من يومين هيبقى صعب تجهيز كل التفاصيل خلال شهر.

نظر لها شريف كعادته نظرة مليئة بالتهكم وهو ينقر بقلمه الحبر فوق المستندات ثم أطاح به بعيدًا إلى الجانب الآخر من سطح مكتبه وأخبرها بعينين تتفحصها باستصغار:

-يعني إيه صعب يا آنسة سارة، الشغل مفهوش صعب طالما المعلومات إللي محتاجنها بقيت معاكوا إللي اعرفه إنكم تشتغلوا عليها وخلال شهر تكون جاهزة ولا أنا صح نسيت الشغل بالنسبة للبنات بياخد وقت أطول عشان كدة الشركات الناجحة هي إللي العمالة فيها رجالة وبس.

سارة فتاة يافعة تستطيع أن ترى طموحها وذكائها بداخل تلك اللمعة المميزة التي بعينيها السوداء الواسعة ووجها الخمري النحيف والطويل وكأنه قد نُحِتَ على أيدي أشهر فنانين روما شعرها الأسود النيلي دائمًا منسدل على كتفيها مُضفيًا روح شديدة البساطة؛ لإطلالتها العملية دائمًا فهي لم تخرج عن تقليدها المميز والمتعارف عليه بين زملائها منذ تعينها معهم بالشركة: قميص أبيض أو لبني وبنطالًا بيج وكأنها عيّنت لنفسها يونيفورم خاص بها.

محددة هي وذكية، تريد دائمًا أن تستغل كل دقيقة من وقتها في

الوصول إلى أحلامها، ليس لديها وقت للثرثرة في الجوار بكوب القهوة أو وضع المساحيق التجميلية وتغيير تسريحة شعرها فالحياة بالنسبة لها سباق كبير مليء بالتحديات لا يوجد به الكثير من الفرص الجيدة لإضاعتها في تلك الأمور.

اعتادت على كلماته المقتضبة والسلبية ولكنها لا تقدر دائمًا مقاومة تلك الروح الحرة التي بداخلها في الرد على أفكاره الرجعية، نظرت له في ثقة بعدما أغلقت ذلك الملف والتقطته من أمامه:

الشركة الناجحة هي إللي فيها أشخاص قد المسؤلية وعندهم الفكر والوعي إنهم يطوروا نفسهم ويتعلموا من أخطائهم عشان يقدروا يدوا دائمًا أحسن ما عندهم .... وعمومًا خلال الشهر ده هيكون الشغل خلص بعد إذنك.

أغلقت الباب وتركتهم قبل أن يحمو غضبها وتلقنه درس في فنون القتال، كثيرًا ما تمنت أن تمنحه إيّاه بسبب فظاظته وعنصريته ولكنها اكتفت بصفع الباب والخروج في صمت.

شعر جود ببعض التحامل في طريقة شريف مع موظفته فلم يعجبه ذلك فقال معترضًا:

-أنتَ ليه بتتكلم معاها كدة الموضوع مكنش مستاهل كل الكلام إللي قلته ده.. البنت باين عليها شطره وعارفة شغلها كويس.

-وهي دي بيأثر فيها كلام ناشف وبعدين يابني البنات مش مكانهم

في الشركات ووسط العمال، دول مكانهم في البيت ربنا خلقهم كدة.

لم يكن شريف وحده الذي يحمل تلك الأفكار فأغلب مجتمعنا الشرقي يرى أن الفتاة دورها الأوحد في الحياة هو إدارة أعمال المنزل وتربية الأطفال ليس من حقها أن تحلم أو تعمل أو تذهب للدراسة في الخارج فهى امرأة وكائن ضعيف لا يجب أن تخرج وحدها، لا يجب أن تعمل فيما تحب ولا يجب أن ترتدي ما تريد وليس من المفترض من الأساس أن يكون لها رأي مستقل بشأن أي شيء.

المرأة الناجحة في نظر مجتمعنا تلك التي تُفني حياتها وأهدافها وطموحها فقط وتنساق خلف القطيع لتكون خادمة وأم، فبقدر عظمة نعمة الأمومة التي منحها لنا الله نحن جعلنا منها دور وواجب مفترض لكل فتاة يجب أن تضع طاقتها وحياتها ودراستها أيضًا في التفكير به

فنجد الأم منذ أن يخطو صغارها إلى المدرسة وتبدأ هي في شراء مستلزمات زفافهم المستقبلي تصبح رسالة آبائنا وأمهاتنا هي تربية ابنائهم لتزويجهم؛ فبات مجتمعنا سطحي الرؤية نعيش في دائرة من الكفاح والمعاناة فقط للحصول على شقة للمعيشة ووظيفة بدخل يكفي للزواج بأحدهم لننجب أولادًا نعلمهم أن يكرروا مأساتنا في حلقة غير منتهية من الحياوات المماثلة، فإن نظرت إلى من حولك في الشارع لن تجد كثيرًا من الاختلاف بينهم ولو كان لدينا عدسة خفية نستطيع رؤية أفكارهم لوجدناها متماثلة وكأننا أصبحنا مبرمجين منذ لحظة ولادتنا حتى رحيلنا ولا يجب أن تطمح في أكثر من ذلك والذين

خرجنا عن هذا الإطار خاصةً من الفتايات ومارسنا حقهم الطبيعي في الحياة أصبحنا أمام المجتمع فتايات متمردات وشخصيتهم شاطحة ومتهورة يحتاجون إلى الهداية.

أَنْتَ قَـدَرِي ....أَمْ لَـعْــنَـتِـي!!

لم يكن يعلم أن التعاون مع تلك المجلة هو الحادث القدري ونقطة البداية الثانية ليعود ليلتقي بها، ذلك هو سحر القدر... القدر الذي يفاجئنا بأحداث لم نكن نتوقع في يوم حدوثها أو تكرارها حتى ندرك أنها مقدرة لنا.

كانت كلما شعرت بالضيق من تلك الاجتماعيات والمجاملات تصطحب نفسها باحثة عن ركن مريح يشبهها مبتعدة عن الضوضاء والموسيقى الصاخبة في جذب انتباهها منظر الزرع الذي في آخر القاعة وعند وصولها إليه استمعت إلى أحدهم:

-أنا شايف إن هنا في حمام سباحة ها ناوية على إيه المرة دي.

أدركت لمن هذا الصوت فضحكت في صمت وجلست بجواره على الأريكة المتحركة وأجابته دون أن تنظر له:

-واضح فعلًا إن أنتَ من قرّاء المجلة عشان كدة مش غريبة إن ألاقيك هنا.

لم يدرك جود ما معنى كلامها فهو لا يعلم إن ذلك كان حديث دار بينهم سابقًا فصمت للحظة؛ محاولًا أن يدرك ماذا تعني فقاطعته هي بسؤال:

-أنتَ ليه مش في الحفلة وقاعد هنا وحدك؟

فابتسم نصف ابتسامة:

-ده على أساس إن أنتِ دلوقتي في الحفلة ومش قاعدة هنا؟

رفعت رأسها ونظرت له:

-طيب أنا زهقت من الرسميات والشغل ودوشه الحفلة.

فحرك رأسه مؤكدًا على كلامها قائلًا:

-وأنا كمان مش بحب الزحمة والدوشة والقناعات المزيفة إللي في المناسبات دى الظاهر إن المكان ده شبهنا.

فنظر كل منهم للآخر وكأنها مرتهم الأولى حتى قاطعهم هو بنبرته الغليظة:

أنتِ فين يا فريدة أنا بدور عليكِ من الصبح افتكرتك مشيتي زي عادتك؟

-لا أنا موجودة بس حبيت أريح دماغي شوية.

التفت سامح لينظر من الذي بصحبتها حتى ارتسمت على وجهه علامات الاندهاش للحظات قبل أن يصيح:

-جود أكرم!!..أنت جود صح..مش فاكرني أنا سامح دفعتك في الكلية؟؟

امتعض وجه جود قليلًا قائلًا: فاكر، إزيك يا سامح؟

قاطعت حديثهم فريدة:

-طيب أنتوا طلعتوا أهو معرفة قديمة أسيبكم أنا دلوقتي وأروح أشوف صاحبتي عن إذنكم.

تركها تذهب هذه المرة فهو الآن لديه هدف مهم عليه اقتناصه ابتدأ يتحدث إليه بنبرة مليئة بالفضول وابتسامته الباردة تنم عن شخصية مصطنعة كعادته دائماً معه:

-تقريبًا دي أول مرة أشوفك فيها من ٦ سنين، آخر مرة يوم ما انفصلت أنتَ وسما، صحيح ما تعرفش أخبارها إيه اتجوزت ولا لسة؟

فنظر له جود نظرة حاد ةوهو يقتضب على يديه ليخفف من انفعاله قائلًا:

-أنا ما أعرفش حاجة عن دفعتنا كلها من وقت ما اتخرجنا.

فتركه مستئذنًا ليذهب إلى زملائه تاركًا جود سابحًا في أفكاره تذكّر تفاصيل ما حدث من زمن بعيد وكأنه انتهى منه في اليوم السابق فقط وما سببته تلك الفتاة له، فشعر بألم شديد يسري بداخله مما جعل روحه تختنق وإذ بنفس الحالة تعود إليه ويسقط مغشيًا عليه ثم يستيقظ بعد عدة دقائق متخوفًا لا يعلم ما يحدث فخرج مسرعًا ليتفادى أيّة مشكلة من الممكن أن تحدث فهو كان دائماً يلتزم بالوعد الذي قطعه مع جود.. إنه ينسحب في صمت كي لا تحدث مشكلة ويتسبب له في الإحراج.

***

صطدم بشخصٍ أثناء خروجه فرفع رأسه معتذرًا ليصيح في دهشة:

إيه ده أنسة المطار؟

نظرت له متعجبة فمنذ دقائق قليلة كانوا يتحدثان سويًا، إذن لماذا تشعر من تعبيراته وكأنه يراها لأول مرة منذ فترة؟!! توقعت أن يكون ذلك أحد أنواع المزاح فابتسمت وهمت في الانصراف، ليفاجأها بالسير بجانبها قائلًا:

-أنتِ كويسة؟ حد فيهم ضايقك معلش ملحقتش اسالك وقتها.

-أه أه أنا كويسة الحمدلله، ظلت شاردة تتمتم في سرها "هو مش قالي انسى إنه أنقذني وأنسى الموقف كله! إزاي دلوقتي بيسألني عاملة ‘يه"...حتى أحرجتها ابتسامته ونظرته العميقة لها:

-أنتِ شكلك زهقتي من الحفلة دي تحبي تيجي معايا؟

ليكمل ضاحكًا بعدما وجد تعبيرات وجهها تجمع بين الدهشة والخوف:

-متخافيش أنا عازمك على أغلى كوباية شاي.

فضحكت قائلة:

-ليه شاي في كوباية دهب؟

-أه شكلك بتحبي الألش وهتتعبيني معاكِ.

-تقدر تقول كدة هي حالة بتيجي أوقات بس مش دايمًا يعني.

-طيب الحمدلله أنا كدة اتطمنت على نفسي.

لم تدرك فريدة بعد ما الذي تواجهه؛ ربما لأن الحقيقة كانت أبعد كثيرًا من مستوى إدراكها وتصوراتها فكل ما خطر ببالها لكل تلك المفارقات إنه شخص متقلب المزاج.

ولأول مرة تقبل أن تذهب إلى مكان بصحبة شاب وخاصة إنها لا تعرف عنه سوى القليل وهي بداخلها لا تعلم لماذا وافقت على دعوته.

منذ لحظة وصولهم ظلّت تلقي نظرات خاطفة متفرسة في معالم المكان المميزة فابتسم إلى نظراتها المليئة بانبهار طفولي:

-ها أظن دلوقتي عرفتي ليه هي أغلى كوباية شاي؟

-أنتَ عرفت منين إني بحب الأماكن القديمة؟؟؟

اعتدل في وقفته عاقدًا ذراعيه في ثقة:

-أنا معرفتش أنا حسيت.

ابتدأت السهره وسط مجموعة من شباب لا تتجاوز أعمارهم منتصف العشرين، البعض يجلس على كراسي خشبية قديمة والآخرون فوق وسائد عربية منقوشة برسومات صوفية ينصتون في اهتمام ملتفين حول بعضهم يتشاركون كل ما لديهم من مواهب.

شيء ما مختلف في ذلك المكان العتيق الطراز يجعلك تشعر بروح الستينيات تستطيع أن تشعر بها في نغمة العود الدافئة لذلك الشاب

النحيل ذو الكنزه البيضاء القطنية ويتدلى من عنقه سلسلة بنية مطعمة بالكرات الخشبية الصغيرة وجهه البسيط لا يعكس الكثير، بعينين مغمضتين لا يرى يده يده أين تتجه فهو قد ذهب إلى وجهته الخاصة وترك يده تقوده وهنالك في المنتصف الشابة السمراء ذات الشعر الغجري بسواده اللامع وكحلتها الأسوانية، تبرز عيناها بملامح فرعونية جذابة وفستانها الأسود الواسع الطويل يعلوه جاكت جينز قصير ذو أكمام مشمرة يكشف عن عدة أساور معدنية ضخمة متعددة الألوان وبيدها الأخرى خاتم أثري كبير من النحاس محفور فوقه جملة "السعادة قرار" بخط كوفي وصوتها الرنان يحلق بك على أنغام أغنية " أمانة عليك يا ليل طول" وكأنك ذهبت معها للحظات إلى عالم آخر لا تريد العودة منه.

وقبل انتهاء السهرة بقليل همت في الانصراف قبل أن يتأخر الوقت فأسرع خفلها قائلًا:

-استنى أنتِ مش معاكِ عربية هتروحي ازاي؟

-عادي إحنا لسة جوا مصر مبعدناش يعنى هاخد تاكسي وأوروح.

-مش بقولك غلباوية وهتتعبيني، لا استني أنا هتصرف اسمحيلي أوصلك على الأقل ابقى روحتك زي ما أخدتك.

وجدته مقبلًا إليها بعد دقائق فوق إحدى الدراجات البخارية فهي الوسيلة الوحيدة المتوفرة لديه الآن و بعد إلحاح أقنعها أن تصعد ليوصلها إلى المنزل.

لم يكن يعلم أن تلك هي مرتها الأولى فسألها:

-أنتِ خايفة؟ تحبي اهدي السرعة، ففاجئته بردها:

-لا بالعكس أنا مبسوطة جدًا، فابتسم في حماس قائلًا:

ماشي امسكي كويس بقى، أزاد من السرعة قليلًا ليجعلها تشعر بالهواء الذي يخترقهم مستمعًا إلى صوت ضحكاتها الطفولية وتشبسها بيديها الصغيرتين بأطراف معطفه الجلدي الأسود.

في تلك الليلة لم تستطع فريدة النوم من شدة سعادتها ومن كثرة الأفكار التي تدور بداخل رأسها فهي لم تستوعب بعد ما الذي حدث وكيف قضت ذلك اليوم مع شخص لا تعرف عنه الكثير وهي لا تخرج مع أحد ولا تسمح لأحد أن يتعامل معها من تلك المسافة القريبة فلماذا اختلف الأمر معه إذن ؟!

الكثير من الأسئلة كانت تعبر بخواطرها في تلك الليلة ولا تجد لها أي إجابة مقنعة كل ما كانت تدركه إنها لم تقضِ وقت بمثل تلك الروعة ولم تشعر بهذا الكم الهائل من السعادة التي تغَمرها من قبل.

ذلك هو جنون الحب ..المشاعر المتضاربة والأسئلة الكثيرة التي تدور في بالنا ولا نجد لها أيّة إجابة..اللحظات التي يقف بها العقل عن إصدار القرارات ويحل محله القلب..السعادة التي لا نعلم سببها والشرود في عالم موازي من الأفكار والتساؤلات "ماذا يحدث؟ لماذا ذلك الشخص؟ منذ متى؟ وما السبب؟؟..ذلك ما يفعله بنا الحب

في بدايته لأننا لم ندرك بعد أن ذلك هو ما يسمى بالحب تلك المرحلة الغامضة بكل ما فيها والمليئة بالمفاجئات والمصادفات.

***

في نفس ذلك الوقت كان شريف قد بدأ يرى سارة بصورة مختلفة منذ تلك الحفلة وكأنه يراها لأول مرة..رأى بها جانب مختلف عن شخصيتها، شعر وكأنّه يتعامل معها للمرة الأولى، فتاة أنيقة رقيقة لديها شيء مختلف عن أي فتاة سبق وتعامل معها..فستانها القصير الذي يجمع بين الأبيض والأسود في مربعاته الصغيرة كقطعة الشطرنج وهي الملكة المتوجة في ساحته يضفي شعرها الأسود المنسدل أسفل ظهرها بتموجاته سحرًا إضافيًا لوجهها البرونزي اللامع، لأول مرة يكتشف أن ليدها تلك اللعنة السحرية المسماه "غمازات" فلا يقدر أي شخصٍ يرى ابتسامتها دون أن تلحقه اللعنة ويقع في تأثيرها.

منذ تلك الليلة وأصبح كثير الفضول تجاهها شيء بداخله يدفعه للاقتراب منها ليرضِ فضوله ربما يستطيع أن يجد سببًا ما يشعر به.

أصبح يبحث عنها دائمًا في الشركة، عيناه تلحقها باستمرا..يبقى لأوقات متأخرة في الشركة منتهزًا فرصة بقائها في الشركة لوقت طويل حتى تنجز عملها على المشروع.

فتارة كان يتعذر بتأخر الوقت ويقنعها أنه من واجبه كمديرها أن يقلها إلى المنزل بأمان وتارة أخرى يحضر لها بعض الوجبات الخفيفة متعللًا أنه لا يستطيع أن يأكل وحده فطلب لها لتشاركه، استمر هكذا

طوال الشهر يتصنع الأعذار ليبقى بجانبها فأكتشف بها أشياء مختلفة ساعدته في رؤية جمالها الداخلي وروحها النقية مما جعل انبهاره بها يزداد يومًا عن يوم حتى أتى اليوم المنشود والعمل تم إنجازه.

شعر بداخله بالحزن لانتهاء السبب الذي كان يجعله يراها طوال اليوم عن قرب وكأنه كان في رحلة جميلة واليوم هو يوم العودة فقرر أن يفاجأها في نهأيته لتجده أمامها عند بهو الشركة قائلًا لها:

-ها المشروع خلص أتمنى تكوني راجعتيه كويس مش عاوزين أي أخطاء أو تقصير.

تلك الكلمات جعلتها تغضب مجددًا بعدما تعودت منه على أسلوب مختلف ومراع ومشجع، وجدته يتفوه بطريقته السابقة فأجابته في حدة ودفاع عن قدَراتها:

-لو مكنتش راجعته كويس واتأكدت منه مكنتش هروح بيتنا يا فاندم ده شغلي..عن إذنك.

شعر بالكلمات تهرب من عقله فاستوقفها معتذرًا فهو لم يكن يقصد مضايقتها هو فقط يريد أن يبدأ معها حوار ولكنه اختار الكلمات الخطأ فـحاول أن يلطف الأجواء قائلًا:

-أنا متأكد من جهودك و شطارتك في الشغل يا آنسة سارة ثم صمت لبرهه يحاول أن يرتب أفكاره وأن يفصح لها بما يريد فأشار إلى الخارج قائلاً:

-ممكن نتمشى شوية في طريقك للبيت لو مش وراكِ حاجة فلم تستطع سارة الرفض فأومأت برأسها إيجابًا وعلى عكس ما توقعته سارة ظل معظم الطريق صامتًا لا يتحدث إلا بالقليل فزاد من حيرتها فهي لم تكن تعلم أنه بداخله يصنع ألف طريقة للحوار ويحدثها بكثير من الأشياء ولكنه حين يحاول تحريك شفتيه لا يعرف ماذا يقول.

في منتصف طريقهم شعر أنها فرصته الأخيرة فنظر لها مبتسمًا تضايقي لو عزمتك على حاجة نشربها في طريقنا، شعرت هي بالإحراج لا تريد أن تذهب إلى مكان وفي نفس الوقت لا تريد أن تسبب له الحرج فلمحت شيء من بعيد أوحى لها بفكرة فقالت له حمص الشام؟

نظر لها مستغربًا لا يفهم ماذا تقول فضحكت وأشارت إلى عربة خشبية بيضاء بسيطة بجانب السور فهز رأسه ثم جذبها من يدها فجعل ضربات قلبها تتصارب في سرعة.

إللي يخاف من عفريت يطلعله..

لم يتذكر جود أي شيءٍ عن ما حدث وكيف قضى تلك الليلة وفي تلك الفترة لم يظهر هو على الإطلاق..ربما لأن جود كان ينتابه كثيرٌ من الكوابيس المؤرقة التي جعلته لا يستطيع أن يعطي لأجفانه أي نعاس فظل في قلق وتوتر طوال الشهر ليس لديه أي قدرة على التفكير أو الكتابة طاقته معدومة وصبره ينفد مع مرور يوم آخر بنفس تلك الحالة التي لا يفهم أسبابها حتى تلك الأدوية المهدئة التي اعتاد أن يأخذها في لحظات التوتر أو التعب الشديد لم تكن تجدِ بأي نفع له إلى أن أتته المكالمة التي جعلته يخرج من صومعته الخاصة فالمدير التّنفيذي متغيب عن الشركه منذ أربعة أيام لا يعلم أحد عنه أي شيءٍ وهناك كثير من الأمور العالقة في الشركة لا يستطيع أي شخص إنهائها فذهب مضطرًا و متحاملًا على نفسه حتى ينهي ذلك الحادث الطاريء ثم يذهب للبحث عن شريف.

لم يساعده ذهابه إلى الشركة في التخلص من توتره أو التفريج عمّا بداخله بل زاده توترًا إضافيًا وانفعالا فلم يكن يدرك أنه سيواجه هذا الكم من المشاكل والملفات التي يجب مراجعتها وتوقيعها حتى علم بتأخير وضع أساسيات المشروع الجديد مع مجلة سكاي فـأنهى هذا الخبر على ما تبقى لديه من ثبات و ركوز، فطلب استدعاء المدير المسؤل

من المجلة.

عند استماعه لخطوات قدوم الشخص بداخل مكتبه وقبل أن يعطي أي نوع من أنواع الترحيب أو يرتفع ببصره قليلاً ليعرف من هو تحدث بلهجه مقتضبة وبنبرة حادة لا تعبر إلا عن طاقة هائلة من الانفعال يفاجئها صمت تام من الشخص الآخر، ارتفع بنظره عن الملف الذي كان ينظر له فاتسع حدقتا عينيه في ذهول ودهشة من غرابة الموقف فكيف تكون تلك المرأة هي الشخص المسئول؟!

منذ لحظة دخلوها واكتشافها أنه هو المدير التنفيذي للشركة لم تستمع لأيّة كلمة من كلماته ولهجته الشديدة فهى قد شردت تمامًا "من هذا الشخص؟ كيف في ذلك الوقت القصير أجده أمامي في كثيرٍ من المواقف المهمة ..من يكون ؟!"

وعندما شعرت بالصمت يسود المكان أردكت أنه أنهى كلماته ودورها في الرد أخذت نفسًا عميقًا وابتسمت في محاولة لبداية استيعاب الموقف.

***

-أستاذ شريف تسمحلي أسألك سؤال، فأجابها في تردد

-اكيد اتفصلى.

-أنتَ عاوز مني إيه؟!!

تلك الكلمات اخترقت عقله فشعر بخطورة السؤال الذي لا يعلم في

نفسه إجابته فحاول التملص والهرب من الإجابة في محاولة ذكية قائلًا:

-أنا عايزك تخلصي حمص الشام ده كله عشان الجو برد هنا وأنا قربت أتجمد.

نظرت له نظرة مطوله لم يفهم معناها ثم نهضت ومدت يدها لتصافحه فنهض من مكانه ليسألها ماذا حدث ولكنها لم تعطه الفرصه.

-أستاذ شريف أنا من الشخصيات إللي مش بسهولة بتكون صداقات وحتى الصداقة بالنسبالي لها حدود ومساحة، حضرتك بالنسبالي زميل عمل ورئيسي في الشغل إللي بحترمه..لحد شهر فات على قد ما كان أسلوب حضرتك معايا صعب وشديد لكن كان مريح أكتر بكتير من طريقة معاملتك دلوقتي إللي أنا مش قادرة أفهمها.

-بس أنتِ فهمتي غلط يا سارة.

-لا بالعكس أنا أعرف عن حضرتك حاجات كتير أوي ولكن حضرتك إللي الظاهر مفهمتنيش..أستاذ شريف مدير الشركة الشاب الناجح والطموح صاحب الأرقام القياسية في الأرباح وفي صداقاته المتعددة كل فترة بنت جديدة وقصة جديدة بس للأسف أنا مش هينفع أكون بطلة في قصة من قصصك ولا حتى ضيفة شرف..

يمكن حضرتك عندك حاجات كتير تقدر تستخدمها وبعدين ترميها، لكن أنا معنديش غير قلبي ومشاعري إللي طول حياتي بحافظ عليهم لحد ما أقابل الشخص إللي هشاركه فيهم شخص واحد بس

طول عمري لا قبله ولا بعده.

وعشان أنا فاهمة نفسى كويس عارفة إن قلبي ضعيف مش هيستحمل إنه يتقسم نصين بسبب قصة حب فاشلة أو عابرة عشان كدة محافظة عليه أوي..من فضلك دور على بطلة غيري لقصتك الجديدة أنا ما أنفعش عن إذنك.

كانت كلماتها أقوى بكثير ممّا تعتقد فهي وضعته أمام مرآة جعلته يرى نفسه بوضوح كبير لم يكن يراه من قبل كيف كان يقضي حياته وما قيمتها الحقيقية شعر ولأول مرة إن كل ما مرّ من حياته هو سراب.

أدرك أن كل تلك الأعوام وكل تلك القصص لم تكن حقيقية لم يشعر عند انتهائها بأي شيء مثلما يشعر الآن .

فزاد اختناقه ولم تسعفه برودة الهواء في أن تلطف من أفكاره ومشاعره.

هو لم يرَ جانب جديد في سارة لكنه رأى جانب جديد بداخله هو.. لم يكن يعلم عن تلك المشاعر التي يمتلكها وذلك القلب الذي كثيرًا ما اعتقد أنه فارغ من كل شيء قد يجعله يتأثر ولكنها جعلته يدرك أنه مُخطيء..وأول شخص أخطأ نحوه كان ذاته.

أراد أن يركض خلفها ليرجعها إليه..أراد أن يخبرها عن كل ما يدور برأسه ويتكيء فوق كتفها ليسترح قلبه ولكنه شعر بالعجز، لا يريد أن يتسبب لها في أي أذى فهو لا يعلم ماذا تعني له، لكنه على الأقل يدرك

أنها وضعته على أكثر الطرق وضوح لكنه لم يقرر بعد إن كان سيخطو خطوة واحدة به ..لأنه طريق بلا عودة.

***

-فريدة سيف..نائب رئيس تحرير المجلة والمسئول عن المشروع، ده الملف الكامل الخاص بالمشروع بكل التفاصيل والأساسيات إللي هنبدأ على أساسها الشغل في المشروع.

قالت هذا وهي تستند بظهرها إلى المقعد الجلدي الأحمر الذي أمامه.

فنظر إليها بنصف ابتسامة ثم انتصب عن كرسيه متحدثًا إليها وهو ينظر إلى النافذة قائلًا:

-اه ده الملف!!

لم تدرك ماذا يعني فاستدار لها وأشاح بالملف بعيدًا قائلًا:

-أنا مش مكلف إني أتابع الشغل بنفسي المفروض إنكم عارفين شغلكم كويس لما تبقى البداية بالشكل ده أتوقع إن ده هيكون أول وآخر تعاون مع مجلتكم.

احتدت من أسلوبه المتهكم ونهضت من مكانها قائلة:

أولًا إحنا مش مطالبين إننا نشرحلكم التفاصيل لو حضرتك كنت قريت العقد كويس كنت هتعرف إن اتفاقنا هو إننا بعد انتهاء المشروع وقبل تنفيذه هيبقى فيه ملف كامل بالشرح عن كل المراحل والخطوات

لو فيها أي تعديل مطلوب وعلى أساسه هتحط الخطوط العريضة والنهائية، ثانيًا لما حضرتك طلبت تقابل المسئول عن المشروع إحنا وافقنا احترامًا مننا لشركتكم لكن ده شيء إضافي مش مجبرين نعلمه وأظن إن نتيجة الشغل هي إللي هتحدد إذا كان ده آخر شغل مشترك بينا ولا لا..عن إذنك.

انصرفت مسرعه تحاول السيطرة على طاقة الانفعال الرهيبة التي تملكتها على غير عادتها فهي في أمور عملها كثيرًا ما تعرضت لمواقف مشابهة، لماذا إذن ردة الفعل تلك..ربما لأنها كانت بسبب الشخص نفسه وليس ما قاله.

اعترافات وحبشتكانات

بعد إصدار كتابه الجديد " الطوفان" اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بالتعليق عليها وقمت أحد الصحف بكتابة مقال تهاجم به سلبيته التي تملأ كتاباته ورواياته ذات النهاية المفتوحة وعلى الرغم من ذلك كان القرّاء ينتظروها في ترقب لأسلوبها المختلف وروحها الصادقة والعميقة.

كثيرًا ما نبحث عن النهايات السعيدة أكثر من النهايات الواقعية، فهي تكون مريحة أكثر لنا ربما لأننا نجد بداخلها ما عجزنا عن تحقيقه على أرض الواقع فـيستهوينا دائمًا زواج البطل والبطلة وبداية الحياة السعيدة الوردية أو نجاح الشاب الفاشل ووصوله لجميع أحلامه مثلما يحدث في أفلام الدراما القديمة.

فالنهايات السعيدة تجعلنا نختبر مشاعر قد عجزنا عن تحقيقها فهي ليست أكثر من مسكن نهرب خلفه من يأسنا..مهديء لحماسنا الذي فقدناه بإرادتنا واستسلامنا أمام صعوبات الحياة وتخلينا عن أحلامنا لنبحث عنها بداخل رواية.

عندما فتح له باب الشقة بعينين شبه مغلقة يملؤها النعاس الشديد وكأنه مازال تحت تأثير عالم الأحلام ولم يعد إلى عالمنا بعد.

دخل هو في صمت ملقيًا بنظره على أحواله المنعكسة في تلك الفوضى..بعض الملابس فوق الأريكة والأغلبية خلفها، المنضدة مليئة بالعلب الورقية لمخلفات طعام جاهز وأكواب زجاجية صامدة وسط ذلك الحشد دون أن تقفز وتتحطم..هز رأسه في إشفاق على حال جود وابتدأ في ترتيب الحجرة حتى تعود آدمية بعض الشيء، فهو يعلم أنه إن لن يفعل ربما ستظل هكذا إلى أن يأتي إليه المرة المقبلة فعندما يدخل جود في تلك الحالة من الكسل يعني أن هناك شيء هامًا يؤرقه ويستنفد كل طاقته.

عاد إليه بعد دقائق ومعه كوبان من القهوة سريعة التحضير..لم يعلق كثيرًا على ما يفعله أستاذ منصور ولم يمنعه ربما لفرحته الداخلية التي لا يريد أن يعترف بها، أن هناك أحد يمنحه ذلك الحب الأبوي.

-النهاردة جالي طلبين لمقابلة حصرية معاك.

حاول تغيير مجرى الحديث فاتخذ معطفه الأسود من يد أستاذ منصور وعدّل وضعيته متجولًا بيده يمشط فوقه ليزيحٍ أي نوع من الأتربة أو الخيوط المتطفلة التي تعمل على الالتصاق به قائلًا:

-كل مرة بتقولي نفس الكلام وكل مرة برد عليك نفس الرد.

-لا المرة دي الموضوع مختلف يا جود..أنت شفت المقالة إللي بتهاجمك حتى لو كان ده نوع من أنواع الاستفزاز عشان يخلوك تظهر بس.

شعر باختناق من هذا الحديث المكرر..طاقته القليلة المتبقية لا يريد إضاعتها فنهض متحدثًا إليه في طريقه إلى الداخل وكأنه يحاول الاختباء داخل قوقعته قائلًا:

-ليس لدي طاقة.

تلك الجمله الصغيرة الحجم كفيلة بأن تجعل حياتك شاحبة وكأنك تحيا حياة شخص آخر فتصبح أقل الأشياء وقعها ثقيل بداخلك ،صوت رنين الهاتف يؤرقك ويلاحقك.. دعوات أصدقائك إلى الخروج.. أي وسيلة يتخذها من حولك للتواصل معك تجعلك تشعر وكأنهم يلاحقونك ويقتحمونك.

والأغرب أنك لاتملك القدرة الكافية أو الطاقة لتشرح لهم ما تشعر به، فتكتفي بالجلوس أمام مدفأة ذاتك وتتقوقع فوق ذلك الكرسي الهزاز داخل عقلك في صمت لا تريد أن تفكر في أي شيء.

تريد أن تبقى هكذا في عالمك الصامت لا تعلم أصبحنا في أي زمنٍ ليلًا كنا أم نهارًا..

فقط كل شيء يمضي من حولك في سكون إلى أن تقرر أن تنهض وتعود إلى عالم الأحياء المليء بصخبة.

-أنا آسف أنا مش ناوي أكون ورقة ربح لقناة أو جريدة معينة تحقق شهره على حسابي..من فضلك بلغهم إعتذاري عن عدم قبولي وأنا هنزل رد شخصي على صفحتي للقرّاء مش لأي حد تاني.

تلك الصفحة التي كان يعتبرها منفذه الوحيد للتطلع من خلاله لآراء القرّاء المختلفة..كان دائمًا يبحث عن الآراء اللاذعة والشديدة النقد لتساعده على تطوير مهاراته.

***

بعدما تركته ذلك اليوم استمرت في اقناع نفسها ان ما فعلته كان صواب في محاولة لمنع نفسها من أي شعور بالندم على ما قالته له ولكن بعد تغيبه عن الشركة شعرت بشيء يخبرها أنها السبب خلف ذلك.. استمرت الأفكار تتردد بداخل ذهنها فأصبحت منذ لحظة وصولها للشركة حتى موعد انصرافها تبحث عنه تتعلل بأبسط الأشياء لتنتقل بين الأقسام متأملة رؤيته أمامها في أي لحظة كانت تقنع قلبها أن ما تفعله نوع من الشفقة والشعور بالذنب لأنها السبب.

عندما مرّت أربعة أيّام على غيابه ازداد قلقها وتوترها فهي تعلم أنه نشيط ولا يتغيب أبدًا عن العمل أيًا كانت الأسباب فقررت أن تستجمع قوتها وتتصل للسؤال عليه..

شعرت بالبرودة تسري في أطرافها وصوتها يتحشرج بداخل حلقها مع صوت الجرس لتستمع فجأة إلى صوته فترددت للحظات قبل أن تجيب.

-في فاكس وصل من أرب أيام ومعرفتش أوصله لحضرتك، استمعت إلى ضحكة خافتة منه فشعرت بالحرج الشديد واندفعت مبررة.

أنا آسفة لو أزعجت حضرتك بس الشغل مكنش ينفع يتأجل أكتر من كدة وعمومًا أنا هبعته لحضرتك على إيميل الصمت للحظات لما شعرته من غباء في قولها فقد أكدت له أنها لا تتصل من أجل العمل فهمت لإنهاء المكالمة فإذ به يسألها عن أحوالها فأجابته بكلمات قليلة ليفاجأها بطلبه لمقابلتها اليوم بعد انتهاء العمل وعلى غير عادتها وافقت دون أي تفكير.

قضت ما تبقى من يومها ما بين تعنيف نفسها لقبولها طلبه وفي نفس الوقت سعادتها الغريبة لمقابلته ورغبتها في أن تبدو في أفضل مظهر أمامه، ألقت نظرة سريعة إلى انعكاسها في زجاج المكتب الجانبي معدلة من وضعية لياقة قميصها اللبني المتفحصة بنطالها البيج بعينيها تطمئن ألا يوجد بها أي آثار لأقلامها الحمراء والخضراء كعادتها السيئة في تخريب جميع ملابسها كالطفل الصغير عندما يلعب بأقلامه الملونة ثم ظلّت تسأل نفسها في حيرة..هل أطلق شعري حرًا؟ أم أكتفي بتركه مجتمعًا إلى الأعلى هكذا حتى استقرت على تركه هكذا فهي الوضعية الأكثر راحة لها دائماً.

ظلّت تتفقد الساعة كل عشر دقائق شاعرة أن اليوم يمر كأنه عام

عجيب ذلك الوقت أحيانًا يمر بسرعة البرق وأحيانًا أخرى يكون ابطيء من سير سلحفاة في نهار مشمس فهو ينقضي عكس ما نريد، فحين نتمنى أن يتوقف الزمن عن الحركه يمضي مسرعًا وحين نرغب في الهروب وإنهاء تلك اللحظات نجده ثابتًا في موقفه لكنه في جميع

الأحوال دائمًا ما يمنحنا السعادة في بعض اللحظات والقوة والخبرة في لحظات أخرى.

وقفت تنتظره داخل بهو الشركه فترقب تلتفت يمينًا ويسارًا كل دقيقة تبحث عنه وهي تنظر إلى عقارب الساعة تكاد تشك أنها لا تتحرك مهما مرّ الوقت فشعرت بخيبة أمل لعدم حضوره وهمّت في الانصراف فإذ بها تجده مقبلًا تجاهها.

***

كلما شرع جود في كتابه شيء جديد كان يجد تلك المحادثه تقفز في رأسه فتشتت ذهنه..ظل طوال الأسبوع على تلك الحالة حتى قرر مواجهة أفكاره "لماذا أفكر بها كثيرًا! لماذا أشعر بالاستياء لما قلته لها؟! " ابتدأ في البحث عن حل ليريح نفسه من أفكاره التي تعرقله عن ممارسة حياته الطبيعيّة.

شعرت فريدة بشيء من الغرابة يحدث داخل المجلة في صباح هذا اليوم..ما السر خلف تلك التحية الغامضة والابتسامات الغريبة من الزملاء!!

ذهبت إلى مكتبها لتجد باقة من أجمل زهور الأوركيد البنفسجية المرتبة بشكل منمق ملتف حولها أحد شرائط الستان البيضاء بطريقة كلاسيكيية تعكس الذوق الراقي لراسلها ومعها بطاقة بيضاء كتب بداخلها "آسف" مع وجود الاسم فقربت الباقة من وجهها واستمرت في استنشاق رحيقها وهي سابحة في عالم آخر للحظات لتستفييق تاركة

إيّاه بوجهٍ عابس" آسف فقط!

هل يعتقد أن تلك الباقة ستفي بالغرض؟..هذا ما تعلمه عن الاعتذار "بالرغم من عدم رضائها الكامل إلا أنها كانت تشعر بداخلها بشيء من السعادة الغامرة لم يكن سببه أنها مرتها الأولى التي تتلقى بها باقة من الزهور لكنها مرتها الأولى التي تتلقى بها اعتذار بهذه الطريقة الأنيقة والغامضة لكن ذلك جعلها تشعر بمزيد من الفضول.

***

أقبل نحوها يلهث وكأنه شخص يحاول ألّا يفوته قطار عودته إلى الديار، قميصه الأسود وبنطاله الرمادي يمنحاه مظهرًا جديًا، ذقنه الطويلة تزيد وسامته قدرًا ربما لم يفعل ذلك عن عمد ولكن هيئته بالكامل جعلت قلب سارة يخفق سريعًا.

-آسف أتأخرت عليكِ بس الكاوتش قام بالواجب معايا النهاردة..

طمأنته ابتسامتها ومنحته الشجاعه ليكمل ما كان قد خطط له فجذبها من يدها واصطحبها بسيارته الــ بي ام دبليو السوداء، أما هي لم تبد أي نوع من أنواع الاعتراض.

-برضه مش ناوي تقولي إحنا رايحين فين؟!

أجابها وهو ينظر إليها في انعكاس مرآة القيادة:

-خلاص يا ستي أدينا وصلنا.. أنا عارف إنك مبتحبيش قاعدة الكافيهات والأماكن المقفولة حسيت الكورنيش والنيل والسما كلها

مفتوحة قدمنا ده أكتر مكان شبهك.

منذ لحظه وصولهم وهي لاتدرك ما يحدث تشعر وكأن كل ذلك حلم في منتصف ليلة صيفٍ، ظلت تحدق بعينيها تحاول أن تستوعب الموقف.

-عشان أوفر عليكِ كل الحيرة إللي أنتِ حاسة بها دلوقتي أنا جبتك هنا عشان عاوز أتكلم معاكِ في حاجة مهمة وكمان عشان أرد على كل الكلام إللي قلتيه المرة إللي فاتت.

قفزت من فوق المقعد الرخامي رافعة يدها بأسلوب دفاعي قائلة:

-أستاذ شريف أنا .. ليقاطعها في حزم واضعًا يداه على كلتا كتفاها ليرتخيا وتعود كرة أخرى لتجلس هادئة ويكمل هو ما شرع في قوله.

-أظن أنا سيبتك تقولي كل إللي عندك المرة إللي فاتت دلوقتي الدور عليّا..أنتِ متعرفيش أنا قعدت قد إيه افكر قبل ما اقول إللي هقوله دلوقتي .. ولا كام مرة قعدت أرتب كلامي واتدرب كأني موظف مبتديء بيتقدم لوظيفة، أنا معرفش أنتِ إزاي خلتيني كدة...!!!

كل كلمة قولتيها كانت صح أنتِ فهمتيني وخلتيني أشوف نفسي بصورة أوضح بس في حاجة أنتِ فهمتيها غلط.. أنا عمري ما فكرت فيكِ كبطلة لقصة من قصصي.. في لحظة معينة مش عارف أمتى بالظبط بس إللي متأكد منه إن من بعد اللحظة دي أنتِ بقيتي حاجة مهمة أوي وكبيرة بالنسبالي.

سارة أنتِ أغرب حاجة حصلتلي في حياتي معاكِ مش بعرف اصطنع وأمثل عشان أكسب إعجابك، معاكِ مش بهتم بالشكل والمظهر لأني دائمًا بشوفك أجمل إنسانة قابلتها معاكِ بضحك من قلبي وبنسى التقاليد السخيفة..معاكِ أنتِ بس اكتشفت قلبي الحقيقي إللي مكنتش أعرف عنه أي حاجة.

لم تستطع تمالك الدموع التي تسللت فوق وجهها في هدوء محترمة قدسية المشهد فأزالتها بأطراف أناملها وهي تنظر له.

-كل الكلام ده كان نفسي أقولهولك المرة إللي فاتت بس كنت خايف عليكِ خايف أجرحك، بس من اللحظة دي خوفي الوحيد هيكون من إني أخسرك، من اللحظة دي مش هسيبك تضيعي مني .. ياترى عندك استعداد تقبلي قلبى ؟!

فأومأت برأسها إعلانًا عن قبولها وانهمرت الدموع من عينيها فأصدر صافرة كإشارة لشيء ما مشيرًا بإصبعه إلى الأعلى ف امتلأت السماء في لحظات بالألعاب النارية لتتحول وتتشكل على هيئة كلمات.

نظرت لها سارة في ذهول وإذ بها ترى سحابة من الدخان على هيئة I love you..

كانت تلك اللحظة من أكثر اللحظات الساحرة في حياتها لم تكن تدري أنه سيأتي يوم بهذا القدر من الروعة والخيال شعرت وكأنها من مشهد خيالي من دراما تلفزيونية.

ده وعدي ليكِ إنك أنتِ أول وآخر إنسانة هتدخل جوا قلبي.

***

عند انتهاء عملها وانصرافها من المجلة تفاجأت به أمام الباب الرئيس فلم تكن باقة الزهور هي نهاية اليوم، حاولت أن ترسم بعض الملامح الجدية على وجهها لتظهر له عدم اهتمامها بما أرسله حتى ترى ما سيحدث، فوضعتها ابتسامته الحانية في مأزق مما جعلها تنسى كل شيء في لحظات.

ولكنها شعرت بالحرج لتواجدهم أمام المجلة وتطلعات زملائها لها أثناء خروجهم فأدرك جود الموقف و طلب منها أن يكملا محادثتهم أثناء سيرهم..

كانا يرتديان ملابس متشابهة وكأنه زي موحد، بدلة سوداء وقميص ناصع البياض ولكن كان اختلافهم الوحيد رابطة العنق السوداء التي كان يرتديها جود مضفية ساعة يده الجلدية أناقة مظهره المعتاد ... اقتربوا من الوصول ومازال كلا منهم صامت في نفس اللحظة شرع كل منهم في الحديث وكأن تلك العقدة التي منعتهم عن الحديث قد زالت.

"آسف"..."آسفة"

نظر كل منهم للآخر وابتسما فترك لها الحوار لتستكمل ما كانت مزمعة لقوله فعلى الرغم من فظاظة وصعوبة شخصيته إلا أنه يتحلى في بعض الأوقات بقليل من الذوق الرفيع.

-أنا آسفة عشان أنا كمان احتديت في ردي على كلامك.

-أنا إللي آسف على أسلوبي وقتها مهما كان ضغط الشغل ما كنش المفروض أتكلم معاكِ كدة دي أول مرة انفعل فيها على حد اعذريني.

ساد الصمت مرة أخرى فتطلعا إلى منظر السماء وكلٌ منهم يفكر..

"هل أعجبها الورد ؟"

"كيف علم أنه نوعي المفضل من الزهور ؟!!"

"أنا بحب الورد البنفسجي"

فنظر كلٌ منهم باندهاش للآخر وتعالت ضحكاتهم

-نفس الكلام في نفس اللحظة تفتكري ده معناه إيه؟

-معناه ..معناه إننا فكرنا في نفس الحاجة في نفس اللحظة.

-لا معناه إن إحنا الاتنين بنحب الورد البنفسجي.

فشعرت بالخجل الشديد مما جعل وجهها شديد الاحمرار كأنه يحترق فحاولت تغيير مسار الحديث قائلة:

-أنت ليه مقولتليش إنك مدير الشركة وقولتلي إنك عازف كمان؟

أدرك جود أن فريدة قد تقابلت مع " ذاك" فحاول أن يجد سريعًا إجابة مقنعة ولكن ظهور شريف وبصحبته سارة فجأة أمامهم غير مسار الحديث كليًا.

كم هي صغيرة تلك الحياة تجمعنا بأشخاص وكأن كل منا حلقة مترابطة في سلسلة طويلة..اجتمعا جميعهم أمام المنزل الخاص بسارة وفريدة فاكتشف شريف وجود أن كلا من فريدة وسارة جيران وأصدقاء مقريبن منذ الصغر.

***

-طلعتي عيني بقالي أسبوع كامل بقنع فيكِ عشان تطلعي معايا الرحلة.

-أنتِ عارفة يا سارة أنا مبحبش الزحمة وكمان الرحلة مطلعاها شركتك يعني أنا معرفهمش لو طلعت معاكِ هحس نفسي غريبة وسطهم.

-أولاً هي مش زحمة ولا حاجة لأنها خاصه بمديرين وروؤساء الأقسام، ثانيًا أنتِ تعرفي أستاذ شريف وأستاذ جود يعني مش غريبة ولا حاجة دي أولَ مرة ليّا أطلع معاهم رحلة، لو كنتِ معايا هننبسط ومش هحس نفسي وحدي وبعدين يا ستي دول كلهم أربع أيام.

-اقنعتيني بس عارفة لو منبسطتش هخليكِ تعزيمني كل يوم ولمدة شهر قدام.

-اتفقنا يا فرفورتي.

سارة وفريدة ذلك الثنائي المرح منذ لحظة انتقال فريدة لمنزل جدتها منذ أكثر من عشرة أعوام قد أصبحا أصدقاء مقريبن يرتادون نفس

المدرسة وعلى الرغم من اختلاف مجال حياتهم العملية لم تستطع مشاغل الحياة أن تجعلهم يفقدوا صداقتهم فما يجمعهم من أخوة وصداقة أكبر بكثير من أي شيء.

***

كم يكره جود تلك الرحلات السنوية التي تقيمها الشركة فلابد من وجوده وظهوره مدير للشركة لكنه لا يراها كنزهة فهي بالنسبة له مجازفة مليئة بالأخطار عليه دائمًا أن يحافظ على انفعالاته ويتحكم في أعصابه وتصرفاته وألا يسمح بظهور أي شيء عن سره الخفي للمحافظة على سمعة ونجاح الشركة.

ولكن هذه المرة اختلف الوضع كثيرًا بعد تفاجئه بوجود فريدة معهم ولأول مرة لا يشعر بالندم لوجوده.

عندما تتكرر تلك المصادفات العجيبة التي تجمعنا بشخص تجعلنا في حيرة معقدة غير قادرين على استيعابها أو إيجاد أسبابها ولكنها تمنحنا شعور غامض بالسعادة

ظل جود مستيقظًا طوال الليل فهو عادةً ليس لديه الجرأة على النوم بداخل الأتوبيس خوفًا من أن تخرج الأمور عن السيطرة.

فابتدأ في قراءة أحد الكتب ليقضي وقته حتى لاحظ فريدة على الجانب الآخر وهي في ثبات عميق ظل يحدق بها ويتأمل ملامحها إلى أن لاحظ تلك الرجفة التي تنتابها فخلع سترته الجلدية ووضعها عليها

فشعرت به فريدة في تلك اللحظة ولكنها ابتسمت في صمت كي لا يلاحظها.

عقب وصولهم مباشرة تلقت مكالمة هاتفية منه يخبرها أنه قد رتّب برنامجًا مختلفة خاص بهم هم الأربعة فقط.

-أوعي تقولي أنك بتفكري تنامي؟

-أنتَ متصل بيا عشان تقولي كدة!

-معاكِ ساعة من دلوقتي وتكوني جاهزة أنتِ وفريدة عشان في مكان حلو أوي هنروحوا.

-هو يعني عشان دي أول مرة نيجي شرم هتعمل نفسك المرشد السياحي بتاعنا.

-عندك مانع يا هانم.

-أكيد لا طبعًا.

-متتأخرروش سامعة، وحشتيني.

-ألو ألو الصوت بيقطع بتقول إيه؟

-بيقطع ماشي ماشي في بنت أجنبية معدية قدامي دلوقتي هروح أخليها تشوف الصوت بيقطع ليه.

-جرب كدة عشان أطلع عينك..وأنتَ كمان وحشتني على فكره.

كان يتفنن في استفزازها ليخرج ما بداخلها تجاهه فهو يعلم أن ليس

من السهل عليها الاعتراف بما شعر به، لم يكن يترك أيّة فرصة تأتي أمامه ليكن بجانبها باحثًا دائمًا عن الأشياء التي تحبها ليفاجأها بها ويرى ابتسامتها التي جعلته شخص لديه استعداد للذهاب إلى المريخ فقط ليجعل تلك الابتسامة تضيء وجهها.

جلست فريدة أمام المرأة فيما يقرب من ساعتين جربت خلالهم ارتداء جميع القطع التي أحضرتهم معها لتختار ما سترتديه أثناء السهرة، تلك الحيرة التي لم تكن تواجهها سابقًا حتى في أهم المناسبات التي ذهبت إليها من قبل.

***

منذ لحظه خروجهم سويا لم يكف جود عن التحديق بفستانها الاصفر المليءبالفراشات الصغيره المونه وكأنها زهره تجتمع من حولها فراشات الحديقه استمرت عيناه في تأملها حتى اصبح الأمر ملحوظ فوخزه شريف لكى يكف عن ذلك.

أدرك جود الموقف وشعر بالحرج فتركهم متعذرًا بقيامه بمكالمة هاتفية مهمة مبتعدًا قليلًا ليلتقط أنفاسه بعد شعوره بالحرج.

ظلت سارة تتلفت في اندهاش أثناء سيرهم بالممشى المطل على البحر وانعكاس أضواء المقاهي على وجه المياه لترسم ذلك المنظر الطبييعي الساحر فكان حبهم الشديد للطبيعة هو الرابط المشترك بين فريدة وسارة.

بعد اختيارهم لإحدى المطاعم المطلة على الشاطيء طلب شريف من سارة أن تشاركه تلك الرقصة ال slow

كان يدرك حبها الشديد للون الأبيض فارتدى قميص أبيض بأكمام قصيرة و بنطالًا قصيرًا

"شورت" بلونه البترولي المميز أما هي فكانت تبدو كإحدى حوريات البحر بفستانها الأبيض الطويل دون الأكمام يحتضن كتفيها شالٌ من الكشمير الأحمر ونجمة بحر صغيرة تجمع الجانب الأيسر من شعرها المموج فتشعر عند رؤيتها أنها خرجت للتو من إحدى القصص الخرافي التقت عيناهما وهم يتمايلان على أنغام"sway "

شعرت فريدة بالإحراج لبقائها بمفردها مع جود ولكنها لمحت في عينيه تلك النظرة العميقة إلى البحر فلم ترد مقاطعته فاستمرت في النظر إليه في صمت تتأمله كيف يزيد الأسود من هيبته وغموضه ذلك القميص والبنطال الأسود تلك القلعة المليئة بالأسرار ماذا بداخلها ...تود لو تستطع فك طلاسمٍ شفراتها المخفيه بداخل عينيه إلى أن استدار بوجهه فجأة نحوها قائلًا:

-ياترى في حاجه على وشي مخلياكِ تركزي فيه أوي كدة؟

أحمرت وجنتيها خجلًا وارتبكت في ردها فابتسم وهو ما زال مثبتًا نظره إلى البحر، واستأنف قائلًا:

-أنا بهزر معاكِ..عارفة يا فريدة كل ما بقعد قدام البحر بشوف فيه

نفسي أوي .على قد ما هو شفاف وصافي على قد ما هو غامض وعميق مهما افتكرتي إنك وصلتي لأعماقه تكوني لسة يدوب على السطح.

-أنا بقى بالنسبالي على قد ما بحب البحر على قد ما بخاف منه.

-أه عشان ما بتعرفيش تعومي وبتغرقي وتتعبي الناس معاكِ.

فابتسمت موجهة نظرها إلى البحر قائلة:

-لا مش ده السبب، أنا بطبيعتي بخاف من الحاجات إللي بحبها عكس باقي الناس..البحر المكان إللي بلاقي فيه راحتي وبلاقي فيه نفسي بس بخاف منه، بخاف يتخلى عني فمرة .. زي ما بشوفه الإيد إللي بتطبطب عليّا بشوف فيه الإيد إللي ممكن فلحظة تسيبني أقع.

عندما أنهت كلماتها وجدته مثبتًا نظره على وجهها ف شعرت بخفقة سريعة تسري بقلبها لم تستطع السيطرة عليها فانحنت واتخذت قليلًا من المياه وإزاحتها على وجهه لتحول تلك الأجواء المليئة بالاعترافات إلى لحظات من المرح فبادلها جود بدوره وكأنها مشاكسة بين طفلين يركضان لهوًا على الشاطيء لتعلو أصوات ضحكاتهم..

تلك كانت المرة الأولى التي يضحك بها جود من أعماقه منذ فترة طويلة.

بعد انتهاء السهرة كان كل منهم مستلقيًا في غرفته سابحًا في عالم مختلف، سارة تفكر في لحظاتها السحرية برفقة شريف، وفريدة في عالمها الآخر تسترجع في ذهنها ضحكته الطفولية والنظرة اللامعة التي

جعلت قلبها يخفق بشدة.

***

في صباح اليوم التالي فاجئهم شريف باصطحابهم إلى مدينة الملاهي..فهو قد بحث وراء كل الأشياء التي تحبها سارة ليضعها في برنامج رحلتهم لم يترك أي تفصيلة إلا ليصنع منها لحظات مميزة معها.

شعر جود باختناق شديد أثناء تجولهم ورغم إلحاحهم أمام الألعاب لاقناعه بالركوب معهم كان رفضه صارمًا إلى أن وصلوا إلى تلك الساقية الدوارة فشعر فجأة بألم شديد داخله، يسحق رأسه وهو يعرض له بعض المشاهد واللقطات في عقله ليتذكر بعض تفاصيله الضائعة.

عندما كان صغيرً هو وابن عمه ذهبا ليركبا تلك اللعبه دون أن يخبروا والديهم و أثناء دورانها شعروا بخوف شديد من سرعتها جعلتهم يبكون ويستغيثوا بسبب ارتفاعها الشاهق وسرعتها وعند خروجهم احتضن والد شريف ابنه في محاولة لتهدئته بينما قد قام والد جود بصفعه وانتهره لعدم سماعه الكلام ..لم يلحظ ذلك الجرح الذي حدث له، لم يطمئن عليه أو يحاول تهدئته ولكنه قام بتعنيفه فقط ومعاقبته.

بعد تذكره تلك الذكريات غير المألوفة شعر بألم شديد وظلام يكتسح رؤيته وكأن السماء من حوله اطفأت أنوراها ورئته تجاهد بصعوبة لاقتناص الأكسجين وكل شيء بات بلا جاذبيه ليمسك به شريف قبل أن يسقط أرضًا.

استيقظ جود خلال دقائق ليرى نظرة الرعب والقلق في أعين الملتفين حوله ولكنه لا يفهم ما سببها ليصيح شريف في وجهه قائلًا:

-خضتنا يا أخي عليك..حاسس بإيه تحب نروح مستشفى؟

قفز في خفة من فوق المقعد الخشبي قائلًا:

-أنت عبيط يابني بقى في حد يسيب مدينة الملاهي ويروح مستشفى..ها يا شباب تحبوا نبتدي بأنهي لعبة؟؟

نظر الجميع باستغراب متحيرين كيف تبدل رأيه في وقت قصير والأغرب هو اختياره أكثر الألعاب صعوبة وخطورة، وحده شريف الذي استطاع أن يدرك السر.

في المساء استيقظ ليجد نفسه بداخل الغرفة لا يتذكر ما حدث و كيف وصل إلى هنا، فاتصل بشريف ليخبره أنهم شاهدوا أحد العروض التاريخية وأنهم في طريقهم للعودة.

قضى ليلته في شرفة الغرفة يحاول أن يسترجع أحداث اليوم ويفهم أسباب ظهور ذكرياته وإذ به يلمحها متجهه إلى مكان مرتدية تلك العفريتة الزرقاء salopette كما يطلقون عليها بالفرنسية وأسفلها بلوزة بيضاء قطنية وتسريحة شعرها الطفولية منقسم إلى جزئين تجمع كلا منهما على حدة إلى الأعلى تبدو حقًا وكأنها طفلة ذات العشرة أعوام.

تملكه الفضول من تصرفها فالساعة قد اقتربت من منتصف الليل فــقرر اكتشاف الأمر

-إيه إللي منزلك في الوقت ده أنتِ مجنونة!

-في حاجة بقالي كتير معملتهاش والليلة دي آخر فرصة ليا.

-إيه الألغاز والفوازير دي حاجة إيه وفرصه إيه؟؟

-لو عاوز تعرف تعالى معايا.

بسطت فريدة غطاء كبير مليء بالمربعات الحمراء والبيضاء فوق رمال الشاطيء وتمددت عليه واضعة ذراعيها المتشابكين أسفل رأسها في صمت إلى أن وجدته واقفًا بجانبها يتلفت يمينًا ويسارًا ليس هناك وجود لأي إنسان بجوارهم وحده البحر أمامهم وصوت أمواجه المتلاطمة تتعالى فالمد وصل إلى ذروته.

لمحت تلك النظرة المتحيرة في عينيه فـــابتسمت ناظرة إلى السماء قائلة:

- في آخر ليلة في كل مصيف كنت دائمًا أنا وبابا بنسهر قدام البحر نتفرج على الشروق والسما بتغير ألوانها لحظة بلحظة...تقريبًا من ١٥ سنة كانت آخر مرة سهرنا سوا قعدنا نعمل بيت كبير من الرمل كنا متفقين إن السنه إللي بعدها هنتيجي ونعمل بيت أكبر بس هو ضحك عليّا وسابني قبل ما ينفذ وعده، فسقطت دموعها على جانب عينيها.

نظر لها جود متفهمًا محاولتها تماسك في صنع مربعًا بأصابعه ملتقطًا صوررًا وهمية إلى السماء

-استنى كدة أركز يمكن ألاقي اسمك مكتوب عليها.

نظرت له في غيظ قائلة:

-بتتريق عليّا، أنا غلطانة إني عرفتك على النجم بتاعي خليك أنتَ في حساباتك.

فانطلق ضاحكًا عندما رأى تلك اللهجة والنظرة الطفولية شعر وكأنها طفلته.. مرّ الوقت ونشرت الشمس أشعتها في السماء لترسم لوحة فنية مميزة.

***

ظل جود يفكر طوال اليوم في طريقة يعبر بها عن شكره لفريدة من أجل جميع اللحظات الممتعة والجديدة التي منحته إيّاها وجعلته يختبرها للمرة الأولى.

لفت انتباهه أثناء تجولهم في السوق الشعبي بلورة سحرية من الزجاج المضيء يسبح بداخلها نجوم فضية صغيرة تطفو وتهبط في فوضوية سحرية تشعر معها بأنك قد ذهبت إلى كوكبك الخاص فذكره ذلك بما قالته له.

على الرغم من قضائهما اليوم بأكمله سويًا دون أن يتركوا لحظة واحدة ليستريحوا بها من رحلة سفاري نهارًا إلى الجولة الحرة مساءًا إلا أن سارة كانت تشعر بالحزن؛ لانتهاء الرحلة فكانت تلك الأيام التي قضتها بصحبته عن قرب تعتاد على وجوده بجانبها طوال اليوم وهي تعلم استحالة استمرار ذلك الوضع عقب عودتهم ولكنها قررت أخيرًا

ترك أفكارها جانبًا لتستمتع بآخر ساعات لهم قبل العودة.

وضع جود هديته على الكرسي الخاص بها لكي تتفاجأ عند تحركهم ولكنه هو من تفاجأ عندما عاد إلى المنزل ووجد بداخل حقيبته بردية تحمل منظر الشروق كتب خلفها شكرًا إنك حولتلي الذكرى الصعبة لذكرى مفرحة بوجودك معايا..فريدة.

****

أيهما أصعب بداية النهاية..أم نهاية البداية؟!

ابتسمت عند رؤيتها اسم المتصل فوضعت كوب القهوة من يدها فوق المكتب لتجبْ وهي متجهة إلى نافذة مكتبها تتأمل حديقة المجلة الخلفية تتطمئن لعي حال أزهار الياسمين والريحان، تمنّت لو كان بإمكانها أن تضع مكتبها بالأسفل في وسط هذا المنظر المريح تاركة الأماكن المغلقة ولعنتها..شردت للحظات حتى اخترق صوت سارة الرفيع طبقات أذنها الداخلي

-من وقت ما رجعنا وأنا مش عارفة أشوفك ولا أنتِ بتهربي من العزومة اعترفي.

-أنا وعدتك بعزومة يا بكاشة أنتِ، و بعدين إحنا فيها أهو أنا فاضية النهاردة عدي عليّا بعد الشغل ونَخرج سوا.

-هو ده الكلام يا فرفورتي..جهزي نفسك بقى للقاعدة دي

وحسك عينك تخبي عليّا حاجة أنا لازم أعرف أستاذ جود قالك إيه وأنتِ قولتيله إيه في الرحلة ها.

-إذا كان كدة يبقى العزومة عليكِ بقى.

-أنا قلت غلباوية ياربي وميضحكش عليكِ محدش صدقني... ماشي يا ست زفتة عليّا المرة دي وأمري لله.

لم يكتفِ جود بالاحتفاظ بالبردية ولكنّه صنع لها إطارًا زجاجيًا خاصًا ووضعها فوق مكتبه ليراها دائمًا ويتذكر لحظاته السعيدة برفقة فريدة.

كانت تراوده كل يوم فكره أن يتحدث إليها على الهاتف للاطمئنان عليها ولكنه يجد شيئًا بداخله يمنعه من فعل ذلك حتى تغلب قلبه على عقله في نهاية الجولة بعد مرور شهر في هذه الحالة قرر جود أن يستجمع شجاعته ويطلب من فريدة الخروج معه.

على عكس طبيعتها الغير فضولية كانت فريدة بذلك اليوم يتملكها الفضول القاتل عن سبب دعوته "ياترى عاوز يتكلم معايا بخصوص الشغل ..لا لا لو الشغل كان طلب مني أجيله الشركة...ياترى هو في حاجة مزعلاه عاوز يحكي لي، لا برضه معتقدش"..

ظلت تفكر وتفكر طوال اليوم حتى أتت اللحظة المنتظرة وأخبرها أنه أمام المجلة ينتظرها.

عندما رآه سامح للمرة الثانية منتظرًا فريدة أمام المجلة شعر بالقلق

والغيرة من العلاقة التي تربطهم وتملكه الغضب ولكنه لم يرد أن يتسرع في حكمه قبل أن يبحث خلف الأمر.

-حلوة أوي البردية...هي أي نعم ألوانها باهتة بس شغالة، قالها واضعًا كلتا يداه في جيوبه متظاهرًا بنوعٍ من اللامبالاة.

فنظرت له في غيظ قائلة:

-لو مش عجباك هاتها.

لتجده ينفجر ضاحكًا فازداد غضبها قائلًا لها:

شكلك وأنتِ متغاظة بيبقى حلو أوي، بحس بانشكاح كدة وأنا عارف أنرفزك.

-طيب كويس أنك قولت لي عشان المرة الجاية مش هتغاظ ...ها قل لي بقى..

-أقولك إيه؟؟

-لا ما تحاولش مش هتعرف تغيظني المرة دي ...قول لي إيه سبب الخروجة دي.

في منتصف حديثهم لمح جود صبي بسترته الزرقاء وبنطاله الأسمر تستطيع أن ترى أن هذا الكائن الصغير الضعيف لا يتخطى عمره الحادية عشر عامًا على الجهة المقابلة من الطريق مطروح أرضًا يتلقى اللكمات في استسلام وضعف من شخص آخر قصير القامة ممتلىء بعض الشيء

يرتدي سترة رياضية رمادية وفوق رأسه كاب أسود اللون.

وقبل أن تدرك فريدة ما يحدث رأت جود ممسكًا بالصبي الآخر موجهًا له ضربة تلو الأخرى دون توقف في غضب عارم ليتحول بين يديه إلى جثة هامدة حاولت فريدة منعه بكل قوتها ولكنها لم تستطع.

-سيبه يا جود هيموت في إيدك سيبه خلاص، صرخت به وهي ترتجف أمام ذلك المشهد المرعب فأسقطه أرضًا وابتعد إلى الخلف بضع خطوات وهوينظر إلى يديه ثم ينظر إلى الشخص المطروح أرضًا في ذهول..

ركض مسرعًا فلحقت به فريدة حتى وجدته عند أحد الأركان على الرصيف يلتقط أنفاسه بصعوبة والدموع تتساقط من عينيه، جلست بجانبه محاولة تهدئته فإذ برأسه تسقط فوق كتفها فاقدًا الوعي، شعرت فريدة وكأنها بداخل قصة بوليسية لاتدري ما يحدث وكأن عقلها توقف عن العمل كيف تتصرف الآن، ظلت تبحث بيدين مرتعشتين عن هاتف جود حتى وجدته وحادثت شريف فهو الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتها.

بعد اطمئنانها على جود ذهب لتوصيل فريدة؛ فهو لن يستطيع تركها في تلك الحالة تذهب بمفردها وأيضًا كان يرغب في سماع القصة ليفهم ما حدث؛ فهو يعلم أن جود حين يستيقظ لن يتذكر أي شيء.

مرّ يومان على تلك الحادثة وفريدة لا تعلم أي شيءٍ عن جود كلما حاولت الاتصال به تجد الهاتف مغلق ولكنها تعلم أن شريف بجانبه مما

جعلها تشعر بشيء من الإطمئنان.

***

عند استيقاظه لمح شريف يجلس بداخل غرفته مستندًا برأسه فوق يديه ناظرًا له نظرة انتظار وترقب، ربما من كثرة اعتياده لرؤية ذات المشهد لم يعطِ للأمر أهمية...

-إيه ده أنتَ هنا من أمتى؟

أخيرًا صحيت، أنتَ كويس؟؟ حاسس بحاجة تعباك تحب أتصل بالدكتور؟!

-أنتَ غريب ليه كدة النهاردة..قول صباح الخير الأول.

طاف شريف بالغرفة ملململًا الستائر ذات اللون البني في محاولة لجعل دفيء الشمس يتسلل إلى روح جود الشديدة البرودة ليستجمع قوته.

حاول النهوض من فراشه ولكن الألم الذي شعر به في كافة ـجزاء جسده ـأجبره على المكوث ممداً، فنظر إلى شريف قائلًا:

-في حاجة حصلت يا شريف صح؟

-اهدا وخليك مرتاح في السرير وأنا هفهمك كل حاجة.

بعد سماعه للقصة بأكملها شعر بخوف شديد يتملكه وازدادت الانقباضات بداخل رأسه

-جود من فضلك اهدا وسيطر على أعصابك عشان نفكر بالراحة

في حل للي حصل وإيه الكلام إللي المفروض تشرح فيه موقفك لفريدة أنتَ بقالك ٤٨ساعة نايم وهي عمالة ترن عشان تطمن عليك وأنا بكنسل عليها في كل مرة لأني مش عارف هقولها إيه.

***

بسبب كل تلك الأحداث التي مرت منذ عودتهم من الرحلة لم يستطيعوا رؤية كلا منهم للآخر على الرغم من أنهم يعملا في نفس الشركة.

استطاع شريف مؤخرًا أن يوفر القليل من الوقت ليتناول وجبة الغداء بصحبة سارة في مطعم إيطالى مجاور للشركة فذلك مكانه المفضل والمريح طلب لها قبل أن تصل بيتزا الجمبري المفضلة لديه فهو قد اعتاد تناولها مسبقًا حتى أصبحت وجبته الخاصة والمميزة في أكثر الأيام إرهاقًا له، فالطعام بالنسبة له من الأشياء المقدسة بحياته بعد عمله.

ظل ينظر حوله كثيرًا باحثًا عنها من خلف جدران المطعم الزجاجية إلى أن لمحها تضع طاقتها في دفع الباب والدخول بسترة جلدية سوداء مليئة بالجيوب أسفلها بلوزة بيضاء ذات رقبة عالية تتدلى من أعلاها لسلسة رقيقة بها حرف الـــ .."s"

فهو حرفها المفضل والمشترك بينهما نظر لها بابتسامة إلى الأعلى مبديًا إدراكه لطولها الإضافي اليوم الذي منحه إياها ذلك الحذاء الأسود المقفول من الأمام..في كل مرة يراها بها يشعر أنها مرته الأولى يريد أن يظل هكذا ينظر لها ويتأملها طويلًا...خرج من صمته ورفع إحدى

زجاجات الكاتشب الموضوعة أمامه.

-عارفة لو كنتي اتخأرتي ربع ساعة كمان..

-ها كنت هتعمل إيه يعني؟؟

-كنت هستناكِ طبعًا وأمري لله.

-أيوة كدة وبعدين ما أنتَ ياما أتأخرت عليّا ولا نسييت أهو مرة من نفسي أنا كمان.

عادةً ما كان يسمح شريف لأحد بالتأخر عليه..ولكن كل تلك العادات والقواعد حطمت منذ لحظة دخول سارة إلى حياته.

عقب انتهائهم من تناول وجبتهم تذكرت أنها لم ترَ أي من الصور التي التقطوها أثناء الرحلة فأمسكت بهاتف شريف تبحث عنهم فوجدت أمامها ألبومًا خاص مليء بصور تجمع شريف مع العديد من الفتيات وبعض منها يعطي انطباع عن وجود علاقة وطيدة تربطهم، أرادت تكذييب ما تراه، أرادت أن تضع له عذرًا ولكنها صدمت حين وجدت أن بعض الصور تحمل تاريخ يلي تاريخ عودتهم من الرحلة مما يعني أنه على علاقة بتلك الفتيات حتى بعد اعترافه لها بحبه.

شعرت بغصة تخترق قلبها فانصرفت مسرعة قبل أن تخونها دموعها وتنهار أعصابها أمام جميع من في المطعم..عندما عاد بعد دفع الحساب ولم يجدها خرج مسرعًا يبحث عنها..

-أنتِ رحتي فين؟؟

-مالكش دعوة اقفل دلوقتي مش عاوزة اتكلم معاك.

-أنتِ بتبكي ليه في إيه حصل متخضنيش؟!

استمع إلى صوت بكائها يزداد فصاح بها صارخًا:

-بطلي لعب العيال ده قولي لي أنتِ فين؟!

ذهب إليها مسرعًا بعد انتهائه من مكالمتها ليجدها تسير في الشارع المقابل لمنزلها..

-ممكن افهم إيه إللي عملتيه ده؟

-مفيش حاجة..

نعم !!مفيش حاجة إزاي ده جنان ولا إيه؟

-من فضلك امشي وسيبني دلوقتى.

-لا مش همشي ومش هسيبك أنا عاوز اعرف إيه إللي حصل خلاكِ تبقي في الحالة دي.

-تصدق أنا ما كنتش اعرف إنى غبية أوي كدة.. رغم إني كنت عارفة قد إيه ليك علاقات مع بنات مختلفة بس لما جيت وقولت لي إنك بتحبني، لما قولت لي إني أول وآخر واحدة تدخل قلبك أنا صدقتك وقلت لنفسي مش مهم الطريقة إللي كان عايش بيها قبل ما يعرفك مش من حقك المهم الجاي من بعد ما عرفك.

أنتَ متخيل إيه إحساسي وأنا بشوف صورك مع بنات خرجت

معاهم بعد أما ابتدينا نحب بعض إللى إيدها في إيدك وإللي سانده راسها في كتفك للدرجة دي مشاعري ماهاش أي احترام بالنسبالك؟!!

-مين قالك إن مشاعرك ماهاش احترام بالنسبالي، أنا لما قولت لك إنك أول وآخر واحدة دخلت قلبي مكدبتش عليكِ يا سارة بس ده مش معناه إنك هتقيدي حريتي أنا رجل عادي لما أسهر وانبسط شوية كل دول حاجات عابرة بتاخد وقتها وتروح لكن في الأول والآخر أنا برجع لمين؟ مش لكِ أنتِ ويوم ما هرتبط هرتبط بمين غيرك؟

-تفتكر لو كان الوضع العكس كنت هتقبل ده على نفسك وعلى مشاعرك؟

-لا طبعًا الرجل رجل والبنت بنت..أنتِ مينفعش تعملي كدة.

-ليه أنا مش إنسان من لحم ودم وعندي مشاعر وقلب زيك إيه إللي يميزك عنّي أو يديك الحق إنك تعمل فيّا كدة!!

لم تستطع استيعاب ما تسمعه هي تعلم أنه يملك الصفات الصعبة ولكنها لم تدرك أنها بتلك الصعوبة والقسوة فانصرفت منهية الحديث عند هذه المرحلة فما تشعر به من وجع يكفيها وليس لديها المزيد من الطاقة لتستكمل الجدال أمام حماقته.

***

واصلت فريدة الاتصال مرارًا وتكرارًا حتى وجدت هاتفه متاح فشعرت بشيء من الاطمئنان ولكن بالرغم من ذلك لم تجد أي استجابة

لاتصالها استمرت في المحاولة طوال الأسبوع حتى ادركت أنه يتجنبها.

أرادت أن تستمر في الاتصال، أرادت أن تطمئن عليه ولكن كبريائها منعها فهي لن تفرض نفسها أبدًا على أي شخص فقررت تركه أخيرًا ليرتاح وإن كان هناك أسباب أخرى لعدم اتصاله سيعاود حتما الاتصال بها لاحقًا.

بالرغم مما تمر به سارة من ضغوط ومشاكل إلا أنها كانت أكثر استياءًا لحال صديقتها التي أصبحت عليه، ليست هذه فريدة صديقة طفولتها المرحة الخفيفة الظل التي تمنح القوة والتفاؤل لكل من يقابلها.

تشعر أن لجود علاقة بالأمر ولكنها لا تدرك التفاصيل، حاولت البحث في الأمر ولكن مازاد صعوبته أن أمورها لا تسير على ما يرام مع شريف فكيف لها أن تستفهم ما حدث...حتى لمحت في النهار ذلك اليوم جود ذاهبًا إلى مكتب شريف فشعرت أن من واجبها أن تفعل شيء ما.

-إيه عايزة إيه دلوقتي؟

-يا ستار يارب على الكآبه فكي بوزك كدة شوية.

-حاضر أديني فكيته ها عاوزة إيه دلوقتي مش عادتك تتصلي بيا وإحنا في الشغل.

- كويس إنك عارفة إنها مش عادتي وده معناه إن الموضوع مهم.

-كفاية رغي وقولي لي عاوزة إيه؟؟

-خلال ربع ساعة ألاقيكِ عندي في الشركة.

-استنى ربع ساعة إزاي وآجي الشركة ليه؟

-لما تيجي هفهمك، يلا بسرعة بس وإن مجتيش لا أنتِ صاحبتي ولا عايزة أعرفك تاني يلا باي.

لم ترد سارة إخبارها عن خطتها لجمعها مع جود كي يتحدثا سويًا فهي تعلم جيدًا أكثر من أي شخص آخر شخصية فريدة الحساسة وأنها إن علمت سترفض ولكنها تلك الفرصة الوحيدة التي تملكها لتساعدها بها.

أسرعت فريدة في قلق فكل ما خطر ببالها أن هناك أمر سيء يحدث مع سارة لتلتقي به أمام باب الشركة نظر كل منهم للآخر في دهشة وصمت.

كلٌّ منهم بداخله العديد من الأحاديث ولكن لا أحد منهم يملك الشجاعة للبدء، ما أغرب هذه الحياة تجمعنا بهم حينما لا نريد أن نراهم وتحرمنا من رؤيتهم حينما نتجول مفتشين الطرقات اشتياقًا لرؤيتهم.

تلك اللحظة حينما نريد الهرب من من نحب ليس خوفًا منه ولكن خوفًا عليه، حينما نريد أن نعانقه بكل ما أوتينا من قوة لنغلق عليه بداخلنا ونتلقى عنه أي أذى من الممكن أن يصيبه ولكن تلك الحقيقة التي تجعل قلبنا يتحطم إلى أجزاء صغيرة..تلك الحقيقة التي ندركها أكثر من أي شخص آخر، إن وجودنا بجانب من نحب هو أكبر أذى

له وإن أقصى حب من الممكن أن نقدمه له هو ابتعادنا عنه بكل الطرق والأصعب حين نكون غير قادرين حتى على توضيح الأسباب.

عندما لم تجد فريدة أمامها أعتقدت أنهما قد تقابلا وذهبا سويًا ولكنها تفاجئت بها عند عودتها إلى المنزل تسير مقبلة تجاهها في شرود تام وبعينين متوهجتين من شدة حمرتهما وكأنها على وشك البكاء.

-أنتِ شفتي جود مش كدة؟

-أومأت برأسها إيجابًا دون أن تنطق.

-هو قالك حاجة ضايقتك طيب؟ فحركت رأسها نافية.

-أومال مالك إيه إللي حصل وليه مكتومة كدة؟

-ولا حاجة يا سارة.

-إزاي ولا حاجة إيه إللي قاهولك خلاكِ تبقى كدة؟

-ولا حاجة...دي الإجابه هو مقالش حاجه هو متكلمش معايا أصلًا، للحظة افتكرته مخدش باله مني لكن لا هو بصلي كويس، عيني جت في عينه بس مشي..بص لي ومقالش أي حاجة ومشي..."

انخرطت في البكاء فاحتضنتها سارة مربتة فوق كتفيها في محاولة لتهدئة مشاعرها.

كان الشيء الأكثر ألمًا لفريدة ليس تغييره في معاملته إنما تجنبه لها وعدم معرفتها السبب في ذلك.

***

برغم الأوضاع الغير مستقرة بينهم لم ينس شريف ذلك الحدث المهم بل اتخذ منه فرصة لمصالحتها بدأ في إعداد وتجهيز كل الترتيبات اللازمة، لم يتبقَ سوى الطريقة التي يحضر بها سارة إلى المطعم فساعدته فريدة في ذلك.

كانت تشعر بالكثير من الإحباط في ذلك اليوم لم تفكر في الكثير حين وافقت على اقتراح فريدة بالذهاب إلى إحدى الكافيهات القريبة من منزلهم حين هاتفتها فهي قد اعتقدت أنه لن يتذكر عيد ميلادها ولكنها تفاجئت عند وصولها إلى المكان بانقطاع الكهرباء لتجده أمامها ومعه جود ممكسًا ببعض الصواريخ الصغيرة وانضمت إليهم فريدة مغنيين لها على تلك الأضواء الخافتة "سنة حلوة يا جميل سنة حلوة يا سارة سنة حلوة يا جميل.

رغم صعوبة الموقف على فريدة لتواجدها بنفس المكان مع جود ورغبتها الشديدة في الهروب في تلك اللحظة كي لا تراه لكن ابتسامة سارة المضيئة جعلتها تتحامل فهذا اليوم مخصص لصديقتها.

بعدما اطفئت الشموع وتمنت سرًا أمنية العام الجديد اضيئت الأنوار لتقطيع الكعك وقد وضع عليها صورة دب صغير كتب أسفله "آسف.. بحبك ".

نظرت إليه بابتسامة ماكره وجذبته من أذنه قائلة:

-تفتكر يعني المفاجأة دي والورد والبالونات هيخلوني أسامحك، انفجر الجميع ضحكًا على ذلك المنظر فنادرًا ما كان يجمع شريف وسارة لحظات رومانسية دون أن تخلو من المشاجرات والمداعبات الطفولية يشبهن كثيرًا علاقة الحب التي تجمع بين ذلك القط المشاكس والفأر العنيد.

أثناء هذه الأجواء همّ جود في الانصراف مبكرًا دون أن يعطي أي أسباب، شعرت فريدة وكأن تواجدها أصبح عبيء ثقيل بالنسبة له لذلك يحاول تجنبها في أي مكان تتواجد به...فـقررت الانسحاب في هدوء لكي لا تراها سارة وتنزعج ويضيع مجهود اليوم هباءً فهي تريد لها أن تحظى بالمزيد من اللحظات السعيدة بجانب شريف، خاصة بعد ما مرت به الفترة الماضية.

لم يكن جود قد انصرف بالفعل ولكنه كان بالخارج ينظر لها من تلك المسافة البعيدة كي لا تراه فهو يشتاق كثيرًا لرؤيتها ويتمنى أن يتحدث إليها، يريد أن يخبرها كم هي جميلة الليلة وإن البلوزة الحريرية تناسب ملامحها الفرعونية، لم يتخيل أن اللون الأخضر سيبدو بتلك الأناقة عندما ترتديه، وبنطالها الأبيض يزيدها أنوثة مكملًا حذائها الجملي ذو الكعب العاجي الرفيع لمسته الخاصة..أراد بشدة أن يعاتبها لحرمانه من رؤية ابتسامتها اليوم ولكنه في نفس اللحظة لا يستطيع أن يقترب.

لما ذهب للخارج فاتخذ موضعًا له من الجانب الآخر من العمود الذي بالمدخل مختبأ كي لا تراه .. الكثير من الأشياء تدور بخاطرها ولكن

أكثر ما يزعجها هو ما تشعر به في هذه اللحظة، لم تمر بمثل المشاعر من قبل، هل ذلك الألم بسبب شعوري بالإعجاب به أم تلك ليست أكثر من تهيئات، والسبب الحقيقي هو أنه قرر تجنبي دون أسباب، عبرت الطريق وهي تفكر في كل التساؤلات دون أن تنتبه لوجود سيارة قادمة باتجاهها...

على الجانب الآخر كان يراقبها والسيارة تقترب منها وكأن المشهد يحدث أمامه بالتصوير البطيء يشعر بألم شديد ينتابه مجددًا ثم انطلق مسرعًا ليلقي بها بعيدًا عن السيارة في اللحظة الأخيرة.

لم تصدق أنها مازالت على قيد الحياة بعد تلك اللحظة التفتت وإذ بها تجده بجانبها قائلًا:

-أنتِ كويسة؟؟ في حاجه وجعاكِ؟؟

نظرت في ذهول من رؤيته وهويتفحص يديها وجبهتها ليطمئن عليها شعرت بضربات قلبها على وشك الانفجار فانتفضت محاولةً الوقوف لكنها شعرت بألم شديد في ساقها مع أول خطوة تخطوها لم تحتملها ساقها كادت أن تسقط أرضًا فمد يدها ووضعها فوق عنقه دون أي كلام ليأخذها معه.

منذ لحظة دخولهم وهي تتأمل اللوحات المعلقة بالداخل، انبهرت كثيرًا بسحر المكان بالرغم من بساطته المفرطة، جدرانه البيضاء وسقفه الخشبي القديم إلا إنه مليء بالتفاصيل المميزة كالمصباح العاجي الذي من العصور الوسطى وتلك المزهرية الموضوعة أسفل المرآة مزينة

برسمة لفتاة إسبانية تحمل جرة بيدها وهناك أيضًا في نهاية الحجرة فوق منضدة سوداء من خشب الأبنوس تمثال لوجه طفل صغير منحوت بعناية بالرغم من تلف بعض الأجزاء فيه إلا أن مستوى جماله الفائق مازال كما هو تستطيع أن تشعر معه أن ذلك الطفل الذي أمامك طفل حي وليس مجرد عمل فني..ظلت تحدق كثيرًا بما حولها إلى أن وجدته يجثو أمامها على ركبتيه، تيبست أطرافها من الخوف للحظات فنظر لها مبتسماً وبدأ في معالجة الجروح التي في ساقيها مستخدمًا الأدوات الطبية الموضوعة في الصندوق الذي بجانبه.

-معلش هو بيحرق شوية بس استحمليه، فأجابته بصمتها

-أنتِ مستغربة المكان إللي إحنا فيه مش كدة؟ فلم تعطه أي ردة فعل، فاستكمل حديثه..

-ده ياستي المرسم بتاعي كل فترة والتانية لما ببقى فاضي باجي هنا واقعد ارسم.

ليجدها في لحظات اندفعت بوجهه قائلة:

-هو أنتَ عازف ولا قاريء ولا رجل أعمال ولا رسام؟؟

-ابتسم في هدوء قائلًا: أنا أمير أمير وبس.

لم تستطع فهم ما يقول فلم تزد من الاسئلة حول ذلك الأمر.

***

استيقظ جود وهو يشعر بألم شديد في كتفه الأيسر لدرجة لم يستطع تحملها ولكنه لا يعرف السبب في ذلك، استمع إلى صوت هاتفه ليجد رسالة من فريدة تشكره فيها على ما فعله الليلة الماضية وتثني على ذلك المشروب الفريد الذي صنعه لها.

كانت تلك المرة الأولى التي يشعر بها جود بالفضول والغيرة من أحد يريد أن يعرف بأي وسيلة ما حدث في الليلة السابقة وما الحديث الذي دار بينهم ولكن كيف سيفعل ذلك.

-أنتَ فين يابني مجتش ليه الشركة أنتَ ناسي اجتماعنا النهاردة؟

-أنا لسة هخرج من المستشفى، عدي عليّا ونتكلم في الطريق.

لم يبد شريف أي اندهاش أو فضول عند رؤية جود يصعد إلى جانبه بالسيارة وذراعه الأيمن معلق بداخل ذاك الحامل الطبي..ربما لأنه يعرف أكثر مما يعرفه جود.

-ها أخبار فريدة إيه دلوقتي؟ التفت له جود في دهشة...

-أنا كنت في المستشفى عشان كتفي طلع فيه شرخ بسيط بس أنا مش قادر أعرف السبب لحد دلوقتي..بس أنتَ ليه بتقول عشان فريدة؟!!

-وإحنا خارجين امبارح أنا وسارة شفتك وأنت بتسند فريدة وبتركبوا تاكسي.

تذكر جود في تلك اللحظة ما حدث سابقًا وآخر ما رآه عندما كانت العربة على وشك الاصطدام فأحكم على قبضة يده محاولًا امتصاص

غضبه.

ترك شريف عجلة القيادة والتفت له:

-اوعى يكون إللي في بالي صح؟

-أيوة هو إللي كان مع فريدة المبارح ..أنا هتجنن مش قادر أفتكر أي حاجة عاوز أعرف إيه إللي حصل من البارح وراحوا فين !!

صمت للحظات عندما تذكر نص الرسالة الواردة من فريدة وشكرها على مشروب الشيكولاتة المميز أدرك في تلك اللحظة أين ذهبوا.

-المرسم..أمير أخدها المرسم بتاعه.. لم يستطع تمالك انفعاله واستمر في الطرق بيده على حافة زجاج النافذة لو لم يتدخل شريف لانتهت أمر يده الأخرى.

بعدما اصطحبه إلى المنزل ظلا يبحثان عن أسباب ما حدث الليلة الماضية وما مدى معرفة كلٍّ منهم للآخر.

بعدما أنهى مرته السابعة في السير ذهابًا وإيابًا من أول الحجرة حتى نهايتها، أطلق زفيرًا طويلًا كنوع من الاستسلام قائلًا:

جود إحنا مهما حاولنا نتخيل إيه إللي حصل مش هنعرف بس الحاجة الوحيدة إللي متأكدين منها دلوقتيي إن أمير وفريدة بقوا يعرفوا بعض ومعرفة قوية خاصة بعد ما أخدها المرسم إللي أنا وأنتَ عارفين قد إيه المكان ده مش أي حد بيدخله فـلازم تحط حد للموضوع ده قبل

ما فريدة تكتشف كل حاجة.

لم يكن جود يخشى كشف فريدة لذلك السر بقدر خوفه من وقوعها في أي نوع من أنواع الأذى أو المشاكل بسببه فأدرك أن تجنبه لها لن يحل الموقف؛ فاتصل بها واتخذ موعدًا ليتقابلا في نهاية الأسبوع ويضع حدًا لهذه الفوضى التي تحدث.

***

في هذا اليوم طلب منها أن يتقابلا بداخل إحدى الحدائق فهو المكان الأكثر ملائمة للحديث المفترض بينهما.

تأنقت فريدة في ذلك اليوم وحرصت على أن تهتم كثيرًا بأدق التفاصيل، ظلت جالسة لوقت طويل أمام دولابها تبحث عمّا يرضيها لارتدائه وبرغم كثرة ما لديها شعرت وكأن ليس لديها أي شيء لارتداءه.

تلك المعضلة التي نقع بها في بعض الأوقات ليس سببها عدم قناعتنا أو نقصًا في صفات الرضا بداخلنا ولكن لأنّ أعيننا تبحث عن شيء معين يعكس أفكارنا لتكتمل الصورة التي بخيالنا، فأحيانًا يصبح مظهرنا مرتبط بما نشعر به سواء كانت مشاعر جيدة أم سيئة فنبدأ في البحث عن مقاييس مختلفة وصعبة..إلى أن وجدت أخيرًا بلوزة من الجوبير الناعم تحمل نسيجه نقشات ذات زهور صغيرة بارزة بلونها السماوي الهاديء وبنطالًا كحليًا يتميز بأجل ذات نهاية ضيقة وقدماها الصغيرة تغوص بداخل حذاء عسلي اللون متماثل مع حقيبة يدها

الصغيرة ذات الذراع الجلدي الطويل.

كان قلبها يخفق بشدة وهي تخطو متجهة نحوه وتراه منتظرًا إياها بابتسامة باردة وبدلته الرمادية اللون ذات الأزرار السوداء كلون قميصه تعطي انطباعًا رسميًا وكأنه في أحد اجتماعاته الهامة في البدء لم تدرك ماذا يقصد بنظرته المقتضبة تلك.

-آنسة فريدة!

-إيه الدخلة الرسمي دي...أه انتَ بتحاول تغيظني مش كدة لا متحاولش.

-فاكرة أول مرة اتقابلنا فيها أنا قولت لك إيه؟

ابتدأت في استعادة تلك الذكريات ثم نظرت له بعبوس محاولةً تغليظ نبرتها وتقليد طريقته في الحديث "أنتِ تعرفيني عشان تقولي لي صباح الخير" عارف أنا يومها كان نفسي أديك بوكس من كتر ما أنا كنت متغاظة من أسلوبك المستفز حسيت إني بتعامل مع كائن مغرور أثناء سردها رأت تلك النظرة الجادة على ملامحه فشعرت بالإحراج وصمتت.

-من بعد ما قابلتك اكتشفت إن في نوعية من الناس متطفلة ومبتفهمش الكلام إللي بتقوليه ليها من مرة واحدة وكأنك ملزمة تعيدي عليها الكلام ده في كل مرة يمكن يجي يوم وتفهم.

على الرغم من عدم إدراكها بعد لما يقول إلا أنها شعرت بالغضب

من أسلوبه فقالت ممتعضة:

-يعني إيه ..إيه إللي أنتَ قولته وأنا مفهمتوش؟!

حتى تلك اللحظة لم تستطع أن تحدد إن كان هذا الحديث الذي يدور بينهم مزحة سخيفة يحاول مشاكستها بها أم وراء كلماته شيء آخر أكبر.

ابتسم ابتسامة ساخرة وهو يرتشف بضع قطرات من كوب القهوة دون أن ينظر إليها

-مش بقولك لازم أعيد الكلام يمكن يفهموا .. فلم تستطع التغاضي هذه المرة عن لهجته فاحتدت ثائرة:

-أنتَ عمال تقول كلام مش مفهوم ممكن أفهم إيه إللي عاوز تقوله بالضبط؟!!

اعتدل في جلسته واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى موجهها نظرة إلى الأعلى مستئنفًا:

-من أول مرة شفتك فيها وحسيت قد إيه أنتِ مصدر إزعاج ولما قولت لك إني كل ما بشوفك لازم تحصل حاجة ده مكنش تهيؤات.. يمكن أكتر حاجة ندمت عليها في اللحظة دي إني أنقذتك من الغرق لإن دي المرة إللي بسببها بقى في ما بيننا كلام لازم من بعد ما شوفتك في المطار أعرف قد إيه إنك كائن مجرد وجوده في نفس المكان إللي أنا فيه ده أكبر خطر وإزعاج ليّا.

مع كل كلمة خرجت من فمه شعرت وكأنها أمام شخص آخر حاولت أن تستوعب ما يحدث وما سبب أسلوبه المقتضب وحديثه القاسي ولكنها لم تجد أي تفسير فأخذت نفس عميق لتحافظ على هدوئها في تلك اللحظة المربكة.

سألته بنبرة حادة مختنقة ووجها يميل إلى الشحوب:

-ممكن افهم أنتَ بتعمل كدة ليه؟ .. شوية تعاملني بقلة ذوق وشوية تعاملني بشياكة، وشوية تنقذني وشوية تقولي انسي إني أنقذتك، شوية تزعق فيّا وشوية تطبطب عليّا، شوية تتجنبني وشوية تضحك وتهزر معايّا أنا مش قادرة أفهمك..أنتَ ليه بتعمل كدة؟!!

حاول الهروب من تلك النظرة التي بعينيها لم يرد أن يضعف أمامها فلابد من إنهاء ما أتى لأجله.

-أنا مش مطالب إني أفسرلك تصرفاتي عاوزة تشوفيها شفقة .. فضول، مزاجية مش هتفرق كتير بالنسبالي.

-طاما ده شيء مش مهم بالنسبالك أقدر أعرف إيه المطلوب مني دلوقتي؟

-إنّك تختفي من حياتي ..أه زي ما سمعتي كدة تختفي ومشوفكيش قدامي تاني وكأننا متقابلناش في يوم من الأيام، المرة إللي فاتت لما قولت لك في الفندق مش عاوز أشوفك تاني كان طلب لكن ده أمر.

-وعلى أي أساس بتدي نفسك الحق إنك تأمرني!!

طرق فوق المنضدة بيده في حزم وانفعال

-لمّا ألاقي إن تدخلك في حياتي بقى مصدر إزعاج بالنسبالي ده لوحده سبب كافي يديني الحق إني أأمرك إنك تختفي من قدامي.

انكمشت ملتصقه بمقعدها ويديها تطبق على مقابض لمقعد في خوف من رده فعله ولكنها قررت ان تستجمع كل طاقتها لتحبس دموعها و تظل بكامل فوتها امامه طوقت ذراعيها في محاوله للاحتماء بداخلهم لتخبره بملامحها الجاده " اوعدك ان دى اخر مره هتشوفنى فيها قدامك بس ده مش تنفيذ لأمرك..لكن أنا نفسي إللي مش حابه فعلا إني أشوفك قدامي تاني بأي شكل من الأشكال وأه بخصوص إنك ندمان عشان أنقذتني أحب أوفر عليك ندمك ده ولو لفت الأيام وشوفتني قدامك بموت ياريت متنقذنيش لإني وقتها أنا مش هشكرك بالعكس أنا هكرهك أكتر.

تركته خلفها وذهبت مسرعة فالموت أفضل بكثير من أن تنهار أمامه وتبدو كفتاة مثيرة للشفقة في تلك اللحظة.

خلال وقت قصير تحول المكان التي تذهب إليه لتستعيد من خلال خضرته وزهوره الملونة طاقتها المفقودة وتجدد روحها المنهكة إلى مكان مليء بالذكريات الصعبة والموجعة..وهذا كان أكثر شيء لن تسامحه فريدة عليه.

بعدما تأكد من ذهابها لم يقوَ على النهوض فأخذ يلتقط أنفاسه بسرعة هائلة وكأنه انتهى للتو من إحدى سباقات الركض.

شعر في تلك اللحظة بعجز شديد جعله مقيدًا لا يستطيع أن يكون بالقرب ممن يحب لا يستطيع أن يفصح لها بمشاعره الحقيقية.

كان يتألم بنفس ذات القدر الذي جعلها تتألم به ولكنه كان يعلم أن تلك هي أفضل طريقة لحمايتها.

انتبه مؤخرًا إلى صوت اهتزاز هاتفه المتواصل فاستعاد رباطة جأشه واتزان نبرته مجيبًا ليجدها والدته.

نقطة ومن أول السطر..

-جود في الشركة ومن الصبح بدري كدة خير اللهمّ اجعله خير أنا شكلي بحلم.

-أكيد عمي بلغك إن بابا وماما راجعين آخر الأسبوع؟

-أه صحيح أنا كنت فاكر أكلمك البارح أول ما عرفت..أنتَ ناوي على إيه؟

-ده إللي أنا جاي اتكلم معاك فيه..من بكرة أنا هبدأ أنزل الشغل كل يوم..عاوزين نقسم الشغل الفترة الجاية سوا شوف إيه الجزء الخاص بيّا وابعتهولي عالإيميل من بليل.

-هو ده الكلام يا صديقي.

-بس أهم حاجة إن الجزء بشغلنا مع مجلة " سكاي " تتولاه أنتَ "

-أنت نهيت الموضوع مع فريدة؟

إحنا مكنش في بينا حاجة عشان انهيها من البداية.

لم يعلق شريف على ما قاله جود فهو يفهم صديقه..يدرك تلك النظرة التي تعني أن فريدة أصبحت لها مكانة خاصة بداخله وإن مشاعره وصلت لمرحلة اللاعودة ولكنه يكذب على الجميع حتى يقاوم

ما قرر فعله لأجلها..تلك الكذبة التي لن يتألم بسببها سوى جود في نهاية المطاف.

لن تؤثر عودة والدي جود عليه كثيرًا فمنذ وقوع ذاك الحادث وبقائهم في المانيا لإجراء لجراحات المتكررهة والعلاج الطبيعي لوالده قد اعتاد جود على العيش بمفرده لأكثر من عشرة أعوام.

خلال تلك الفترة لم يذهب إليهم في الخارج سوى ثلاث مرات في فترة الأجازة فلقد أصبحت حياته بمفرده في شقته الخاصة شيء طبيعي بتأقلم عليه ولن يستطيع تغييره حتى بعد عودة عائلته إلى مصر.

انهمك جود كثيرًا في أمور العمل بالشركة حتى أصبح يقضي يومه بالكامل في الاجتماعات والتحضيرات وانشغل عن أمر الكتابة دون أن يلاحظ ذلك؛ فيومه كان يمضي بسرعة البرق على عكس فريدة التي أصبحت عابسة شاردة أكثر الوقت لا يراها أحد في المجلة إلا ويلاحظ التغيير الكبير في طريقة سيرها بأكتافها المنحنية وعينيها المتساقطة إلى الأسفل وإن بادرها أحدٌ بالتحية تجيبه بشرود وفتور..

كانت تشعر منذ لحظة وصولها بملل ورتابة تنتظر أن ينتهي يومها بفارغ الصبر حتى تذهب إلى المنزل وتجلس في غرفتها صامتة حتى يغلبها النعاس.

لم يستطع سامح أن يرى فريدة في تلك الحالة دون أي تدخل فأخبرها صباح ذلك اليوم أن ليدهم موعد مهم بعد العمل سيذهبان إليه.

ظلت صامتة منذ وصولهم إلى ذلك المطعم الفاخر، الكثير من اللوحات العريقة والتحف تزين الأركان والموسيقى تعطى روحًا مختلفة لكل شيء من حولها ولكن كان الشمعدان الذهبي ذو الثلاث قناديل المرصع ببضعة كريستالات صغيرة موضوعة فوق كل طاولة شيء آخر من الجمال الذي تفتقده هي ربما لو كانت قد أتت إلى هذا المكان في وقت سابق من المؤكد أنها ستقع في غرام المكان ولكنها ظلت متكئة بيديها على الطاولة وتنظر إلى النافذة ثم تعود وتنظر إلى الساعة فوجدت بعد وقت النادل يضع بعض الأطباق المختلفة أمامها.

أعتقدت أنه أخطأ فــابتسم لها سامح حتى أدركت أن الطعام لهم بالفعل.

-عارف أنتِ عاوزة تقولي إيه..مفيش أي حد مستنينه أنا كان لازم أعمل كدة عشانَ أخليكِ تخرجي ونتغدا سوا.

ابتدأ سامح في ترتيب الأصناف أمامها فقد أحضر جميع أصنافها المفضلة حتى يجعلها تأكل قليلا لاتعوض ذلك الضعف والهزل التي أصبحت عليه.

ظلت تنظر له وهو يفعل ذلك حتى شعر بالارتباك وكأنها قد كشفت أمره فتنحنح وهو يعدل من وضعية ياقة قميصه الأبيض المفضل لديه والذي لم يترديه صدفة فهو دائما يريد أن يظهر نفسه بأفضل إطلالة في أعين فريدة.

حاول مداعبتها مازحًا:

-الأكل ده بمرتب نص شهر عارفة لو مخلصتيهوش أنا هقدم فيكِ تقرير إنك أسوء نائب رئيس تحرير.

فأجابته بابتسامة وديعة:

-حاضر.

لن تريحه تلك الابتسامة الهادئة التي على عكس طبيعتها المشاكسة والحيوية يكره أن يراها هكذا ولكنه لا يعرف ماذا يمكن أن يفعل حتى تعود كما كانت في السابق فمفاجأتها ببضع أصنافٍ من الطعام أكثر ما يستطيع فعله من موقعه كصديقٍ لها، وذلك ما كانً يجعله يشعر بمزيد من الاستياء.

الحب من طرف واحد كلمة لا يدرك مقدار ألمها سوى من عاشها... تلك الحالة التي تجعلك تشعر وكأنك معلق في موضع ما بيين الأرض والسماء..تلك المسافة المحيرة لا تقدر أن تقترب أكثر ولا ترغب في التراجع ليس في استطاعتك سوى الانتظار في صمت من على الضفة الأخرى ربما يأتي الوقت ويصل إليك الطرف الآخر.

فتجد نفسك لا تمتلك سوى أن تثبت مشاعرك ونظرك في صمت وترقب

***

بينما كان ذاهبًا إلى مكتبه لفت انتباهه ذلك الحوار الثنائي المنفرد الذي يجمع سارة بأحد زملائها بجانب ماكينة القهوة السريعة الموضوعة بالممر

الجانبي فلم يستطع التغاضي عن ذلك واستكمل طريقه إليهم قائلًا:

-ياترى عندكم وقت فراغ للدرجة دي ومقضينها ضحك ورغي؟!

نظرا له في إحراج أما هو فلم يستطع التحكم في مشاعر الغيرة التي تملكته فاستكمل حديثه قائلاً:

-تحبوا ابعت أجيب اتنين ليمون وأشغلكم موسيقى؟

شعرت سارة بالغضب من ردة فعله المبالغ بها بينما استمر زميلها في الاعتذار حتى انصرف تاركًا إيّاهم بعدما رمقته بنظرة حادة.

رياح الغيرة التي دائمًا تهب دون أي سابق إنذار وتعصر أفكارنا وانفعالتنا وتتحكم في تصرفاتنا لنتحول إلى أطفال صغار يشعرون بالخطر لأنّ لعبتهم الخاصة قد يمسّها شخصٌ آخر..

ولكن دائمًا يبقى خيط رفيق بين الغيرة الفطريّة وحب الامتلاك وإن لم نستطع التفرقة بينهم ستقضي تلك الرياح على ما بنيناه في سنوات.

ذهبت فريدة إلى الشركة لمناقشة الترتيبات اللازمة مع شريف كانت تشعر بانقباض شديد منذ دخولها تتمنى ألّا تراه أمامها وإن تنهي ما أتت لأجله سريعًا وتذهب من هذا المكان.

بعدما انتهوا من ماقشة جميع التفاصيل المتعلقة بالعمل شعر شريف بالحزن خلف ابتسامة فريدة الباهتة فحاول محاورتها والسؤال عن أحوالها فهم رغم ما حدث ما زالت تجمع بينهم الصداقة.

-أنا عارف إني ندل ومقصر في السؤال عليكِ بس أنتِ لو سألتي سارة هتعرفي إني أنا حتى مش بعرف أشوفها كتير الفترة دي من زحمة الشغل.

-لا عادي ولا همك أنا كويسة مشغولين الفترة دي في المجلة بتجهيزات افتتاح الفرع التالت لينا في القاهرة.

ألقى جملته وهو يستند بيده على حافة الباب..

-أنتَ يابني مبتردش ليه؟!!

رؤيته المفاجأة لفريدة أمامه جعلته في حالة ارتباك لم يستطع إكمال جملته في صمت قليل ثم نظر إلى شريف معتذرًا ليغلق الباب دون أن يبدي أي نوع من أنواع الترحيب أو التحية وكأنها شخص غريب.

لم يعرف كيف يتصرف شريف في ذلك الوضع فتعللت فريدة بتأخرها على موعد آخر لتنصرف مسرعة تلوم سوء حظها الذي جعلها تصطدم به مرة أخرى وتشعر بذات الألم مجددًا وتتذكر كل حرف قاله لها في آخر مقابلة جمعتهم.

عندما رأتها سارة وهي تسير بتلك السرعة شعرت أن هناك شيء ما قد حدث فأخبرت زملائها وانصرفت مبكرًا لتلحق بفريدة مصطحبة إياها إلى مكانهم المفضل "محل أيس كريم وألبان عم حمزة" المجاور لمنزلهم.

تأملت صديقتها الشاردة حتى أنها لا تدرك ذوبان الأيس كريم

بيديها وتخريبه لملابسها قالت متسائلة:

-إيه إللي حصل خلاكِ تخرجي من مكتب شريف وأنتِ في الحالة دي.!!

-مفيش حاجة.

-إزاي يعني مفيش حاجة..أنتِ مش شايفة نفسك لحد إمتى ناوية تفضلي في الحالة دي ممكن تقولي لي؟!

-مالي أنا كويسة أهو ومفيش حاجة.

التقطت الأيس كريم من يديها وألقته في غضب ثم بدأت في تنظيف ثيابها بتعاطف مليء بالأمومة قائلة:

-فوقي بقى يا فريدة أنتِ مكنتيش كدة فين فريدة القوية الطموحة النشيطة إللي ضحكتها ولماضتها مبتفارقهاش..كويس إنك عرفتي مشاعره من ناحيتك بدري وإن الموضوع خلص لحد هنا قبل ما تحبيه وتنجرحي أكتر.

انخرطت في البكاء قائلة:

-مش عارفة أبطل في الموضوع يا سارة..وبكره نفسي أكتر كل ما بفكر فيه بعد كل إللي قالوا ليّا.

-يعني أنتِ عاوزة تفهميني إنك خلاص ناوية تعيشي حياتك بالطريقة دي وتضيعي تعب السنين دي كلها..لو أنتِ ناوية على كدة

أنا مش هسمح لك تدمري نفسك كدة.

ظلت طوال الليل تفكر في حديث سارة لها نهضت من فراشها واتخذت بضع خطوات في اتجاه المرآة ولكنها ترى نفسها بعد مرور سنوات، أدركت ما قصدته صديقتها تعني تغييرها ذلك الوجه الشاحب والهالات الظاهرة أسفل عينيها ذات النظرة الزائغة كيف بات رداء نومها الأبيض واسعًا هكذا من شدة نحافتها وضعفها.

أمعنت النظر إلى نفسها وهي تتحاورمعها"أنا ليه بقيت كدة!"

أدركت فريدة أنها الآن ليست أكثر من مجرد فتاة مثيرة للشفقة كل من ينظر إليها يشفق على حالها..كيف وصل بها الحال إلى أن تتحول هكذا وهي التي تكره الشفقة والاستعطاف وكثيرًا ما اختفظت بأصعب لحظات حياتها حتى لا تجد أي نوع من أنواع الشفقة ممن حولها، فكيف إذن أصبحت هكذا

***

بالرغم من مرور فترة ليست بقصيرة على رجوعهم إلى مصر لم يستطع والدا جود أن يجتمعوا ثلاثتهم ليتناولوا سويًا الطعام ولو لمرة فقررت والدته أن تستدعيه ذلك اليوم حتى يتناولوا وجبة العشاء وتطمأن على أخباره فهي تعلم أنها إن لم تبحث وراءه وتلح في طلبه لن يهتم جود لمقابلتهم فهي تتفهمه وتحترم خصوصيته ولكن مازال هناك جزء بداخلها يتمنى أن يعوج ويعيش معهم بنفس المنزل.

عقب انتهاءه من تناول الطعام معهم لفت انتباه جود تعطل صنبور المياه ف سأل والدته عن مكان معدات التصليح فبسبب حياته المستقلة أصبح محترفًا في كثير من الأمور ليتمكن من مسايرة متطلبات الحياة اليومية.

عند دخوله تلك الغرفة شعر بالانقباض بالرغم من إنها فارغة لا تحوي سوى القليل من الصناديق القديمة إلا أنه شعر باختناق شديد.. أثار فضوله وهو يبحث عن الأدوات ذلك الصندوق المليء بالألعابِ والكتب التي تعطي انطباعًا منذ أن تراها لأول وهلة أنها لطفل لم يتخطَ السبعة أعوام.

أدركت والدة جود أنه الآن في تلك الغرفة فأسرعت مهرولة لتجده ينفض الأتربة من فوق ألبوم صور قديم فالتقطته وأخفته خلصها وهي تحاول أن تخفي الذعر الذي يبدو على وجهها بإبداء ابتسامة متعللة أن تلك الغرفة لم تنظف بعد وأن كل تلك الاشياء القديمة مليئة بالأتربة وعليه أن يخرج منها وهي ستحضر له ما يريد.

ظل يتأمل ملامحها لأول مرة يرى التجاعيد تملأ جبهتها وكيف فقد وجهها نضارته هي لم تكن يومًا سمراء إذ لما ذبل لونها هكذا فنادرًا ما تلمح أشعة الشمس من خلف زجاج النافذة وهي تجلس بجانب والده في حجرة المستشفى..أشفق عليها كثيرًا وشعر بالذنب لتقصيره بحقها قال:

-كم أصبحتي ضعيفة يا أمي ونحيلة!... تفقدها بنظرته سريعًا

حافرًا لها صورة في ذهنه حتى يستعيدها كلما افتقدها مازال حضنها الصامت دافيء.

قصيرة بعض الشيء أو ربما أنا الذي مع مرور الوقت أصبحت طويلًا إلى حد ما وشعرها الأسود الخفيف بات قصيرًا لا يتخطى أذنها ياربي كم أفتقدك يا أمي لو كنت أستطيع أن آخذك معي ولكن هذا ليس بالحلم الصعب ولكنه المحال في حد ذاته ربت فوق كتفيها ثم احتضن يديها وقبلها مصطحبًا إيّاها للخارج.

أثناء تناولهم للقهوة في حديقة المنزل تسائل والده عن أوضاع الشركة وخططهم للفترة القادمة فأجابه ببعض العبارات المختصرة التفتت إليه والدته وسألته في فضول عن حياته العاطفية قائلة:

-هل يوجد شخص ما بحياتك؟

ذلك السؤال المفاجيء لم يكن في توقعاته جعله يشعر بالخوف للحظات فأسند كوب القهوة محاولًا الاحتفاظ بنبرته المتزنة مخبرًا أنه لا يفكر حاليًا سوى في الشركة وكيفية تطويرها ثم نهض مستئذنًا قبل أن تلحقه والدته بغريزة الأم التي تريد الاطمئنان على طفلها بمزيد من الاسئلة التي لن يتمكن من الإجابة عليها.

***

أرادت سارة أن تطمئن عليه فبالرغم من استيائها من تصرفه لكنها تصدر مشاعره وتحترمها هاتفته بأسلوبها المشاكس ولكنه فاجأها برده

المتبلد فحاولت مداعبته لتستمع إلى ضحكته المعتادة ولكنه اعتذر منها لينهي المكالمة متعللًا بتواجده مع إحدى صديقاته.

أغلقت في وجهه والغضب قد سيطر على انفعالتها، استمرت في طرق الأرض بقدمها حتى أوشكت أن تصنع حفرة في أرضية الغرفة وهي تحدث نفسها بصوتٍ عالٍ متوعدة له.

استمعت بعد مضي نصف ساعة إلى صوت هاتفها فنظرت له واستمرت بالضغط بإصبعها فوق صورته التي تظهر على شاشة هاتفها في غضب قائلة لنفسها:

-بترن ليه دلوقتي لسة فاكر..مش هرد عليك مهما حصل.

ظلت تحدث تلك الصورة في غضب دون أن تجيب لتستمع بعد فترة إلى صوت صاخب من صافرة إحدى السيارات بالأسفل..نظرت من النافذة في فضول فاتسعت حدقة عينيها من رؤيتها له فالوقت متأخر لوحت بيدها كي ينصرف ولكنه استمر في إصدار تلك الصافرة وهو يشير لها أن تنزل إليه...استسلمت سارة في النهاية وبدلت ملابسها سريعًا مرتدية بدلتها الرياضية الزهريهة اللون فهو أول شيء طالته يدها فعليها أن تلحقه بسرعة فهي تعلم تصرفاته الجنونية التي من الممكن أن تجلب كثيرًا من المشاكل بسبب إزعاجه للسكان الآخرين.

هروب عكسي

(أحيانًا ما نهرب منه ..نذهب إليه)

-لا مش مصدقة نفسي....متأكد إنك رنيت على النمرة الصح؟

-قصدك تقولي يعني إني ندل يا دارين هانم؟!

-كويس إنك عارف نفسك...عامل إيه وأخبار الدوا إيه معاك لسة مستمر عليه؟

-مش هقولك على حاجة غير لما أشوفك فضي نفسك آخر الأسبوع ده وبلغيني...مفتقد الكلام معاكِ أوي.

-وهو كذك يا عم جود لينا خروجه آخر الأسبوع ده هرتب مواعيدي واكلمك.

بعدما أنهى مكالمته وقف خلف إحدى السيارات ينتظر خروجها ليراها ويطمئن عليها من بعد فهو مازال يشتاق إليها حتى لمحها تخرج بصحبة سامح واستقلت معه السيارة شعر في تلك اللحظة بألم شديد يعتصر رأسه وأصبحت الرؤية ضعيفة أمامه، حاول الصمود بكل ما أُوتيَ من قوة لا يرغب في أن ينهار هنا أمام مقر عملها، ظل هكذا حتى اختفت سيارتهم من أمام عينيه ليسقط أرضًا بوضعية جلوس فوق

الرصيف سابحًا في عالم موازي.

طلب سامح من فريدة في طريقهم أن يذهبا لتناول الغداء سويًا ولكنها اعتذرت بلطف متعللة أنها تذكرت أحد الأشياء المهمة التي يجب أن تبتاعها فتركته على وعد أن يذهبا سويًا في وقتٍ لاحق.

واصلت فريدة طريقها وهي تنظر إلى السماء متأملة نقاء لونها الأزرق وكأنها في دولة أخرى لا تستمع إلى ضجيج السيارات أو تشعر بالزحام من حولها حتى رأته أمامها فجأة مرتديًا تي شيرت أصفر مطبوع فوقه رسمة لشخصية الكارتون الشهير "كابتن ماجد" وتصفيفة شعره إلى الجانب كطفل لا يتخطى عامه السادس مما جعلها مندهشة أما حذائه الرياضي المضيء من الجانب كان أكثر الأمور غرابة ظلت ثابتة في مكانها تتأمله...تملكها الشك لوهلة أنها أخطأت بشخص آخر ثم تيقنت أنه هو بالفعل ولكن ما الذي يفعله فاستمرت في السَّير خلفه في صمت لتكتشف ما يحدث.

ظلّ يقفز بساقٍ واحدة فوق تلك المربعات الصفراء متخطيًا المربعات السوداء من الرصيف وهو يمسك بعض الحلوى في يده فهوت قدمه فوق إحدى الفتيات المارة فابتدأ الشخص الذي بصحبتها في التشاجر مع جود حتى تدخلت فريدة في تلك اللحظة وهدأت الوضع معتذرة للآخر عمّا بدر من جود.

-أنا كنت بحاول أكمل عشر خطوات على اللون الأصفر عشان أكسب الرهان أنا ما كنتش أقصد إنى أخبطها..شكرًا إنك ساعدتيني

ممكن تاخدي الحاجة الحلوة دي هدية مني؟

نظرت له فريدة في دهشة لا تستطيع أن تصدق ما يحدث...فابتسم لها قائلًا:

-أنا جعان ممكن تاكلي معيا؟

-أشارت برأسها إيجابًا..ظلت طوال فترة جلوسهم بالمطعم تنظر له بتعجب، تأملته في صمت وهو يركب أجزاء تلك اللعبة التي أتت مع وجبة الطعام حتى وجدته يبتسم لها مجددًا في براءة بصي هعلمك حركة حلوة امسكي الكوباية كدة وطلعي نفس طويل من الشاليمو.

فعلت فريدة ما أخبرها به فامتلأ الكوب بالفقاعات الهوائية مداعبة لأنفها استمرا في فعل ذلك متناسيين الزمان والمكان دون أن يشعروا بنظرات الناس إليهم داخل المطعم...واصلت الضحك بصوت مرتفع وكأنها عادت طفلة صغيرة مجددًا معه.

عند خروجها من المطعم شعرت فريدة إنها كانت بداخل حلم ويجب عليها أن تستفيق منه همت في الانصراف فوجدته يضغط بيده فوق رأسه في ألم وقبل أن تسأله ماذا بك سقط مغشيًا عليه بين يديها، حاولت إفاقته بكل الوسائل ولكنها لم تستطع فقررت الاتصال بشريف حتى يأتي ولكنه أيضًا لا يجيب على هاتفه فلم تجد أمامها سوى حل واحد في تلك اللحظة.

***

سارت بخطوات سريعة إليه تلتفت كثيرًا حولها لتطمئن أنه لا يوجد أحد من الجيران مازال مستيقظًا فهي تدرك فضول المصريين ومواهبهم الخارقة في التسلل ومتابعة حياة الآخرين وتفاصيلهم الخاصة وخصوصًا الجزء العاطفي منها..

-لازم اصحي الشارع كله عشان تنزلي سعادتك؟!

حدثته بصوت منخفض لم تستطع رؤيتها له أن تلهيها عن تهورها في التواجد في مثل هذا الوقت قائلة:

-أنت مش قولت إنك مشغول روح لصديقتك الأمورة عشان متسيبهاش وحدها.

أثارت ضحكته جنونها فأجابته وهي تصر على أسنانها بعدما ركلته في إحدى ساقيه قائلة:

-متضحكش عليّا.

-الصراحة عاجبني شكلك كدة وأنتِ غيرانة ومتغاظة...شفتي بقى أنتِ حاسة بإيه عشان تقدري أنا ليه عملت كدة الصبح لما شفتك بتهزري مع الواد الفرفور ده.

-يا سلام يعني أنتَ بتردهالي طب أنا مكنتش أقصد أضايقك أو أخليك تغير، وبعدين ده زميلي في الشغل لا أكتر ولا أقل أنا اتصلت أصالحك لكن أنتَ ضايقتني.

-أنا رديت عليكِ كدة عشان أغيظك مش أكتر أنا أصلًا لما كنتِ

بتكلميني كنت جاي لك في السكة.

-يا سلام! اضحك عليّا وثبتني بكلمتين عبيطة أنا أصلي!

-أه عبيطة وغمضي عينك يلا.

-شريف حبيبي بلاش جنان وروح بيتكم الوقت متأخر وأنا لازم أطلع بيتنا.

-لا استني غمضي عينك دقيقة لاحسن اغمضهم لك أنا.

-خلاص خلاص من غير جنان أهو.

شعرت بصندوق كبير وضع بين يديها فتحت عينيها فوجدت علبة ذهبية مليئة بجميع أنواع الشيكولاتة المفضلة لها، نظرت له بسعادة شديدة وصاحت بصوت مرتفع "يا حبيبي يا شريف"

شعر إنه ينظر في تلك اللحظة إلى طفلته الصغيرة وليس حبيبته؛ فسارّة جعلته يختبر كثيرًا من المشاعر المختلفة التي لم يكن مرّ بها من قبل.

طلب منها أن تصعد إلى المنزل وتستريح ليتركها بعد أن يطمئن من وصولها إلى غرفتها ويراها وهي تغلق إضاءة الغرفة.

لم يتخيل أنه سيأتي ذلك اليوم الذي يتصرف فيه تلك التصرفات الصبيانية وأن يحضر الشيكولاتة ويصنع المفاجئات من أجل أحدٍ ولكنها بالنسبة له لم تكن أي أحد إنها سارة الإنسانة التي جعلت منه إنسانًا مختلفًا دون أن تشعر أو تحاول تغييره وذلك هو المعنى الحقيقي

للحب حينما تجاهد من داخلك أن تتغير للأفضل حتى تستطيع إسعاد من تحبه ولكن تعلم أنه يحبك كما أنت حتى وإن لم تستطع التغير أو أصبحت خالي اليدين وليس لديك ما تستطيع تقديمه له لن يقل أو يتغير في محبته لك.

***

شعرت بالقلق على حفيدتها لتأخرها في العودة لتتفاجأ بها عائدة و بصحبتها شخص غريب يلتف ذراعه فوق عنقها وهي تخطو به إلى الداخل في بطأ في محاولة لاستخدام اقصى طاقتها في احتمال الحمل الثقيل فوق اكتافها ثم طلبت من جدتها مساعدتها لوضعه في غرفة الضيوف.

حاولت فريدة النوم في تلك الليلة ولكنها لم تستطع فذهبت للاطمئنان عليه وعندما اقتربت منه وجدت ملامح وجهه عابسة ووجهه شديد الاحمرار من ارتفاع حرارته سمعته يتحدث ببضع كلمات غير مفسرة وهو يأن يراوده كابوسًا فأحضرت مقعد وجلست بجواره واضعة بعض الكمادات لتعود حرارته لطبيعتها.

ظلت ممسكة بيده مربتة بيدها الأخرى على كتفه محاولة طمئنته من كابوسه.

استيقظ جود في صباح اليوم التالي فوجد نفسه بداخل مكان غريب لا يعرفه، تبدو كغرفة استراحة الضيوف في منزل أحدهم استطاع تحديد ملامحها قليلًا ببعض الصور التي تجمع بين الزمن القديم والحديث بعضها في حاضرنا والأخرى منذ عصر الأبيض والأسود معلقة فوق

الجدار اللبني والقليل من الأثاث فقط مقعدان يتمتعان بطراز الخشب المحفور مطليان باللون العسلي وكسوتهم البنية المطرزة بورد بيج ينبت منها فروع خضراء صغيرة تقليديان بعض الشيء ولكن لهم طلة مميزة يتخللهم منضدة صغيرة من الرخام مزين بمفرش بنيّ كلون القهوة مصنوع يدويًا من غرز الكروشيه بطريقة عشوائية فوقه صندوق أبيض مليء بالدوائر المفرغة التي تجعلك ترى الحلوى الملونة بداخله بوضوح ولكن أكثر ما أثر به نسمات الهواء المحملة برائحة نبات الريحان المتواجد فوق حافة النافذة الصغيرة ثم وقعت عينه على فريدة واجدًا إيّاها نائمة فوق يده فشعر بالفزع ونهض مسرعًا قبل أن يشعر به أحد.

لا تعرف لماذا ذهب وإلى أين ذهب ولكنها هذه المرة لم تشعر بمزيد من الفضول والغرابة، تصرفاته الغريبة هذه أصبحت امر معتاد بالنسبة لها ولكن الأمر الذي يثير فضولها حقًا في هذه اللحظة هو تصرف جدتها، كيف منذ وصولها في الليلة السابقة وحتى الآن لم تستغرب أو تُبدي غضبها من وجود شخص غريب كيف تصرفت بتلك الطريقة دون أن تبدي أية أسئلة من المنطقي أن تُطرح في مثل تلك المواقف..

أثناء تناولهم وجبه الإفطار لمحت تلك النظرة المتسائلة في عين حفيدتها فـابتسمت في هدوء ثم أخبرتها أنها تعرف ما يدور في رأسها فأنصتت فريدة دون أن تعلق..

-أنتِ كبرتي على إيدي، أنتِ تربيتي وحتة مني أنا عارفة أنتِ بتفكري إزاي امتى بتضحكي من الفرح وامتى بتضحكي عشان تداري

وجعك، وثقتي فيكِ أقوى وأكبر من أي حاجة وأنا متأكدة إن في سبب لوجود الشخص ده في بيتنا وهيجي وقت وتحكي لي كل حاجة زي ماكنتي متعودة من وأنتِ صغيرة.

لم تجد ما يمكن قوله بعد كل تلك المحبة والثقة الكبيرة التي تلقتها من جدتها فاكتفت بالارتماء في أحضانها لتعبر عمّا تشعر به من امتنان واحترام لمن كانت السبب في بقائها في هذه الحياة واعتنائها بها لتصبح تلك الإنسانة الناجحة ذات الشخصية القوية.

الثقة ذلك الدرع القوي الذي يمنحنا دائمًا القوة الخفية لنخطو في طريقنا بإصرار...وعندما يمنحنا الله أشخاصًا هم مصدر ثقتنا الدائمة تصبح الحياة بقسوتها وخيباتها المستمرة صغيرة جدًا أمامنا ليس لقدراتنا الخارجة ولكن لأننا نعلم من داخلنا أن هناك من يثق بنا ويؤمن بقدراتنا وعلينا دائمًا أن نفعل كل ما بوسعنا ونعطي أفضل ما لدينا كي لا نخذلهم.

***

ظل سامح طوال الليل يفرغ دوائر رمادية من دخان سيجاره وعقله يطرح كثيرًا من الأسئلة: إلى متى سيبقى هكذا يكبح مشاعره ويخفيها؟...إلى متى سينتظرها حتى تشعر به؟....رغم تواجدها يوميًا أمام عينيه إلا أنه يشعر بخوف شديد يتملكه وشعور قوي ينبأه بفقدانها.

فقرر مؤخرًا أنه لابد أن يفعل شيء على الأقل عليه أن يعترف لها بمشاعره ويترك لها حرية التصرف حتى وإن آلمه رفضها إلا أنه لن يندم من محاولته لأنه يكون قد فعل كل ما باستطاعته ليفوز بقلبها.

ذهب إلى منزلها صباحًا وانتظرها قبل أن تذهب للعمل فتلك ستكون فرصته الوحيدة للتحدث معها بعيدًا عن أجواء العمل، خاصةً أنه يشعر بتهربها واعتذاراتها المتكررة لتجنب الخروج بصحبته.

عند خروجها وجدته ينتظرها أمام المنزل بابتسامة مشرقة جعلتها تعتقد أن هناك أمر جيد يحدث معه فتح لها باب السيارة دون أن ينطق بشيء منذ تحركهم وهوينظر لها كل دقيقة ثم يعود ينظر إلى الطريق الذي أمامه وهو يبتسم فبادرت بسؤاله:

-في إيه؟ عندك أخبار حلوة؟

أجابها وهو مثبتًا نظره إلى الطريق:

-مش هقولك، فالتفتت إليه في غرابة قائلة:

-طيب إيه سر الابتسامة العجيبة دي على الصبح؟! حينئذ التفت إليها قائلا:

-عاوز أخلي النهاردا يوم حلو ومبهج من أوله لآخره غلطان أنا كدة يعني؟

فشعرت بسخافة ردها فبدلًا من تشجيعها له أصبحت الآن تستغرب من وجود السعادة والحيوية فيمن يحيطوا بها، أخرجت رأسها من زجاج النافذة متخذة قليلًا من نسيم الصباح ليمنحها الطاقة كي تستكمل به يومها.

بادرها سامح بسؤال عن جود مما جعل قلبها يخفق بشدة...

فاستجمعت قوتها وأجابت بهدوء أنه مجرد رفيق عمل ...ولكنها شعرت بشيء خلف السؤال فنظرت له وهي تحاول أن تجد إجابتها في عينيه قبل أن تسمعها منه " لماذا تسأل؟!!"

أوقف سامح السيارة بجانب إحدى الطرق حتى لا يدع أي شيءٍ آخر يقلل من تركيزة في ذلك

الحديث المهم، والتفت اليها في انتباه قائلا:

-جود زميل دراستي القديمِ وأنا عارف عنه حاجات كتير معرفش اذا كان ينفع أحكيلك عنها أصلًا ولا لأ بس على كل حال لازم أحذرك منه هو مش شخص هادي وطيب زي ما أنتِ فاكرة أوعي تخليه يخدعك بمظهره.

لم تفهم فريدة ما الذي يحاول إخبارها به فأرادت أن تنهي ذلك التشويش والحيرة لـربما استطاع سامح إجابتها عن كل ذلك الغموض المحيط بجود فقالت:

-إيه هي الحاجات إللي أنا معرفهاش، وليه بتحذرني منه؟!

-طيب شكل كل كلامي إللي فات مكنش كفاية إنك تفهمي بصي جود فترة الجامعة كانت في حياته إنسانة رائعة كل الدفعة كانت بتحسده عليها بس هو جرحها ولعب بيها وفي النهاية سابها وكمل حياته واختفى بعد كدة وما حدش سمع عنه حاجة من وقتها، إزاي عاوزاني أسيب الإنسان ده يقرب منك ويعمل فيكِ زي إللي عمله فيها

أنا مش هسمحله أصلًا من البداية إنه يكون أي حاجة في حياتك ثم أدرك ما يقوله فعدل صيغته بنبرة مترددة ، أقصد من واجبي كصديق إني أحميكي منه.

ظلت فريدة صامتة حتى مرور نصف اليوم بداخل المجلة لا تفعل شيء سوى أن ترسم دوائر لا متناهية بتلك الورقة البيضاء ورأسها مليء بالتساؤلات وعلامات الاستفهام حتى أصبحت رأسها على وشك الانفجار، شعرت أنها لن تستطيع تحمل ذلك الضغط والحيرة هي لا تصدق ما يقوله سامح عن جود ولكنها تشعر بشيء من الصدق في حواره خاصةً بعض الأجزاء التي تنطبق في تصرفات جود السابقة معها فقررت أنها لابد أن تواجهه وتبحث عن الحقيقة بنفسها.

***

لم يستطع الذهاب للعمل في ذلك اليوم؛ فـالخوف والغضب وصلا إلى أشد مراحلهم بداخله كلما يتذكر لحظة استيقاظه واجدًا فريدة بجانبه يجعله يفقد أعصابه نظر لانعكاسه في زجاج النافذة فرأى أمامه شخص لا يعرفه.

ذلك السر الذي بداخله سيطر على حياته ليبتلعها بالكامل ربما لو كان في ظروف مختلفة لكان شعر بفرح غامر لقضائه طوال الليل بجانبها ولكن بالنسبة له هذا يعني حدوث كارثة والأصعب أنه من الممكن أن لا يعرف عنها أي شيء.

لم يكن لديه أي طاقة أو قدرة على التركيز فأرسل رسالة لشريف

يخبره عن عدم حضوره للعمل اليوم ليستريح قليلًا وأنه بخير كي لا يجعله في حالة قلق.

لم تكف تلك النمرة الغريبة عن إرسال الصور والرسائل يوميًا إلى هاتف سارة ولكن بعد مرور ستة أيام متواصلة لم تنقطع بها الرسائل قررت سارة أن تواجه الموقف وتتحدث إلى هذا الشخص المجهول ولكنها قررت أن لا تخبر شريف بما حدث حتى تفهم الأمر جيدًا.

-ألو... أيوة أنا سارة، مين حضرتك؟!

***

بعد وصولها أمام منزله ترددت للحظات أرادت أن تتراجع عن الفكرة بأكملها ولكنها تذكرت أنها إن لم تفعلها الآن ستتظل عالقة في أفكارها ولن تستطيع الهرب، فاستجمعت شجاعتها وصعدت إليه.

عند استماعه إلى صوت رنين جرس المنزل أعتقد أن شريف أتى عقب رؤيته للرسالة ولكن عندما وجدها أمامه التصقت ساقيه بالأرض وكأنه تلقى صعقة كهربائية حادة ظل ينظر لها بعينين متسعتين وضربات قلبه تستمر في الصعود حتى أوشكت على أن تحطم قفصه الصدري فتخطته في رشاقة لتدخل دون أن تنطق أية كلمة فأغلق عينيه واتخذ نفس عميق قبل أن يعتدل وينظر إليها ليلملم شتات نفسه ويبقى صامدًا أمامها.

عندما نصبح في تلك الحالة الجنونية نقاوم ونهاجم وندافع وكأننا في

ساحة قتال إلى النفس الأخير هل ذلك ما يفعله بنا الحب أم تلك الطاقة والقوة التي لدينا هي موجودة بالفعل بداخل أعماقنا ولكن الحب هو الذي أخرجها إلى السطح؟!...يبقى هذا السؤال الغامض بدون إجابة واضحة ولكن الشيء الوحيد المؤكد أن هناك أشخاص مهما حاولنا الهرب منهم وإخراجهم من حياتنا يظلوا بداخلنا نراهم في كل موقف بيومنا ونفكر بهم أكثر ممّا نفكر بأنفسنا وإن استطعنا عرض ما يدور في عقلنا الباطن سنراهم محتلين المركز الأول في ذلك الفيلم القصير اليومي فالحب حينما يخترق القلب يصبح العقل أيضًا مسيطر عليه وكأنه جهاز يحول نبضات القلب إلى أفكار وصور واضحة.

***

ذهبت سارة بعد انتهاء يومها إلى المكان المحدد للمقابلة لتجد فتاة في منتصف العشرينات لم تأخذ أكثر من ثلاث دقائق حتى تطبع ملامح وجهها القمحي ذات العيون السوداء المليئة بالثقة والتحدي وابتسامتها المصطنعة ليكمل شعرها البلاتيني القصير بتسريحته الغجرية ترتدي بلوزة حمراء حريرية دون أكمام وبنطالًا من الجلد الأسود منتعلة حذاء أحمر فرنساوي ذو كعب شديد النحافة تلك الصورة المكتملة أمامها لفتاة ثلاثينية جريئة وحيوية تمتلك كثيرًا في جعبتها فأدركت أنها على وشك الدخول إلى ساحة المعركة فأقبلت تجاهها في هدوء بابتسامة بسيطة منتظرة أن ترى أسلحتها التي جهزتها لذلك اليوم.

-أنتِ بقى سارّة؟!...يا ترى عجبتك الصور إللي شوفتيها..أتمنى

متكونش ضايقتك، ظلت تتفحص سارة بطريقة متعالية من أسفل قدميها حتى أقصى خصلة في رأسها....

ابتسمت نصف ابتسامة بنظرة تملؤها السخرية والغيرة من تلك الفتاة البسيطة الواقفة أمامها قميص أسود مهندم بداخل بنطالًا أبيض يجمعهم حزام أسود رفيع وحذاء أسود مفتوح من الأمام تحمل بيديها شنطة سوداء صغيرة ماركة Dior وشعرها المنحصر في تلك الكعكة الكبيرة أسفله فيونكة بيضاء منقطه بدوائر سوداء...ألقت تنهيدة مليئة بعلامات الشفقة والرثاء.

لم تبدِ أية استجابة لأسلوبها المستفز تشابكت يداها وسألتها بنبرة هادئة:

-ممكن افهم إيه قصدك من كل إللي بتعمليه.

-إيه ده بجد أنتِ لسة مفهمتيش قصدي كنت متوقعة إنك أذكى من كدة.

-ابتسمت سارة في ثقة قائلة:

-لا الصراحة أنا فاشلة جدًا في أساليب اللف والدوران بس أنتِ شكلك ذكية أوي فيا ريت بقى تفهميني.

-أبدًا حبيت بس اتعرف على الوجه الجديد إللي في حياة شريف.

-أنتِ شايفة إن كل إللي بتعمليه ده من باب التعرف وبس وإيه بقى سر اهتمامك بيّا؟

-صعبتي عليّا فحبيت انصحك وافهمك على إللي هيحصل معاكِ.

-يحصل معايا إزاي يعنى؟!!

-شكلك متعرفيش أي حاجة عن شريف...أو بتحاولي تستعبطي قدامي وتتصنعي الغباء.

-من فضلك أنا مسمحلكيش، أطلقتها سارة في انفعال.

أخرجت لفافة تبغ من علبة معدنية سوداء موضوعة أمامها وابتدأت في إفراغ دخانها المختلط برائحة النعناع في وجه سارة متحدثة بنبرة مليئة بالتهكم قائلة:

-خلاص متزعليش يا قطة...أتمنى تكوني فهمتي جزء بسيط من شخصية شريف وحياته من الصور إللي بعتهالك.

-أنا عارفة وحياته إللي قبلي متهمنيش في حاجة المهم عندي من لحظة ما دخلت حياته.

أطلقت ضحكة غليظة منفرة ثم استراحت أكثر في جلستها واضعة إحدى ساقيها فوق الأخرى قائلة:

-لا المرة دي عرف يختار واحدة هبلة بجد.

-فوقي يا حبيبتي لو فاكرة إنك هتختلفي كتير عن كل إللي حبهم وعرفهم تبقي عبيطة هو بالكتير كام شهر وهتلاقيه نسيكِ أصلا.

ابتسمت سارة في هدوء وحررت يديها بجانبها مستندة بظهرها

للخلف ونظرت مباشرةً في عينيها قائلة:

-عارفة في الأول لما شوفتك وأنا داخلة كنت خايفة منك كنت شايفاكِ بنت جريئة وقوية لكن دلوقتي اكتشفت إنك تستحقي الشفقة لأنك بنت ضعيفة مجروحة وموجوعة بتحاول تطلع ده على إللي حواليها بس أنا عاوزة أوصلك حاجة.. لما بنحب حد من غير ما نحس بنجمع كل ثقة الدنيا فيه ولو شكينا في كل الناس هو الوحيد إللي هتفصل حتى لما شفناه غلطان قدام عنينا قلبنا بيكدب ده.. كان نفسي نتعرف على بعض في مناسبة أحسن من دي كان من الممكن إننا نكون أصحاب حلوين عن إذنك.

لم تستطع أن تتحمل شعورها بالانهزام أمام فتاة مثل سارة فـصبت غضبها الشديد على ذلك الكوب فجعلت منه في لحظات حطامًا صغيرة على الأرض ثم خرجت مسرعة لا ترى أمامها كفرس جريح يسير مترنحًا هاتفت شريف في محاولة أخيرة في الوصول إلى هدفها

***

ظلت تنظر يمينًا ويسارًا متحدثة بلهجة مليئة بالتهكم في محاولة لاستخراجه من حالة الجمود التام الذي سيطر عليه منذ لحظة دخولها..

-الظاهر إني جيت في توقيت غير مناسب أو يمكن كنت مستني حد تاني وأنا خيبت لك أملك.

لم يعطِ أي انطباع عمّا قالته متحدثًا إليها وهو في طريقه إلى المطبخ

ذات الطابع الأمريكي:

-تشربي شاي ولا قهوة؟

-لا شكرًا أنا مش حابة أعطلك عن إللي وراك...لو جاوبتني على سؤالي هتوفر على نفسك وعليّا وهترتاح مني بسرعة وامشي.

-مع إني مش فاهم حاجة بس اتفضلي اسألي

تقدمت بضع خطوات ثم اتخذت لنفسها مقعدًا من تلك المقاعد شاهقة الارتفاع التي تطل على المطبخ قائلة: أنتَ مين؟؟

***

أنتَ مين؟! أنتَ جود ولا أمير..انت طيب ولا بتصطنع ..أنتَ رسام ولا عازف ولا رجل أعمال....أنتَ مين؟

أخرجه سؤالها هذا ليجيبها وهو ينظر إليها:

-وهتفرق معاكِ في إيه لما تعرفي؟

أدهشتها نبرته الفاترة قائلة:

-هتفرق معايا في إيه!! ... أنتَ ليه بتعمل فيّا كدة أنا نفسي أفهمك نفسي أفهم تصرفاتك!!

-إذا كنت أنا أصلًا مش فاهم نفسي هفهمك إزاي..أجابها بنبرة مرتعشة تكاد تضعف أمامها متناسية كل ما صمد لأجله.

-أنا قربت أتجنن من التفكير كل ما أحاول أنساك كل ما بحاول

انسي كل لحظة حلوة جمعتنا وكل لحظة صعبة قولت لي فيها كلام وجعني ألاقي نفسي بفكر فيك مش عارفة أكرهك مش عارفة أنساك مش عارفة أصدق الكلام إللي بيتقالي مش عارفة أشوفك غير زي أما أنا شايفاك جوايا.

كلماتها جعلت قلبه ينطلق قبل ساقيه متجهًا نحوها قائلاً:

-وياترى الناس بتقولك عليّا إيه؟

اختلطت نبرتها بقليل من البكاء قائلة:

-بيتسلى بيكِ وأنتِ إديتيله الفرصة...ابعدي عنه ده مش بيعرف يحب وجرح قبلَك الإنسانة إللي حبته..

نظر مباشرةً في عينيها سائلًا لها:

-وأنتِ شايفاني إزاي؟!!

-أنا شايفاك الشاب الناجح والطموح إللي في نفس الوقت محافظ على روح الفن والموهبة إللي جواه والطفل المرح الطيب إللي بيعيش الحياة ببساطة وبيلعب ويضحك من قلبه، شايفة الوجع الكبير إللي جوه عينيك ومش باين للناس ومش قادرة أفهم أسبابه..مش قادرة اقتنع في كل مرة بتقولي فيها مش عايز أشوفك تاني إنك بتقولها من جوالك بس أنا تعبت بجد تعبت.

لم يتمالك مشاعره في تلك اللحظة فالتف بذراعيه حول كتفيها ليربت عليها في حضن أبوي حتى تكف عن البكاء مخبرًا إياها وهو

يتجول بنظره فيما حوله ليمنع الدموع من أن تتساقط من عينه إنه لم يقصد أن يجرحها ولكنه لا يستطيع البقاء بجانبها فأزاحت يديه عنها لتنظر مباشرةً في عينيه متسائلة عن الأسباب.

شعر باختناق شديد من ضغطها المباشر لأنه لا يعلم كيف سيجيب...فانفعل بوجهها قائلًا:

-لأنني لا أستحقك يا فريدة.

لم تفهم ماذا يعني ولم تعطها إجابته الغامضة أية راحة بل على العكس أثارت فضولها فسألته في تردد إن كان هناك مرض خطير يؤثر على حياته ويمنعهم من البقاء سويًا؟!

دب الخوف بداخله وتجمدت شرايينه فسألها بصوت خافت يكاد يكون غير مسموع:

-قصدك إيه؟؟!

-جود لو كان عندك مرض في القلب أو أي نوع من الأمراض إللي بتأثر على صحتك متخليهوش سبب يفصل بيني وبينك لو كنت خايف إني لو عرفت هفضل جنبك كنوع من أنواع الشفقة تبقى غلطان في حق نفسك وفي حقي معاك.

بعدما اطمئن أنها لا تعرف شيء حتى الآن استطاع التقاط أنفاسه أخيرًا مخبرًا إيّاها أن كل تلك التصورات التي في خيالها غير صحيحة وأنها لديها حس عالٍ من المشاهد الدرامية وإن كان هناك سبب لتجنبه

لها فالسبب الوحيد الذي لم يرد إخبارها به أنه شعر بمشاعرها تجاهه وأنه لا يبادلها بنفس الشعور فأراد الابتعاد عنها كي لا يجرحها أكثر من ذلك.

بعد ما ألقى بهذه الكلمات شعرت فريدة بالحرج الشديد لأول مرة تتصرف بمثل تلك الجرأة ولأول مرة تتمسك بشخص ما في حياتها ولكن الأصعب من ذلك أنها لأول مرة تشعر بمرارة الرفض المهين وكأنها تفرض نفسها على من أمامها وهي تكره ذلك الشعور المقيت فلم تجد أي داعي لمزيد من النقاش وانصرفت في هدوء منهية هذا الحوار المتضارب وذهبت محافظة على ما تبقى من مشاعر وكرامة لديها.

ولكنها لم تعلم أنه استخدم آخر بطاقة كاذبة لديه ليبعدها عنه بعد انصرافها لم تسعفه قواه فاستند متكئًا خلف الباب قابضًا على يده ودموعه تتساقط في صمت حتى انفتحت جميع جروحه بداخله واجهش في البكاء كطفل صغير تاه عن والدته وسط الزحام.

***

-ازيّك...

-كويس الحمدلله مين معايا؟

-كنت متوقعة إنك تكون مسحت النمرة عادي...لا بس ذوقك نزل أوي المرة دي يا ترى سارّة دي نمرة كام في الليست الشهر ده؟

-سارة مش رقم في ليست أنا بحبها وما اسمحلكيش تتكلمي عنها

كدة هتقولي لي أنتِ مين ولا أقفل المكالمة؟!!

-لسة بتتعصب بسرعة زي زمان...تصدق بعد ما قابلتها صعبت عليّا أكتر دي طلعت هبلة أوي.

-انجي!! .. نهض عن مكتبه مفزوعًا وكإنه تلقى صاعقة.

-أنتِ قابلتي سارة؟...قابلتيها ليه وقولتيلها إيه؟؟ أنتِ مالك بيها أصلا لو عندك حاجة المفروض تقوليها لي أنا.

اطلقت ضحكة متقطعة في محاولة لاستفزازه أكثر "كويس انك لسه فاكرنى ...شكلها خبت عنك مقابلتي معاها زي ما توقعت....لا الصراحة حبيبتك خيبت ظني.

تملكه الغضب الشديد حتى أصبح صوت شهيقه وزفيره واضحًا في كل كلمة ينطقها:

-ما تنطقيش اسمها تاني سامعة...والمرة إللي جاية لو عندك كلام تعالي قوليه ليا أنا...إنجي أنا كنت صريح معاكِ من أول ما اتعرفنا ولحد ما انفصلنا فمن فضلك بلاش تصرفات المراهقيين دي عشان مبتمشيش معايا سلام.

لم يترك لها أيّة فرصة لاستكمال حديثها ووصولها لهدفها فهو يعلم جيدًا براعة إنجي في استفزاز أعصابه فعلى الرغم من أن ارتباطهم كان واضحًا ومتفقًا عليه منذ بداية علاقتهم إلا أنها لم تسمح لأي شخص أن يتركها أولًا فهي تترك ولا تُترَك لذا أرادت دائمًا الثأر من شريف على

فعلته تلك ولكن على الرغم من إدراكه من سبب هذه المحادثة إلا أنه شعر بالاستياء والغضب من سارة لعدم إخبارها له عن مقابلتها لإنجى وكان ثقتها به أصبحت مشكوك بها فتجبن الاتصال بها حتى آخر اليوم ليستعيد هدوئه قبل أن يناقشها في هذا الأمر.

الثقة المتبادلة ذلك الميزان المتوازن الأطراف إن قلت أحد أطرافه هوى كل منهما فأصبحت المسافة بينهم كفارق السماء من الأرض... وكأنك مطالب دائماً بتوضيح أفعالك ونظراتك وكل ما تهمس به حتى تتأكد أن من تحب يفهمك بطريقة صحيحة فتتحول الحياة إلى تبريرات ومخاوف لنجد أمامنا فجأة جدار هائل أصبح يفصلنا عنهم فبالرغم من أنهم على قرابة بعض خطوات مننا إلا أننا لا نستطيع الاقتراب منهم وكأننا في عالمين مختلفين.

الحـــــب

بعدما تلقى رسالتها في صباح ذلك اليوم ذهب ليجدها كعادتها القديمة تمارس كرة السرعة في رشاقة ومرونة وكأنها سنبلة من القمح تتمايل متراقصة في رشاقة مع نسمات الرياح مرتدية زي أبيض من سترة تكاد لا تصل إلى خصرها وتنورة قصيرة تبرز ساقيها الطويلتين ينتهيان بحذاء رياضي "adidas"شعرها يغطيه كاب رياضي أبيض، عيناها الزرقاء تضيء فوق بشرتها السمراء كنجوم تتلألأ في ليالي صحاري الأردن، تقسيمات جسدها الواضحة وعضلاتها المفتولة تعكس لياقتها البدنية العالية؛ لأنها رياضية منذ زمنٍ طويل.

لم تدعه ينتظر كثيرًا فأنهت مباراتها سريعًا وذهبت تقف بجانبه مستندة على ذلك السور الحديدي

صمت لدقائق يتأملها مبتسمًا ثم أخبرها:

-متغيرتيش كتير يا دارين لسة زي ما أنتِ.

-أيوة طبعًا أنا لسة صغيرة...أنتَ إللي كبرت يا أستاذ وقرب يطلعلك شعر أبيض كمان وأقولك يا جدو.

ضحك لمحاولتها في إغاظته مثلما كانت تفعل سابقًا ولكنها تيقنت أن الذي لديه كثير ليقوله فرفعت حاجبيها إليه بلهجة المعلم لتلميذه:

-أولًا قولي إيه سبب مكالمتك الأخيرة؟

-كنت عايز اطمن عليكِ مش أكتر.

نظرت له نظرة ثاقبة بتمعن كأنها تقرأ ما بين السطور قائلة:

-تقريبًا كدة في حاجة قلقاك وشغلاك ومش قادر تهرب منها... احكي لي في إيه معاك؟

-كالعادة مش بقدر أخبي أفكاري...طيب هقولك يا ستي الموضوع يتلخص في كلمة واحدة "فريدة"

-للدرجة دي بتحبها.

نظر لها في خوف وارتباك ليكذب تلك الحقيقة على نفسه قبل أن يكذبها أمامها فلحقته بسؤال ذكي لتفضحه أمام نفسه:

-أنت خايف لما تكتشف الحقيقة تسيبك؟!

فأسرع في إجابتها:

-أنا خايف عليها مني يا دارين...!!

-جود فريدة مش سما متضيعش حب حقيقي في حياتك بسبب تجربة سابقة وانتهت من زمان...متحكمش على الكتاب من غلافه يا بشمنهدس...متهيائلي جه الوقت إللي تطلع فيه من صومعتك وترجع تعيش حياتك الطبيعية وأنا متأكدة إن فريدة هتكون أهم سبب هيديك الشجاعة والقوة.

-تفتكري حبها ليّا هيقدر يعمل كل إللي أنتِ بتقوليه؟

-لا....مش حبها هي لوحدها أنتَ كمان بتحبها يا جود أنا عارفة كويس مشاعرك نحيتها مش بحكم إني دكتورتك وبس لكن بحكم صداقتنا الطويلة ولا نسيتها دي كمان...متهربش من نفسك يا جود.

تطلع إليها بابتسامة شاردة يفكر فيما قالته.

***

كانت فترة التجهيزات المسبقة لخطبة شريف وسارة توقيت مثالي لفريدة حتى تأخذ استراحة من كل الأحداث الدرامية السابقة مستمتعة ببعض الأجواء المفرحة والصاخبة وتنغمس وسط أحداث شراء فستان الخطوبة والكم الهائل من الرفائع الأخرى التي تستهوي الفتيات لقضاء المشاوير الطويلة...في محاولة فهمٍ هذا اللغز الذي يسمى " shopping" لدى الفتيات ستنتهي بالفشل دائماً فهي أصعب من محاولة تفسير قوانين نيوتن للجاذبية ولكنها تظل أكثر شيء يمكنه أن يبدل مزاج أي فتاة بمجرد القيام به..هذا هو عالم الفتيات ربما أبسط الأشياء تكون قادرة على رسم ابتسامة على وجوههم.

تلك الفرحة اللامعة في نظرات سارة طوال هذه الفترة كانت كافية لتمنح فريدة للمثابرة بروح منهكة محاولة الالتزام بالوعد الذي قطعته لنفسها منذ ذلك اليوم الذي غادرت فيه منزله

أنها لن تقلل من مشاعرها ولا من قيمتها لأي شخص...

وعليها أن تتذكر أنها فريدة التي لا يلائمها سوى تلك الضحكة البشوشة الطموحة المثابرة فلم تعطِ لمشاعرها أي فرصة أن تفكر به في تلك الفترة حتى أتى اليوم المنشود وانشغلت فريدة بتفاصيل اليوم وكأنها والدة العروس وليست صديقتها.

ظلت عيناه تبحث عنها بداخل الحفل منذ لحظة وصوله المتأخرة حتى التقطها تضوي في ثوب أبيض قصير وطبقاته الحريرية تنسدل مثل زهرة الياسمين المتألقة في ندًى قطرات الماء شعرها المتدلي على كتفيها في إنسيابية رقيقة تشبه قلبها وأحمر شفاهها بلونه الأحمر الداكن يضفي لمسة مميزة وجريئة لم يلحظها من قبل أطال التحديق بها من شدة افتقاده لرؤيتها حتى تذكر أنه لم يبارك إلى شريف وسارة حتى الآن فأسرع بالذهاب إليهم قبل أن يقتله صديقه على فعلته تلك.

لم يستطع أن يصدق ما يحدث حوله إنه حقيقة وأن هناك فتاة استطاعت أن تجعل شريف صديق طفولته يقرر أن يرتبط ويدخل إلى قفص الزوجية مثلما كان يسميه دائماً ولكنه يشعر بسعادة غامرة لرؤيته فتاة رائعة مثل سارة بجانب أخيه.

ولكن ما أثار فضوله واستياءه التصاق سامح بفريدة أينما ذهبت فكلما حاول جاهدًا أن يستجمع شجاعته في محاولة الذهاب والتحدث معها يجده يحوم حولها كالقطة التي تحوم حول صغارها لتحميهم..فزاد من حنقه حتى قرر أن يضرب بتلك التصرفات الصبيانية عرض الحائط واتجه إليها؛ محاولةً للترحاب واختلاق نوع من أنواع الحديث فمنذ

حديثهم بداخل منزله لم تجمعهم أي مناسبة أخرى وبالرغم من إنه كان قلقًا من ردة فعلها إلا أنه طرد تلك الأفكار وذهب إليها في خطوات ثابتة...بقدر ما شعرت بضربات قلبها تتفاوت حتى يكاد يسمعها أي شخص يقف بجوارها إلى أنها حاولت أن تصطنع الهدوء مثبتة نظرها في جمود..قال لها:

-تقريبًا دي تاني مرة تجمعنا فيها حفلة من بعد حفلة المجلة فاكرة؟

-أه فاكرة....معتقدش إن في مناسبات تاني بعد كدة ممكن تجمعنا متقلقش.

شعر بالإحراج من ردة فعلها ولكنه يعلم أسباب تلك الحديث الدفاعي فحاول تلطيف الحوار:

-تخيلي أنا مكنتش أتخيل في يوم من الأيام إن شريف يتجنن ويخطب.

نظرت له بنصف ابتسامة تملؤها التهكم قائلة:

-ما هو مش كل الناس بتحب تلعب وتتسلى.

شعر بتلميح جعله محرجًا فاكتفى بالابتسام قائلًا لها:

-عقبالك.

فأجابته في ثقة مندفعة:

-ميرسي قريب إن شاء الله.

ليأتي سامح كالعادة في وقته غير المناسب ويصافح جود بابتسامة

مصطنعة ممسكًا بيد فريدة مصطحبًا إيّاها بعيدًا عن جود ليعطيه انطباعًا أن فريدة أصبحت بعيدة عن مناله.

على الرغم من عدم قبولها فعله سامح لكنها لن تمنعه بل سارت معه في هدوء معطية ظهرها لجود في محاولةٍ لترك مشاعرها عند تلك اللحظة لتتخطاها وتكمل حياتها لتتفاجيء به في لحظة أمام أعينها يسحبها من معصمها في قوة وسرعة مصطحبًا إيّاها إلى تراس الفيلا حتى يبتعدا عن ضجيج الحفل حاولت مسايرة خطواته السريعة حتى كادت أن تسقط فوق أحد السلالم فصرخت به في محاولةٍ لإطلاق سراح يدها من قبضته.

-لحقتي تحبيه؟

أجابته بانفعال:

-مظنش إن دي حاجة تخصك..

-انا بحاول أفهمك ومش قادر..مش قادر أفهم إيه تصرفات المراهقين دي!!

أطلقت ضحكة ساخرة طويلة:

-ياه..أخيرًا....معتقدش إن في حد صعب في فهمه قدك...

تصرفات مراهقين وإيه يعني!! أنت إللي عايز مني إيه يا جود ليه بتعمل فيّا كدة؟

أحكم بيده على إحدى ذراعيها وظل يتحدث بانفعال جعلها تنتفض

بشده بين يديه كأنه يريد إنهاء جمودها قائلًا لها:

-عاوزك ترجعي فريدة عاوزك تفوقي أنا خايف عليكِ تدمري نفسك.

أزاحت بيده عنها في هدوء مليء بالجمود والبرود ونبرة صوتها مليئة باتزان وثقة لم تعتد أن تتحدث بهم أمامه سابقًا:

-لا بجد فيك الخير والله متخافش أنا بعرف أخاف على نفسى كويس ولو فعلًا بتخاف عليّا سيبني دلوقتي وامشي.

كانت تحاول أن تحافظ على ما تبقى لديها من أعصاب حتى تقاوم هذه المصارحة الجنونية..للحظة خانتها دموعها أمامه فأشاحت بوجهها بعيدًا حتى لا يراها بهذا الضعف أمامه...شعرت باختناق شديد يعتصر روحها وكأنها حبست بداخل أضلعها لم تكن تتمنى أن ينقضي يوم مهم مثل اليوم بهذه الطريقة تمنت أن تغلق أعينها للحظات لتجده قد اختفى من أمامها أو أن يختفي ذلك المشهد برمته من عقلها لتسترجع هدوئها مجددًا.

عندما ساد الهدوء الموقف أعتقدت أنه قد ذهب وأنهى حديثه ليفاجأها بعد لحظات يلتفت واضعًا يداه فوق كتفيها منحنيًا برأسه إلى مستوى بصرها مثبتًا نظره عينيه في عينيها في تحدي.

تلك النظرة الواثقة وضعتها تحت ضغط نفسي أكبر بكثير من أي وقت مضى والأصعب من ذلك أنها لم تقدر أن تتحاشى نظرته التي

تحيطها حتى شعرت أنه يكاد يخترق روحها من الداخل فصرخت بوجهه"أنا بحبك..." وانهمرت دموعها كطفلة صغيرة.

كان واقع تلك الكلمة بداخله أشد بكثير من أن يتخطاها أو يعتقد أنه لم يستمع لها لم يقدر مواصلة النظر في عينيها فاحتضن رأسها بين يديه ليتكئها على كتفه وهو يغلق عليها بيده الأخرى متمنيًا لو كان هناك في هذه اللحظة آلة زمنية تأخذهم إلى زمنٍ ومكانٍ آخر لا يكون به أي أحدٍ غيرهم.

بداخل ذلك المخبأ شعرت فريدة باطمئنان وكأنها استراحت من طريق سفر مرهق بعد رحلة طويلة لم تشاء أن يوقظها أحد من هذه اللحظة حتى جود نفسه لم ترد أن ينطق بشيء آخر مكتفية باستماع صوت أنفاسه المتقطعة الذي أصبح الآن أكثر الأصوات المريحة والمطمئنة لها، يكفي أنه يشعرها دائمًا بتواجد جود إلى جانبها.

عندما نكون على وشك الوصول إلى ما نريده نجد دائمًا هذا النداء القوي الذي يأتي خلفنا في تلك اللحظة وكأنه سجادة سحرية ملعونة بعدما توصلنا إلى الطابق الأخير وقبل بضع خطوات قليلة ممّا تمنيناه تأخذنا مرة أخرى سريعًا إلى الطابق الأرضي لتحطم جميع ما بداخلنا من لذة الانتصار وشغف الوصول على أرض الواقع المتبلد فيتحول الحلم سريعًا إلى كابوس موحش نتمنى النهوض منه سريعًا.

للحظات عندما استمعت إلى صوت رنين الهاتف المتواصل أرادت أن تعتقد أنها تهيؤات مزعجة قادمة للعبث معها في تلك اللحظة ولكنها

بعد لحظات أعادها ذلك الرنين المتواصل من مدينة الأحلام التي كانت بداخلها لتنتفض في حرجٍ مبتعدة عنه بضع خطوا .

جلس يتأمل ملامحها الصافية أثناء ردها على المكالمة ليجدها قد تحولت وشحب وجهها في هلع لا ينبأ عن أخبار جيدة.

***

ظل ينظر كل منهما للآخر في حديث صامت حتى بادرها مازحًا بنظرة متحسرة إلى تلك الدبلة التي أصبحت بين أصابعه لتجيبه بعلامة الانتصار والقبض عليه....بالرغم من مرورهم بكثير من الأشياء سويًا ودخولهم مرحلة جديدة إلا أنهم لن يتخلوا أبدًا عن روحٍ المشاكسة التي تجمعهم، ربما ذلك كان أكثر ما يميز علاقتهم أكثر من أي علاقة أخرى فرومانسيتهم غير مفرطة ومشاكستهم الطفولية كانت تضفي روح مختلفة ونابضة لحياتهم الممتزجة بين الواقع والأحلام.

نهض مستئذنًا من عائلتها بعد انتهاء سهرتهم في صحبته إلى الخارج لتحظى بوقتٍ إضافيّ بليلتهم المميزة.

احتضمن يمناها بكلتا يداه بعدما طبع بها قبلة يخبرها بها إنها منذ تلك اللحظة، أصبحت له إلى الأبد.

-كلميني بكرة أول ما تصحي أكون خلصت شغل أعدي عليكِ ونتغدى برا.

-تعدي عليّا فين...أنا هكون في الشركة من الصبح نخلص سوا

ونخرج على طول.

-شغل وشركة!!...وليه مستعجلة على الشغل خدي أجازة الأسبوع الجاي عشان نتحرك براحتنا.

-وأنتَ ناوي تاخد أجازة برضه أسبوع عشان خاطر الخطوبة؟!

-أكيد لأ طبعًا شغلي حاجة وشغلك حاجة والمفروض إننا أتكلمنا في الموضوع ده قبل كدة.

-تاني يا شريف عمومًا أنا مش حابة إن يوم خطوبتنا ينتهي بزعل ممكن نأجل كلام في الموضوع ده لبكرة من فضلك خلينا النهاردة مبسوطين زي ما إحنا.

بعض الأشخاص يعتقدون أنهم حين يملكون القلب يستحوذون على حياة الآخر بأكملها ليصبح حديثهم مليء بالأوامر والنواهي ويتحول شريك حياتهم إلى دمية ماريونيت بين أيديهم يحركون مثلما يريدون..فيظلموا الحب بوضعه العذر الوحيد لتحكماتهم وأنانيتهم متناسيين أن أهم أركان الحب هي الاحترام والتفاهم وقبول الآخر مثلما هو عليه وليس كما نريده نحن.

***

ظلت شاخصة في مكانها تتأملها من خلف ذلك الحاجز الزجاجي في جمود بدون أن تنطق بشيء حتى تكاد تشك أنها تتنفس من شدة هدوئها تنهمر دموعها بغزارة صامتة ونظرتها مليئة بالتوسل.

لم يدرك كيف يتصرف، منذ لحظة وصولهم للمستشفى وفريدة بتلك الحالة ترى جدتها أمامها هو يعلم جيدًا أنها أهم شخص في حياة فريدة فهي تعتبر العائلة الوحيدة المتبقية لها.

هذه الحالة التي يراها عليها تقلقه كثيرًا، ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة لا ينبؤه عن حدوث أي شيء جيد ولكنه لا يعلم كيفية التصرف في مثل تلك المواقف، ربما لأنه متحدث بارع فقط بين أوراقه وليس في الواقع، فأكتفى بإحضار كرسي لها لتستريح عليه أمام غرفة العناية حتى تحافظ على ما تبقى لديها من قوة.

نظرت له فريدة في حوار صامت تسأله بطفولة هل تستطيع جدتي أن تتخطى ذلك؟..هل سنعود إلى المنزل سويًا؟؟

تلك النظرة اعتصرت قلبه فتحاشى النظر إليّها وظلّ يربت على كتفيها فإن لم يستطع أن يغير ما يحدث حولها ولو لم يكن يملك من الكلمات ما يستطع قوله لتخفيف ألمها، سيكتفي بفعل الشيء الوحيد الذي يملكه وهو أن يبقى بجانبها كملاكها الحارس.

مؤلمة تلك المواقف الصعبة والتجارب الأليمة التي نمر بها في رحلتنا ولكنها دائمًا المعلم الوحيد لنا والعدسة المكبرة التي تعيد تصحيح نظرتنا لأمور كثيرة بحياتنا وقيمة أشخاص لدينا.

فكلما كان الألم كبيرًا أصبح الدرس أعمق...

***

أوقاتنا الصعبة يجب أن نكون شاكرين لها فبها نختبر مقدارنا لديهم، إحيانًا سندرك أننا لا نساوي شيء وأحيانًا سندرك أنهم عكاز قوي حقيقي يمكننا أن نتكيء عليه..فحياة كل منّا مليئة بأنواع مختلفة من الأشخاص ولكن جميعنا يتفق على أن المختبر الحقيقي الذي يخبرنا مدى الصداقة والحب يظهران في لحظة واحدة وهي تلك اللحظة الحالكة التي تخور بها قوانا وندفع لنسقط إلى المجهول العميق لنعرف في تلك اللحظة من سيصدمونا، من خطئنا باعتبارهم جزء مهم من حياتنا ليتركونا خلفهم في أعذار واهية ومن سيفاجئونا بمنحهم لنا كل ما لديهم من قوة ووقت ليس فقط ليلتقطونا من هواتنا بل ليساعدونا في العودة إلى مسارنا.

فنعود ونستكمل رحلتنا ولكن بعدما تغيرنا أو بمعنى أدق بعدما أعدنا رؤية الأمور بوضوح على حجمها الطبيعي بعدما أدركنا الرفقاء الحقيقين في تلك الرحلة.

مرّ يومان على دخول جدة فريدة إلى العناية المركزة ولكنهم مضوا مثل عامين بالنسبة لها تواجد جود بجانبها قد منحها قوة كبيرة لم تكن أننا ستتلقاها في يومكم من الأيام من أحدٍ سوى جدتها، وكأن الحياة تمنحها شخصًا إضافيًا في الوقت المناسب وبرغم ما يحدث استطاعت فريدة أن ترى جانب كبير من جود لم تكن قد رأته بعد فهو كان المسئول عن الاهتمام بصحتها لا يجعلها تفوت أي وجبة من وجباتها باحتواء وأمام إصرارها الشديد على البقاء المتواصل بداخل المستشفى وعدم

رغبتها في عودتها إلى المنزل بدون جدتها حجز لها غرفة مستقلة لتستريح قليلًا ليلًا واعدًا إيّاها كل ليلة لجعلها تنام قليلًا أنه يتولى هو مسئولية مراقبة جدتها والاطمئنان عليها حتى تستيقظ هي لتجده يحضر لها القهوة صباحًا بابتسامة دافئة كالأم الحنون التي تهتم بجميع تفاصيل صغيرها.

ذلك القلب الدافيء العطوف الصامت في كثير من الأحيان إلا أنه يمنحنها دفيء وعناية تشعرها وكأن والدها الحنوّن قد أتى من عالمه الآخر في شخص جود فلم تدرك إذا كان هذا من حسن حظها أم تعويض السماء لها عن كل ما قاسته وعانته مسبقًا.

***

استيقظ من نومه ولم يجدها من حوله فتش عنها بجميع أرجاء المنزل حتى وجدها مُلقاة أرضًا في تلك الغرفة اللعينة.

ارتدى نظارته الطبية ليستطيع رؤؤيتها مُتسائلًا:

-إيه إللي مقعدك هنا؟

-المرة إللي فاتت عدت على خير ولحقت جود على آخر لحظة قلت أرتب المكان بكراكيبه فلقيت نفسى سرحت وسط الذكريات إللي جوا الكراتين..هو إحنا كبرنا بسرعة أوي كدة يا أكرم؟!

برغم القسوة التي تبدو على ملامحه الجادة، وجهه الخمري المليء بالتجاعيد أسفل عينيه يرتسم عليه دائمًا علامات الغضب والاستياء،

شعره الرمادي والقسمات الطويلة التي بين حاجبيه تبرز سرعة غضبه المستمر وانفعاله من أقل الأشياء فتميل عيناه السوداء إلى الاحمرار كأنها كرات نارية برغم تخطيه عامه السبعون وما مرّ به من ظروف صحية إلا أنه مازال يحتفظ ببعض من الطاقة والصحة ربما بسبب جسده القوي وطوله الشاهق.

نظر لها بابتسامة صغيرة سابحًا في فيلم قصير استعرضه عقله ليؤكد صحة ما قالته وكأن رحلة الحياة عبرت سريعًا دون أن يشعر بها أو بمعنى أدق دون أن يحاول أن يشعر بها ولكنه يدرك أنه لا يوجد مكان للندم الحزن الآن ليس هناك وقت كافٍ أيضًا له فعاد ينظر لها وهو يربت فوق كتفها ليسحبها حتى تنهض من أرضية الحجرة مستندة عليه في صمت مليء بكثيرٍ من الحوارات التي كل منهما فقط يعي معناها.

معظم الأشياء في حياتنا مع مرور الوقت تصبح أضعف وغير صالحة إلا الارتباط فكلما مرّت بكم الحياة سويًا كلما جعلت الترابط بينكما أعمق وأقوى ليأتي يومٌ تذوب فيه الأنا بداخل الآخر فتصبح الحياة ألبوم ذكريات مشتركة للحظات صعبة وأخرى جميلة تجعلنا نسعى لحقيقة وجودنا في هذا العالم.

***

بعدما استقرت حالة جدتها واستطاعت العودة إلى حياتها العملية كان بانتظارها أمام المجلة في نهاية اليوم دون أن يخبرها بمجيئه.

-أنتَ مستني من بدري..متصلتش بيّا ليه؟

-اركبي يلا مش عاوزين نتأخر.

تملكها الفضول فظلت تحدق به منتظرة أن يمنحها أي تفاصيل ولكنه استمر في النظر إلى الأمام مبديًا ابتسامة مليئة بالغموض.

انبهرت كثيرًا عند وصولهم إلى ذلك المطعم على الرغم من خبرتها الجيدة في الطعام الصيني إلا أنها أول مرة تذهب إلى هذا المكان.

-عرفت منين إني بحب الأكل الصيني؟!!

-العصفورة بتاعتي ساعدتني.

-أه أنا كدة فهمت ماشي يا سارة لما أشوفك.

-سيبي البنت في حالها وخلصي أكلك عشان لسة ورانا مشوار مهم.

-مشوار تاني..أنتَ إيه حكايتك النهاردة..الدلع ده كله مش مريح خير اللهمّ ما اجعله خير هو أنا قربت اتكل على الله ولا إيه.

-يا سلام على رومانسيتك المفرطة..أنا عرفت ليه بيقولوا على البنات إنهم نكديين.

-إحنا مش نكديين بس تقدر تقول بنخاف نصدق أوي في اللحظات الحلوة لنفوق على واقع يكسر رقبتنا...بس أنا هسمع كلامك النهاردة وهبطل أفكر وكفاية علينا نبقى مبسوطين.

بعد انتهائهم من تناول الطعام...وعند وصولهم أمام تلك البناية الشاهقة وجدته يفتح لها باب السيارة فشعرت بمزيد من الغرابة

-جود أنتَ سليم؟!

قبل أن يجيبها كان قد ربط إحدى الضمادات فوق أعينها ووقف بجوارها ممسكًا بيدها اليمنى..

-أنتَ إيه إللي بتعمله ده يا مجنون أنا مش شايفة حاجة.

-معلش خلاص قربنا نوصل...خليكِ ماسكة في إيدي وأنا هوصلك.

كان يشعر بحماس شديد وفرحة غامرة أثناء صعودهم ممسكًا بيدها بشدة وكأن الفرحة بين يديه يحاول أن يتشبث بها حتى لا تذهب بعيدًا.

ظلت تنظر في ذهول بعد أن أزال الضمادات وقبل أن تنطق بأي كلمة انقطع التيار الكهربي فأصبحت لا ترى شيئًا

-جود أنتَ رحت فين...إيه إللي حصل؟

***

-قدامك شغل كتير لسة؟

-مش هينفع نخرج النهاردة يا حبيبتي معلش...أنا كنت ناسي ميعاد اجتماع مهم خلينا نأجلها لبكرة.

-طيب ماشي...براحتك.

-وعد بكرة هنخرج فسحة حلوة تعويض...متزعليش..أقول لك اتصلي بفريدة خليها تعدي عليكِ.

-ما أنا بفكر أعمل كدة في حاجات كتير محتاجة اشتريها...خلاص روح خلص إللي وراك وبكرة نتقابل..باي.

أنهت مكالمتها المعتادة معه وسارت نحو النافذه في فتور واتخذت شهيقًا عميقًا..بداخلها أحاديث مختلفة أرادت مناقشتها معه..أرادت أن تسأله عن أحوال الشركة، هل غيابها مؤثرًا، وهل من الممكن عودتها بعد الزواج، كان هناك حلقة مفرغة بداخلها بعد انقطاعها تلك الأشهر عن العمل ولم تجد راحتها أبدًا في البقاء بالمنزل كما أخبرها شريف سابقًا أن ذلك الوقت سيينقضي سريعًا.

هي تعلم جيدًا أن هذا الحديث لن يتخذ مساره الصحيح معه وسينتهي بمشاجرة لن تعود عليها إلا بالإرهاق فاستسلمت للأمر وحاولت مسايرة أوضاعها الجديدة محضرة دفترها اليومي الصغير لتعيد البحث فيما ينقصها من أشياء يجب أن تبتاعها لتجهيزات الفرح.

***

لم تصدق ما تراه أمامها وضعت يدها فوق فمها من هول صدمتها... تلك العناقيد المضيئة الملتفة حول سور المكان وهناك الأشكال المضيئة الموضوعة في كل ركن من حولها بضوء أزرق خافت...هذا المنظر السحري كثيرًا ما كانت تراه في خيالها ولكنها لم تكن تعلم أنه من الممكن أن يتحول إلى حقيقة...هل انتهت حياتي على الأرض وأنا الآن في عالم آخر...هل تلك الجنة؟!...ما هذا الجنون لا محال من المؤكد أنني في حلم وستوقظني جدتي الآن لتناول الفطور.

استمعت إلى صوت ابتسامته الصامتة خلفها فالتفتت إليه...

-أنتَ عرفت منين إني.....!

قاطعها واضعًا إصبعه فوق فمها

-أنا قلت لك قبل كدة أنا مش محتاج أعرف أنا بحس.

لمح نظرة الفضول المثبتة لنهاية الساحة فسحبها من يدها إلى هنا..

-ده تليسكوب!!!!!!!!

نظرت له في دهشة..مازال يتذكر حديثهم عن نجمها المفضل..لم تستطع منع نفسها من النظر من خلاله لرؤية عالمها السحري...ظلت تصيح مطلقة ضحكة طفولية رنانة وهي تنظر من العدسة وكأنها طفلة في السابعة من عمرها تقفز فرحًا من إعطائها لعبتها المفضلة.

حتى وجدت جسم معتم فجأة حجب عنها الرؤية فأشاحت برأسها لتفهم ما سبب العطل الفني، تحسست بيدها فوق العدسة لتجد جسم صلب متدلي فوقها ..لم تستطع تخمين ما هذا فتدخل هو في تلك اللحظة وسحب ذلك الشيء مخفيًا إيّاه في قبضته فنظرت له في عبوس طفولي فافلتها من يده في خفة.

تملكها الصمت من شدة اندهاشها لجميع ما يحدث حولها لكنه لم يعطها المزيد من الوقت لذلك فانحنى قليلًا واضعًا تلك القلادة حول عنقها.

ظلت تنظر لها وهي تتحسس ذلك النجم المتدلي من عنقها وتعود وتنظر لجود بعيون لامعة وكأن النجمة قفزت من القلادة وأصبحت في عينيها.

-عارفة لما حكتي لي عن نجمك حسيت بالغيرة منه...هو يعرف عنك حاجات أكتر مني...وبيقعد معاكِ وبيشوفك أكتر مني..وهو أول واحد لما بتبقي متضايقة بتحكي معاه..فريدة هو أنا ينفع أكون نجمك؟!

ظلت تنظر له في تأثر دون أن تنطق بأي شيء ودموعها تتساقط.. فأعاد سؤاله:

-ينفع؟!

فأجابته بضحكة مليئة بالدموع:

-ينفع..ينفع.

فاحتضنها وظل يحلق بها في الهواء حتى كادا أن يسقطا سويًا وأصوات ضحكاتهم تتعالى دون توقف.

كريم هو الحب حين يمنحنا لحظات مميزة وكأنه الساحرة الطيبة التي بعصاها المسحورة تحول اليقطينة إلى عربة سحرية فنشعر وكأننا بداخل الأساطير الخرافية كل ما حولنا مليء بالسحر وكل ما تلمسه أيدينا يتحول في لحظات إلى أشياء تتحرك وتتحدث فنضرب بعالم الواقع عرض الحائط ونغلق أعيننا لنستمتع بتلك اللحظات.

***

ظلت تسترجع تفاصيل اليوم وخفقات قلبها تتعالى فتحاول أن تختبيء أسفل وسادتها لتسترخي وتستطيع النوم ولكن تلك الطاقة الغامرة التي حصلت عليها اليوم منعتها من الذهاب إلى أرض الأحلام ربما لأنها أصبحت عليها وهى مازالت مستيقظة..ففكرت أن تحاول الاتصال بسارة لتخبرها بتفاصيل ما حدث وتشاركهها فرحتها

-صحيتك؟

-لا أنا لسة منمتش..عاملة إيه؟

-مالك!

-زهقانة.

-لا الموضوع أكبر من شوية زهق...أنتِ اتخانقتي مع شريف؟

-لا متخانقناش...بس...

-بس إيه!...أنتِ بقالك فترة مش عجباني وأنا انشغلت عنك بأمانة وغصب عني...في إيه مخليكِ كدة؟!

-سارة وحشتني يا فريدة.

-نعم ياختي ده إللي هو مين يعنى...أنتِ بتشتغليني يابت!

أنا بتكلم بجد...أنا مفتقدة نفسي أوي أنا حاسة إني تايهة مش عارفة أعمل إيه..تفتكري دي حساسية زيادة عشان الضغوط والمسئولية إللي

أنا فيها اليومين دول؟

-شريف عارف إللي أنتِ بتمري بيه ده؟

-عادي هو مشغول الفترة دي بالشغل....تقريبًا بقالنا أسبوعين متقابلناش.

أمممممم بقولك إيه....افتحي باب الشقة مش عاوزه أرن الجرس واعمل دوشة.

-أنتِ برا!!!

-أيوة أمال جوا...افتحي يلا الليلة هنقضيها للصبح وعليه العوض ومنه العوض فـالشغل بكرة.

محظوظ من تمنحه الحياة صديق بألف صديق...ذلك الذي أمامه نستطيع أن نتحدث بما يدور في رأسنا بصوتٍ عالي...الذي يعلم متى يصفعنا لنستفيق من حماقتنا، ومتى يذهب معنا ليشاركنا في تلك الحماقة..هذا الرفيق الذي يكون أول من نفكر به في أضيق لحظاتنا ونحن على ثقة أنه لن يخذلنا في منتصف الطريق، ليس كل منا لديه هذا الشخص ولكن إن وجدناه سنكتفي به مدى الحياة.

***

لم يشعر من قبل أنه يحب عمله كثيرًا كما يشعر الآن...اختفت تلك الكوابيس المزعجة وأصبح مليء بالطاقة التي تجعله منذ أن يستيقظ حتى ينتهي يومه كثيرًا ما يشرد ويبتسم ليظن كل من ينظر إليه أنه في

حالةٍ من الجنون.

ومن هو وحده الذي يدرك سر هذه السعادة...فلقد قرر أن يكف عن التفكير المستمر والقل، أن يبدأ في الاستمتاع بمرحلة جديدة من حياته بجميع تفاصيلها.

ظل يهاتفه طوال اليوم ولكنه حاول كثيرًا تجاهل تلك المحادثة حتى استجاب مؤخرًا أمام إلحاح والده.

-أخبار الشركة إيه؟

-أنا كويس الحمدلله..باكل كويس وصحتي باخد بالي منها.

-أنتَ بتتريق على أبوك!!

اتخذ نفس عميق حتى يستطيع أن يتمالك أعصابه حتى تعبر المحادثة

-إيه السبب القوي إللي خلاك تكلمني؟

-وهو أنا محتاج سبب يخليني اتصل بابني؟!!

لم يستطع كبح نفسه عند استماعه تلك الجملة انطلقت ضحكاته الهستيرية حتى امتلأت عيناه بالدموع...أراد أن يغلق الخط وينهي تلك المحادثة المرهقة.

-قولي عملت إيه في عرض شركة الفاروق؟...أنا عارف إن أغلب الاجتماعات الشركة برا مصر بتخلي شريف هو إللي يروحها..بس الاجتماع ده أنا عاوزك أنتَ إللي تكون موجود فيه..ولا أنت شايف إن

المنصب إللي أنتَ فيه ده كبير عليك ومحتاج حد يشيل معاك المسئولية؟!

هو يعلم أن تلك دائماً هي طريقته في الحوار لن يحظوا أبدًا حتى الآن بأي مناقشة هادئة..اعتصر قبضته بشدة محاولاً السيطرة على انفعالاته ولكنه للمرة الأولى يشعر بشيء مختلف بداخله..شيء جعل جميع الشحنات السالبة تنخفض مرة أخرى ليستعيد نبرته الهادئة والواثقة....

-المنصب ده أنا وصلتله بعد تعب.

-أنا من رأيي نأجل الحوار ده لحد ما ارجع من السفر وقتها بس هقدر أقول لك إذا كنت قد المسئوليه ولا لأ.

كم هو مؤلم أن يكون أكثر الأشسخاص الذين نتلقى منهم الجروح هم أقرب الناس إلينا تلك الحقيقة التي تجعلنا نتألم أكثر..فمن من المفترض أن نذهب إليهم لمداواة جروحنا هم من نتلقى منهم الطعنات..فنصبح أقل ثقة في جميع من حولنا...

محاولين دائماً إخفاء ندابتنا وأخبار أنفسنا أن كل ذلك لا يهم ولن يؤثر بنا، محاولين طوال الوقت تمثيل أننا بخير وأن كل شيء على ما يرام وحدها تلك الليالي المتأخرة التي نبقى بها مستيقظين في صمت ووجع يكاد ينفجر بأضلعنا هي التي تعلم كم قاسينا، وكم أثرت بنا هذه الجروح..ولكننا نخفيها لنستيقظ في صباح اليوم التالي واضعين ذلك القناع السعيد القوي مواصلين القدوم في طريقنا بهدوء حتى لا يلمح أحد حقيقة ما بداخلنا.

***

شعرت فريدة بالاستياء من سفر جود المفاجيء إلى الخارج دون إخبارها بأي شيء ولكنها ستنتظره إلى أن يتصل ويخبرها بجميع التفاصيل فهي تعلم أنه من المؤكد أن لديه أسبابه.

مع مرور الأيام ازداد حقد سامح وكرهه لجود فمن وجهة نظره هو سرق منه الإنسانة الوحيدة التي أحبها.. ولكن تلك فرصته الوحيدة التي لن يتركها فربما القدر منحهه تلك الفرصة للسفر في نفس التوقيت حتى يستطيع إيجاد طريقة تمكنه من التخلص منه.

هل حقًا من الممكن أن يجعلنا الحب أشخاص حاقدين نحمل الضغينة ونتمنى الشر للآخرين.. هل حقًا تلك الجرائم من الممكن أن ترتكب باسم الحب.. أي حب هذا الذي يحولنا إلى وحوش غير آدميين.. حتى الحيوانات التي ليسً لديها عقل لا تستطيع أن تؤذي أي شيء إذا أحبت.

فكم هو غير قابل للإدراك أن نترك أنفسنا نتقيد بتلك الأفكار المريضة خلف أوهام أنه من أجل الحب.. فليذهب الحب إلى الجحيم إن كان سيسلبنا إنسانيتنا ونقاوة قلوبنا.

***

لم تكن تعلم أن جود قام بتوصية شريف بالاهتمام بها حتى عودته من السفر على الرغم من انشغاله المفاجيء لا يستطيع إلا أن يهتم لأمرها

فهذا لن يمنعه عن التفكير بمن جعلته يحيا من جديد.

فأصبحا شريف وسارة يقلوها يوميًا من أمام المجلة ليذهبا إلى تناول الغذاء أو لشراء بعض الأثاث لمنزلهم الجديد..ربما ذلك كان اقتراح جود ولكن شعر شريف أيضًا بأهميته للترويح عن سارة في تلك الفترة لما لمحه عليها من تغير وكأن روحها تفتقر للحياة معتقدًا أن سبب ذلك انشغاله عنها في الفترة السابقة..ولكنه لن يدرك السبب الحقيقي لما اصبحت عليه ليس لأنه لا يجيد قراءة عينيها ولكن لأنه رأى الحقيقية كما أراد هو أن يراها.

***

كان منبهي بشدة بالطراز الفرنسي العريق المنعكس في تفاصيل الفندق ربما لأنه من أشد المتأثرين والمعجبين بالأدب الفرنسي وخاصةً على مستوى دراسته وعمله كصحفي ابتدا في تناول كوب القهوة في سعادة غامرة وحماس كطفلٍ ذاهبًا في رحلة مدرسية مع أصدقائه..ظل سامح ينظر متأملًا جميع منٍ حوله فيمَ يفكرون فيمَ يتكلمون، أراد أن يلتقط صورًا بداخل ذاكرتها لتلك المغامرة حتى رآه مقبلًا إليه من بهو الفندق.

شاب طويل القامة ذو لحية خفيفة وبعض الشعيرات البيضاء التي تتخلل شعره الأسود تزيد وسامته قوامه الرياضي، يؤكد على لياقته البدنية العالية ولكن عيناه السوداء وبشرته القمحية بنظرتها الحادة تعكس جذوره المصرية، جلس أمامه مرحبًا بابتسامة عريضة على

وجهه..

-صباح الخير...أخبار الإقامة هنا إيه..مش محتاج أأكد عليك لو احتاجت حاجة كلمني في أي وقت.

-هو الصراحة الإقامة كويسة جدًا ناقصها الفسحة الحلوة..لو حضرتك مش وراك أي خطط لفترة بالليل أتمنى تقبل عزومتي؟

-وهو كذلك يا برنس..مش دي لغتكم الدارجة دلوقتي في مصر؟

-صح كدة..هو حضرتك بقالك قد إيه ما نزلتش مصر يا أستاذ نادر؟

-يعني تقريبًا ٢٠ سنة كدة...معلش هستأذنك دلوقتي عشان عندي اجتماع أشوفك بالليل.

حنقه كثيرًا مناداته له باسمه المصري الذي لم يستمع إليه منذ عدة أعوام ربما لأنه يذكره بأشياء يرغب بنسيانها.

كانت أكثر أوقاته سعادة ....لذة الانتصار التي شعر بها سامح وإن كل الأمور تسير وفقًا لإدراته وكما خطط لها فزاد من ثقته وتحمسه للخطوة التالية.

***

بعد انتهائه من تجهيزات الاجتماع المسائي مع المستثمرين حاول إيجاد أي شيءٍ يساعده في تمضية الوقت فهو لا يشعر برغبة في الخروج أو

التجول في شوارع باريس كما اعتاد أن يفعل عند سفره في السابق..

ظل يتنقل بداخل غرفته تارة شاردًا أمام النافذة المطلة على تلك الحديقة الملونة بأزهارها الصفراء والنافورة الراقصة المطعمة بتمثال حجري لفتاة تملىء جرتها..

على الرغم من جمال المنظر أمامه إلا أن عقله كان شاردًا في مكان آخر ربما لأنه يفتقدها كثيرًا..فقرر أن يفاجئها بمكالمة مستمعًا لدفيء صوتها حتى يخفف عنه برودة الغياب.

-مع إني مكنتش ناوية أرد عليك لحد ما ترجع من السفر عقابًا ليك بس مقدرتش..هبلة أنا عارفة.

-أنتَ هتفضل ساكت كدة وبتضحك عليّا من غير ما تقول حاجة.. مستفز.

-لماضتك وحشتني...مش لاقي حد يطلع عيني هنا.

-يا سلام يعني أنا بطلع عينك...طيب خلاص ماشي خليك عندك عشان ترتاح مني.

-فريدة خليكِ معايا ثواني.

ظل يسأل من بالخارج ولكن لم يجبه أحد فقط صوت طرقات متكررة...بمجرد أن فتح باب الحجرة حتى وجد سيارة كهربائية صغيرة تبدو كلعبة لطفل ما..أعتقد أنها ربما لأحد أطفال النزلاء بالفندق وأتت إلى حجرته بالخطأ، هم أن يخرج بها حتى يبحث عن صاحبها ولكن

تلك البطاقة الموضوعة أعلاها جعلت عينيه تتسع ذهولًا شعر وكأن الغرفة بأكملها تضيق حتى أصبحت بحجم علبة ثقاب فارغة.

صوت فريدة مازال يستمعه على الهاتف الذي سقط من يده على أرضية الحجرة ولكنه لا يقوى على الحراك كل ما استطاع فعله في تلك اللحظة أن يضع رأسه بين يده ضامًا ساقيه إليه وكأنه يريد أن يختبيء من شيء يواجهه..تلك الأصوات الصاخبة تدوي في أذنيه بقوة.. استمر نفسه في التضاؤل وأصبح كل ما حوله يتلاشى وكأنه ذهب إلى عالمٍ آخر.

المواجهة

-فينك يا ندلة ...من يوم خطوبتك معرفش عنك حاجة خلاص دخلتي القفص واختفيتي.

-معلش يا ندى مشغولة شوية..عاملة إية..الشغل أخباره إيه؟

-أنا كويسة الحمدلله أي نعم حاسة بملل كبير وفيه حاجة كبيرة نقصاني من بعد ما سيبتي الشركة...بس هقول إيه الله يسهلوا يا عم.

-صحيح إحنا احتمال نتجمع كلنا ونخرج الأسبوع الجاى نتغدا برا ما تيجي معانا وتغيري جو..القسم كله بيسأل عليكِ هيفروحوا أوي لما يشوفوكِ.

-مش عارفة..مش هينفع..أقول لك سيبيها لوقتها لو كنت فاضية هاجي.

شردت في عالم آخر ممددة فوق فراشها حتى أنها لم تع أنها كانت قد أنهت المكالمة مع صديقتها أم تركتها على الهاتف، تلك الأيام لا تدرك إن كانت تتناول وجبتها بالفعل أم تعتقد أنها تناولتهم ..الشيء الوحيد الذي تواصل فعله هو النوم وربما ليومين متتاليين.

كثيرٌ منّا يختار النوم كأفضل وسيلة للهرب...الجميع يعتقد أنه هربًا

من عالمنا ولكنهم لا يدركون أن السبب الحقيقي هو أننا نهرب من أنفسنا..نختار النوم حين لا نريد تلك الحقيقة أمامنا...أن نرى أنفسنا على حقيقتها، لا نريد أن نتخذ ذلك القرار الصعب أو نرفض قرار آخر...نهرب حين لا نريد أن نصل لحل أو ربما لأننا لا نمتلك في تلك اللحظة الشجاعة الكافية لمواجهة أنفسنا بالحقيقة والواقع واتخاذ القرار الصائب..ربما لذلك كانت تستمر سارة في النوم فقط حتى يأتي ذلك اليوم الذي تستجمع فيه شجاعتها لتقرر ماذا يجب أن تفعل.

***

-ما تفتحش الستارة....سيبني أنام شوية كمان.

-وبعدين معاك يا جود...عجباك الحالة إللي أنتَ فيها دي عدى أسبوع على رجوعك وأنتَ حابس نفسك هنا في الشقة والشغل متعطل، بلاش الشغل يا سيدي أعمل إيه في فريدة إللي كل شوية تكلمني تسألني أنتَ فين وأنا مش عارف أرد عليها برد مقنع..بسببك كذبت شوية كذب الفترة إللي فاتت منا بشوفش من وراك غير المصايب يا أخر صبري.

-شريف أنا خايف...أنا مش عارف أعمل إيه، بحاول أفهم إيه إللي حصل..بحاول أفسر الأصوات إللي كنت بسمعها فلحظتها لكن مش قادر أوصل لحاجة أنا تعبت..مش عاوز فريدة تشوفني في الحالة دي.

-وتفتكر قعدتك في البيت هيحل حاجه..أنت بس إللي مكبر الموضوع حبتين..ليه ميكونش حد حابب يعمل فيك مقلب ولا حاجة؟

-بص أنتَ رجعت أهو ولحد دلوقتي مفيش أي حاجة جديدة حصلت ولو في أي حاجة كان هيبان متشلغش بالك بأوهام ويلا عشان نروح نخلص الشغل إللي ورانا، كفاية استعباط أنا حاسس إن عمي مركز اليومين دول معانا في الشغل ومش عاوزينه يحس بحاجة.

نجح أخيرًا في إقناعه بالنهوض من فراشه بعدما طمئنه قليلًا بمنطقيته وواقعيته..أو ربما لأنه أراد أن يتعلق بأي فكرة من الممكن أن تريحَ عقله من الحرب التي يخوضها بداخله.

***

لم تكفَ عن النظر إلى شاشة هاتفها كل دقيقة..حتى شعرت بذلك فأرادت أن تشغلَ نفسها بشيء حتى لا تفكر به..كم هائل من الاستياء يسيطر عليها ولكن ذلك القلب المشاكس المليء بالاشتياق إليه يحثها أن تغفر له ولكنها تحاول مقاومة تلك المعركة ما بين عقلها وقلبها فهي تعلم أن في آخر الأمر سيخسر عقلها أمام قلبها والفضل لجود الذي غيّر كثيرًا ممّا بها دون أَن تشعر.

لمح سامح أن هناك شيء يحدث فأراد أن يغتنم الفرصة..فلقد أصبحت الإطاحة بجود من حياة فريدة هو هدفه الأول وسبب بقائه على قيد الحياة...وربما لسبب معرفته بكثير من الأشياء عن جود ذلك كان مساعدًا في تنفيذ جميع مخططاته.

-هيــــه في ناس محظوظة الحياة متسهلة معاها في الشغل والحب برا مصر وجوا مصر... يا بختك يا عم جود.

-أنتَ قابلت جود في فرنسا؟

-لا إحنا الصراحة متقابلناش..أصل هو كان مشغول حبتين بصحباته الأجانب إللي كان قاعد معاهم ...قصدي أصدقاؤه وكدة... عادي الصداقة حلوة مفيش كلام..كان نفسي أسلم عليه بس أعمل إيه أنتِ عارفاني مبحبش ابقى ضيف تقيل في أي مكان.

نظرت له نظرة حادة دون أن تخوض في المزيد من الحديث...فهي لم تصدق أي شيء ممّا قاله ولم تقتنع بأسلوبه الصبياني المبتذل ولكن ما يحيرها حقًا لماذا يتصرف هكذا والأهم لماذا لم يظهر جود كل تلك الفترة.

شعرت بحيرة جعلتها مشوشة ومضطربة لا تعلم إلى من تستمع ...أين هو الآن ...مالذي يحدث معه، شعور قوي يخبرها أن هناك شيئًا كبير يحدث معه فقررت الاستغناء عن عقلها وأن تضع كبرياؤها الأنثوي جانبًا وتذهب لتبحث عنه.

عجيب هو ذلك الحب بقدر ما يشعرنا بأهمية وجودنا لشخص ما وكأننا قطعة فريدة لا مثيل لها..حين نذوب فيه نتخطى هضبة الكبرياء التي بداخلنا وكأن تلك القطعة فقدت قيمتها بدون جزءها الآخر، فلهذا يقولون عن الحب أنه يكمل..لأنه إن ابتعد أحد أطرافه لفترة فقد الطرف الآخر معناه.

***

بعد استماعه للكثير من الطرقات المتتالية..لم يجد سوى صندوق

قديم متروك أمام الباب ..قبل أن يلتقطه من الأرض خرج مسرعًا في محاولة اللحاق بمن وضعه لربما استطاع فهم ما يحدث، ولكنه عاد بعد قليل دون أن يصل لشيء.

ظل ينظر إلى ذلك الصندوق نظرات مطولة يلتقطه أم يتركه هكذا؟...بعد مرور كثير من الوقت قرر استجماع شجاعته ليرى ماذا بداخله.

***

أثار استغرابه توقيت مكالمتها له والأكثر عندما عاودت الاتصال بعدما ضغط زر الإنهاء ليجعلها تدرك أنه مشغول في تلك اللحظة..

-فينك؟

-في الشركة معايا شغل هخلصه واكلمك.

-لا سيب الشغل إللي في إيدك واستناني تحت الشركة أنا جايالك في الطريق.

-في إيه طيب..أنتِ تعبانة؟ ..في حاجة حصلت في البيت...حد ضايقك!

-كفاية أسئلة اقفل ولما آجي هنتكلم سلام.

كان صوتها مليء بالوجع والتحدي..تنظر إلى الشوارع من نافذة السيارة وهي تفكر في قرارها الذي اتخذته بالأمس فابتدأت ضربات

قلبها تتسارع معلنة الحرب مما جعل البرودة تنتشر في أطرافها ولكنها كانت تضغط على كفيها محاولةً طمأنة نفسها لتنفذ قرارها الذي وصلت له بعد كثير من المعاناة.

تصرفها أثار فضوله منذ أن أغلق معها..لا يقبل أبدًا أن يعطيه أحد الأوامر وخاصة حين يكون الأمر متعلق بعمله ولكنها سارة فكيف لا يستجيب...ألغى مواعيده وخرج مسرعًا لينتظرها بالأسفل.

أسند ظهره على الحائط المجاور لمقر الشركة واضعًا أحد يديه خلفه متلفتًا يمينًا ويسارًا يبحث عنها بين المارين فهو يكره الانتظار يشعر وكأن الحياة تتوقف عن الحركة حينما ينتظر حدوث شيء أو إيجاد شخص لذلك دائما ما كان يحضر متأخرًا في كل الأوقات...

لمحها تعبر الطرف الآخر من الطريق فأشار لها بالتوقف..مع كل خطوة يخطوها تجاهها حاول أن يقرأ بها معالم وجهها، كان هناك شيء مختلف عن جميع المرات التي قابلها بها..عيناها تقولان شيئًا مختلف لا يستطيع قرائته فحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه ولكن على عكس طبيعتها لم تبادله بنفس الابتسامة البشوشة التي اعتادت أن تستقبله بها..شيء بداخله يخبره أن هناك شيء غير سار يحدث...

كيف تأتي لحظات لا نستطيع قراءة ذلك الكتاب المفتوح الذي كثيرًا ما كنا نحفظ ما بين طيّاته حرف حرف عن ظهر قلب..تلك العينان التي كثيرًا ما كنا نرى انعكاسنا في لمعانها أصبحت معتمة وكأنها حاجز منيع يحجب عنا رؤيته ماذا يدور بداخلهم وكأننا أصبحنا دخلاء.

ذلك العقاب القاسي الذي يمنحنا إيّاه الحب حتى يخبرنا كم آذينا من نحب ونحاول إصلاح ما أفسدنا لكننا نستمر في سؤال أنفسنا متى وصلنا إلى تلك المرحلة وكيف أصبحنا عليها.

كثيرًا ما نكتفي بالبحث عن الأسباب متجاهلين محاولة إيجاد الحل.

***

ظل يقلبه بين يديه ليستمع إلى أصوات أشياء صغيرة تتحرك بداخله مرة أخرى وانطلق ضاحكًا مستهزئًا من نفسه عندما وجد تلك الكرة القديمة الممزقة اطمئن إنه ليس أكثر من مزحة سخيفة.

ولكن ما تلك الموسيقى التي يسمعها من الداخل..لم يكن قد لمحه بعد ذلك المشغل الصوتي بالداخل عندما أخرجه استطاع أن يستمع إلى كلماتها بوضوح..

-جود التسجيل ابتدا.

-بجد طب هنقول إيه يا صاحبي؟

-أنا نادر ومعايا جود صاحبي ده أول تسجيل لينا على الريكورد إللي بابا بعتهولي.

-إيه جو الدراما ده يا نادر؟!

-دراما طب وريني فرفشتك يا واد يا كوميدي.

***

تعالت ضحكاتهم في التسجيل وتضائلت معهم أنفاس جود برغم من اختفاء جزء من ذاكرته إلا أنه ما زال يستطيع تميز صوته عندما كان صغيرًا ولكن صوت الشخص الآخر جعله يشعر بألم في قلبه ورعب يسري في داخله.

ابتدأت يداه ترتجف مع استماعه لكل جملة من كلمات التسجيل، كثير من الصور تدور برأسه مقتطفات من أحداث تتجمع حوله ظل يتراجع بخطواته إلى الخلف محاولةً في الهرب من أفكاره حتى اصطدم بالحائط وسقط أرضًا.

لا يشعر بأطرافه وكأنها تيبست، ألم شديد يضغط على رأسه...لم يرَ من قبل ذلك الكم الهائل من الذكريات يتدفق في رأسه مثل الآن حاول أن يستند على ذلك المقعد الذي بجانبه ليستطيع النهوض ولكن أعصاب يداه خانته ليسقط أرضًا ..استمر في البكاء وهو يلهث بأنفاسه المتقطعة صارخًا بضع صرخات قبل أن يفقدَ وعيه.

***

ظلّت صامتة منذ لحظة لقائهم إلى أن اصطحبها إلى إحدى الكافيهات المجاورة إلى مقر الشركة، بدأ صبره ينفد من ذلك الغموض المحيط بما يحدث...

-اديني سمعت كلامك وسيبت الشغل وجيت ممكن افهم في إيه بقى؟

-شريف أنا تعبت..مش قادرة اكمل كدة.

-تعبتي من إيه مش فاهم..أنتِ مخلياني أسيب الشغل وانزل اجري زي المجنون عشان تقولي لي كلام مالوش معنى، في إيه يا سارة؟!

نظرت له بابتسامة مكسورة قائلة:

-هي دي المشكلة يا شريف.

-إيه الفيلم التركي ده إللي أنت عايشة فيه...في إيه مالك أنا عاوز افهم ولو سمحت قولي كلام بني آدمين طبيعين يتفهم عشان أنا دماغي فيها ستين ألف حاجة دلوقتي يا سارة ومش فاضي لدلع البنات ده.

-دلع!! وأنا ما يرضنيش اعطلك عن شغلك يا شريف...أنا من بكرة هرجع الشركة.

-سارة حبيبتي أنتِ في حد دايقك النهاردة...أو ممكن تكوني زهقانة شوية عشان إحنا مش بنخرج كتير اليومين دول وعد بجد......

لأول مرة تنفعل عليه ولكن تلك النغمة المعتادة لم تعد تحتمل أن تستمع إليها مجددًا فقاطعته محتدة:

-أنا مش طفلة تحايلها بخروجة ولعبة ياشريف....أنا تعبانة مش قادرة أعيش كدة مفتقدة نفسي، وحشني شغلي حاولت أعيش حياتي زي ما أنتَ عاوز بس مقدرتش صدقني مقدرتش..من فضلك سيبني ارجع الشغل.

***

-حلوة أوي العربية دي ينفع العب بيها، قالها وهو جالس في دهشة طفل عفوية برؤيته سيارة بألوان مميزة.

-دي بتاعتك أنا جيبهالك هدية.

-بجد دي حلوة أوي يا نادر..بس يا خسارة مش هقدر آخدها خليها معاك "قالها ونكس رأسه إلى الأسفل في يأسٍ وحسرة".

-ليه يا جود؟

-بابا لو شافها معايا هيكسرها وهيعاقبني...مش هقدر آخدها.

التف بذراعه حول عنق صديقه مشجعًا إياه قائلًا:

-خلاص متزعلش أنا هشيلهالك معايا وكل يوم بعد المدرسة نلعب بيها...يلا بقى مش هنعمل السباق بتاعنا ولا أنتَ خايف تخسر قدامي.

قفز جود مبتسمًا في حماس:

-لا طبعًا أنا إللي هكسب زي كل مرة وأنتَ إللي هتعزمني.

-واحد..اتنيـــــــــن...تلاتة

استيقظ منتفضًا من مكانه بعد ذلك الحلم..." من هذان الطفلان ؟!" احدهم يشبهه كثيرا ولكن مامعنى ذلك الحلم حتى بدأ يشعر ببعض الألم في رأسه.. ولكن ما رآه عند استيقاظه جعله في دهشة أكبر "فريدة!!!"

لماذا هي هنا؟.. ما الذي أحضرها؟.. لم يستطع أن يصدق فكرة أنه ظل نائمًا طوال الليل ممددًا فوق تلك الأريكة متكئًا على ساقيها هذه هي مرته الثانية بجوارها ظل يلعن ذاكرته التي تحرمه من تذكر تفاصيل مهمة ومميزة مثل تلك..

أعاد النظر إليها في حنو يتأمل ملامحها الطفولية اجفانها المرتخية في إجهاد واضح على وجهها "كم يشفق على حظها السيء الذي وضعها في طريق شخص مثله.. كل ما يستطيع أن يقدمه لها هو الألم والخوف"

ربت على كتفها برفق واضعًا إحدى الوسادات أسفل رأسها وبعض الأغطية فوقها.. "كيف أحبته تلك المجنونة ماذا أحبت به؟.. لم يتلقَ من قبل هذا الكم الهائل من الحنان.. لا يستطيع أن يتخيل أن يجد بجانبه أحد يمنحه ذلك الدفء الذي منحته إيّاه فريدة ظل يمررر أنامله عبر خصلاتها المتناثرة بفوضوية مرتبة فوق الوسادة واضعًا قبلة صغيرة فوق جبينها قبل أن يذهب.

***

لم يكن يتوقع أن يجدها مستيقظة في هذا الصباح الباكر ولكنها فاجئته بإخباره أن يأتي إليّها.. فتحمس كثيرًا لذلك وذهب بدون تردد أو تأخير ربما من شدة احتياجه للحديث معها.. بعدما وجد موضع يضع به سيارته اتجه إليها وهو مبتسم من رؤيتها جالسة القرفصاء فوق إحدى المقاعد الرخامية العامة الموضوعة بالشارع، نظرت له ملوحة دون أن تتوقف عن تناول الساندوتش الذي بيدها.. نادرًا ما كان يشعر

معها أنه بصحبه طبيبه الخاص ربما من تصرفاتها غير الاعتياديه وطريقة تفكيرها المختلفة عن سائر الأطباء..

-في دكتورة تفطر من على عربية فول؟

-وهما الدكاترة ممنوعين من أكل الفول ولا إيه محدش بلغني؟

-لا مش قصدي بس أنا متعود عليكِ بتاكلي توست ومربى ده آخرك.

-لا أنت فايتك كتير...العزومة عليّا النهاردة..بذمتك شفت دكتور بيدلع مرضاه كدة ياسلام على تواضعي.

كانت دائماً ما تتفنن في خلق الجو المناسب لجود في حديثهم حتى تستطيع أن تجعله يخرج ما بداخله...فهي تعلم صعوبة ذلك بالنسبة له...عندما أطال النظر إلى الضفة الأخرى من النيل في صمت... أدركت أن ذلك الوقت ليس للحوار وإنما للصمت بجانبه...

الصديق الذكي هو الذي يعلم متى يجعلك تتحدث عمّا بداخلك ومتى ينصت باهتمام إلى صمتك ويشاركك به.

بعد مرور قرابة الساعة نظر لها بامتنان...دائماً ما تستطيع فهمه وإراحته....

ربما الحياة قد حرمته من أن يعيشَ حياة طبيعية ولكنها عوضته بأشخاص مميزون بجواره ربمّا ذلك كان هدية السماء له على قدرة احتماله لكل ما عاناه.

عاد بنظره مرة أخرى إلى ما أمامه ولكنه شعر برغبة في التحدث إلى نفسه بصوتٍ عالٍ.

-نفسي أقول لها على الحقيقة بس خايف..

لم تعلق على ماقاله بل استمرت في النظر أمامها دون الالتفات إليه... هي لا تريد أن تخبره ماذا يجب أن يفعل، هي تريده أن يكتشف ما يريد بنفسه.

أخذ شهيقًا عميقًا محاولًا ابتلاع جميع أحاسيسه المتضاربة..

أصعب لحظات بالنسبة لي لما بتكون معايا وأصحى مفتكرش إللي حصل...بخاف عليها..بخاف من الوقت إللي بكون فيه مش موجود.. ببقى نفسي أفضل صاحي طول الوقت عشان أضمن إن متعديش لحظة أنا ما اعرفش عنها حاجة.

-أنتِ سمعاني ولا سرحتي؟

-أنتَ عاوز تعمل إيه؟!

-عاوز ابقى جنبها دايماً..عاوز احكيلها عشان ارتاح.

-خلاص مستني إيه؟

بعد لحظات من صمته قفز من مكانه راكضًا إلى سيارته دون أن يقولَ لها أي شيء..لم توقفه هي تعلم أن تلك هي أهم لحظاته...الشجاعة التي لديه الآن ربما لن يجدها مرة أخرى إن قرر التأجيل.

***

ظل يدندن بعض النغمات أثناء ذهابه مستغلًا عجلة قيادته كأحد وسائله للعزف وكأنه أصبح أحد عازفين الدرامز داخل حفلات الروك...كثيرٌ من المشاعر المختلطة بداخله تجعل قلبه يتأجج ونبضاته تتسارع.

كان يرى جميع من حوله في الطريق فرحين والابتسامة تعلو وجوههم لا يعلم هل هناك عيد قومي يدعو للاحتفال أم أن عيناه من فرط سعادتها ترى ذلك متجليًا في كل شيء حوله، أعاد الهاتف إلى موقعه بعدما تأكد من رؤيتها لرسالته وموافقتها على مقابلته الآن..لم يكن يعلم من قبل أن بداخله هذا الجانب المجنون ولكنه على غير العادة شعر بالرضا لكونه هكذا.

-أنتَ فاكر إنها لمّا هتعرف سرك هتبقى مبسوطة وتوافق؟

شعر بالخوف يدب بداخله ما هذا الصوت الذي يستمعه...حاول طمئنة نفسه هذه مجرد هلاوس سمعية من شدة توتره، أشعل المشغل الصوتي بالسيارة ليجعل من أغانيه الصاخبة تملأ المكان من حوله.

-هتقدر تحميها وأنتَ مش قادر تحمي نفسك!

تلك المرة كان الصوت الذي يسمعه أقوى من أن يتجنبه ابتلع ريقه بصعوبة متجولًا بنظره ببطيء باحثًا عن مصدر ذلك الصوت ولكنه لم يجد أحد..حتى لمح تلك النظرة الثاقبة أمامه في مرآة السيارة الأمامية..

-أمير !!

احتضن عجلة القيادة بكلتا يديه بعد أن أجبرها على التوقف المفاجيء..اصطدمت رأسه بشدة إلى الأمام ولكنه لم يبال..لم يستطع تصديق ما يرى "أنتَ..إزاي؟!

رؤيته لأمير أمامه جالسًا في المقعد الخلفي بسيارته مرتديًا سترة بيضاء وملامحه المشابهة طبق الأصل لجود مع اختلاف لون العينين فأمير عيناه سوداء وشعره طويل بعض الشيء ويكره كثيرًا أن يترك لحيته دون أن يشذبها يوميًا على عكس جود.

"هل أصبحت الآن في أقصى درجات مرضي؟...هل أصبحت أتخيل الأشياء وأتحدث معها أيضًا؟!

ولكن نبرة السخرية والتحدي في كلام امير أخرجته من وجومه

-أنتَ جبان يا جود..أنتَ لسة مش قادر تستوعب إنك من غيري، مكنتش هتعرف تعيش في العالم ده.

-أنتَ كداب...أنا مش محتاج لك في حاجة..دي حياتي أنا..أنتَ مجرد وهم.

صوت ضحكات أمير الهيسترية وضعت جود تحت ضغط كبير... لو بيده كان خرج من سيارته وركض هاربًا ولكن شيء ما جعله مقيدًا بمقعده لا يقوى على الحراك ولو لخطوة واحدة.

-أنتَ عايز مني إيه؟

بدأ انفعاله يتزايد ولأول مرة يخرج أمير عن أعصابه وتختلط نبرته بشيء من العنف

-عايزك تستسلم وتعترف بالحقيقة أنا السبب في وجودك لحد دلوقتي..وجه الوقت عشان تستسلم وتختفي...نبرة صوتك المهزوزة نفسك إللي بتاخده بصعوبة وإيدك إللي بتضغط عليها دي بتأكد لي إنك لسة جبان...أنتَ مش هتعرف تكون جنب فريدة وتخلي بالك منها.. حتى حياتك العملية مع أول مشكلة هتقابلها هتخاف وهتجري تستخبى زي كل مرة..عشان أنت مش أكتر من مجرد شخص جبان.

"حاول أن يلعب بجملته تلك على نقطة ضعف جود وأهمها وهي "فريدة".

شعر جود بجميع أطرافه تهتز مرتعشة بقوة وكأن أحدهم سكب فوق رأسه وعاء من المياه الباردة في ليلة شتاء قارصة..نظرة أمير تخترقه تشعره بضعف كبير، أغلق عينيه لبضع لحظات، تذكر رائحتها وصوتها، تذكر جملتها أنها على استعداد بقبول أي مرض مزمن يخفيه عنها..فعادت أوصاله إلى مكانها الطبيعي وكأنّ قاربه وصل بأمان إلى الشاطيء بعد صراع مرير مع عاصفة كادت أن تنهيه.

ظل يطرق بأطراف أنامله واحد يليبه الآخر مصدرًا صوت مليء بالترقب لإعلان شيء ما..ليرتفع بمستوى بصره بعدها محركًا مرآة السيارة تجاهه ووجهه يعلوه ابتسامة كبيرة ناظرًا مباشرةً في عينا أمير بتحدي لم يفعله من قبل.

-أنتَ أنا...مهما حاولت تغير الحقيقة دي هتفضل أنتَ الصورة وأنا الأصل وقريب أوي هنبقى واحد.

***

ذلك كان اليوم الرابع لها عقب عودتها إلى العمل بالشركة ولكنه كان يوم آخر إضافيًا يمضي دون أن تفعل به أي شيء ظنت في البداية أنه بسبب عودتها المفاجئة بعد انقطاع عن مجريات العمل وستأخذ قليلًا من الوقت حتى تلم بجميع ما فاتها..ولكن شيء بداخلها يشعرها أن عودتها الآن مختلفة..لم تكن الحياة بالنسبة لها بداخل الشركة كالسابق...

حتى علمت من إحدى صديقاتها بالقسم أن "أستاذ شريف قد أوصى أن لا يجعلوها تجهد في العمل وأن يكتفوا بمنحها القليل فقط من العمل هذه الفترة".

لا تصدق ما سمعته ولكنها تعلم أن هذه التصرفات من الممكن أن تصدر من شريف...تقدر له خوفه وحرصه على صحتها ولكن كيف يتصرف بتلك الأريحية في حياتها دون العودة إليّها ..أليست إنسانة لها كِيان خاص بها يجب أن يُحْتَرَم.

أهم ما يميز الحب هو الحرية..الحرية التي نمنحها للآخر في اختياراته الخاصة مهما اختلفنا عنها دون محاولة في فرض سيطرتنا حتى وإن كان هذا بدافع الخوف على من نحب...تلك التصرفات التي ربما نكون على يقين من خطورتها أو ضررها عليه ولكننا نقرر قبولها ونحن على قمة الاستعداد للمساعدة والحماية إذا أصبح الوضع خطرًا..فالحب الناضج

والمحرر لا يجعلنا نمنعهم بدافع الحب ولكنه يدفعنا لمشاركتهم تلك القرارات حتى النهاية مهما كانت صعوبتها مقدمين يد العون والنصح في كل الأوقات وكأننا نخبرهم أننا هنا لأجلك في جميع الأوقات ومهما كانت قراراتك سأظل أشجعك وأدعمك حتى إن كانت خاطئة فلنتعلم منها ونمضي سويًا إلى الأمام...

***

خرجت من سيارتها مهرولة تبحث عنه أمام المشفى بعدما طلب منها تغيير مكان مقابلتهم...حتى وجدته متكئًا بجانب سيارته يبتسم لها ملوحًا بيده التي تلتف فوقها الضمادات الطبية.

نظرت له نظرة معاتبة مليئة بالقلق والتعاطف فأراد أن يمازحها ليعيد الابتسامة فوق وجهها: ---متهيألي مفيش مكان رومانسي ممكن نتقابل فيه أكتر من المستشفى.

-مش بتضحك على فكرة.

-ومين قال لك إني عاوزك تضحكي...ده حتى ضحكتك وحشة كدة..وعينيكي لمّا بتلمع فيها وأسنانك يا ساتر كدة بتبقى منورة.

لم تستطع منع نفسها من الابتسام أمام طريقته في مشاكستها.. لم يخبرها عن سبب إصابته فقط أغلق سيارته وذهبا سويًا مستقلين سيارتها...كان يحاول ترتيب كلامه ولكن كلما حاول ذلك شعر وكأن الكلام يتبخر من عقله..سألته إلى أين يذهب فلم يطل في التفكير

وأخبرها عنوان لإحدى الكافيهات التي تقدم مشروبات تيك أواي في تلك المدن الجديدة في منطقة أكتوبر.

راقها كثيرًا ذلك المكان الذي اقترحه..كثيرٌ من الأشجار العالية تكسوا الطريق وبعض الأزهار الوردية والبيضاء تزين الأرصفة وكأنهم في حديقة أوروبية تلك الأجواء الأقرب إلى قلبها فهو بات يحفظ تفاصيلها الصغيرة عن ظهر قلب..وقفا متجاورين لبعض الوقت متكئين على الجزء الأمامي من السيارة وكلٌّ منهم يحتسي قهوته المفضلة في صمت حتى فاجئها هو عندما شعرت بأطراف أنامله تخترق كفيها مشبكًا أصابع كل منهم في الآخر..تسارعت ضربات قلبها فنظرت له بعينين متسعتين من شدة ارتباكها لكنه ظلّ ساكنًا وجذبها ليسيروا سويًا ببطيء متأملين انعكاس الأشجار على أرضية الطريق وبجانبهم انعكاسهم يبدو كظل شخص واحد وليس اثنان.

أطلق كلماته دون أي سابق إنذار:

-فريدة لسة عندك استعداد إنك تكملي معايا..مش هيجي عليكِ وقت وتزهقي وتمشي؟

-مش هقولك عمري ما هزهق منك..بس هقولك حتى لو في يوم زهقت وتعبت هفتكر كل حاجة حلوة كانت ما بينا...هفتكر أول مرة قابلنا بعض فيها وكل لحظة صعبة عدينا بيها.

أوقف سيرهم معتدلًا قبالها موجها كلامها لها وتعبيرات وجهه مليئة بشيء من الجدية مختلط بالحزن...

-يمكن مش دايماً هتلاقيني جنبك..وجايز أكون أنا سبب زعلك في يوم من الأيام، أوقات هنسى لحظات حلوو عشناها وأوقات تاني هكون عايش بس عشان أعوضها لك.

قوست حاجبيها في شيء من التركيز والاستفهام متسائلة:

-مش فاهمة حاجة...هي دي الرومانسية بتاعتك يعني؟!

-فريدة أنا بتكلم بجد...أنا مش عيان التعب الجسدي إللي سألتيني عنه فمرة وافتكرتيني مخبيه عليكِ بس تقدري تقولي كدة أنا بمر بشوية مشاكل نفسية..أنا عندي مرض نفسي...

ممكن أوقات أزعلك ومبقاش قاصد والأصعب إني هنسى إني زعلتك..عندك استعداد تكملي مع واحد حياته معقدة زي حالاتي؟!

-حاسة إنك بتخوفني وبتحاول تبعدني عنك!

ابتسم في حنان أبوي مشفقًا على صغيرته واقترب منها خطوتان محتضنًا يدها بكلتا يداه قائلًا:

-بالعكس أنا محتاج لك أوي جنبي ويمكن دي أول مرة أعبر فيها عن احتياجي لحد..بس عشان معاكِ استوعبت إن الحب بيقوي وبيسند.. كل مرة وجعتك فيها وحاولت أبعدك عن طريقي بكل الطرق عشان كنت خايف عليكِ، وخايف أحب واتجرح منك..

بس أنتِ أكدتي لي إني غلطان..أنا قررت أغير حاجات كتير جوايا وأولهم إني مكتمش إللي جوايا..مش عاوز أضغط عليكِ ومش عاوز

أخوفك بس حياتي مش بالسهولة إللي أنتِ فكراها....القرار الأول والأخير يرجعلك وأنا هقبله وأنا مهيأ نفسي لكل الإجابات إللي ممكن اسمعها منك.

ظلت محدقة به غير مستوعبة لكل ما تسمعه وغير مدركة بعد لقصده ولكنها تشعر بأنها تريد أن تعانقه وتربت على كتفه وتطمئنه ولكن شيئًا ما يمنعها، شيئًا ما بداخلها جعل ساقيها تتشبت وكأنها تحولت إلى شجره مثل التي بجوارهما.

ولكن ما زاد من آلام قلبها حين رأته أخذ يدها برفق مقبلا إيّاها ثم ربّت فوقها وغادر تاركًا إيّاها في منتصف طريقها إلى المجهول..لم ينظر إلى الوراء ولم يتطلع إليها ولكنها لم تزح عينيها من عليه حتى ابتلعته تلك الحديقة الكبيرة..شعرت فجأة أن تلك القيود التي تكبل ساقيها ازيلت حتى أصبحت لا تقوى على الوقوف فجلست شاردة تاركة دموعها تتساقط في صمت.

***

عندما رآه خارجًا من مقر نقابة الصحفيين أقبل إليه صائحًا بترحاب شديد:

-لا مش مصدق نفسي..وأخيرًا اتقابلنا تاني.

-إزيّك يا أستاذ سامح..مبسوط إني شوفتك.

-ياترى إيه السبب القوي إللي يخلي حضرتك تقرر تنزل مصر فجأة

بعد أمّا غيبت عنها السنين دى كلها؟!

-عادي مفيش سبب معين.. بس تقدر تقول فضولي أخدني لهنا عشان أشوف الحياة بقيت عاملة إزاي وكمان معايا شوية شغل بخلصهم خلال الأسبوع ده هنا.

-لازم نتقابل قبل ما تسافر.. ليك عندي فسحة هتعجبك أوي وأوعدك مش هتنساها.

شعر سامح بسعادة شديدة بداخله من تواجد هذا الضيف المجهول في ذلك التوقيت.. بدأ في وضع المزيد من الترتيبات لخطته القتالية مضيفًا المزيد وكعادته ينفذها في الخفاء كمثله من الجبناء الذين لا يعرفون كيف يشنوا القتال النزيه في الوجه فيطعنون من الخلف ويفرون.

مساكين هؤلاء الذين يفرغون مرضهم النفسي وأطماعهم في مَن حولهم باسم الحب ولكن مشاعرهم الحقيقية ليست أكبر من مشاعر تملُّك طاغية تجتاحهم فتجعلهم متعطشين لإراقة الدماء ممن يجرأ من الاقتراب إلى ما يخصهم.

الشجاعة محتاجة خوف

مرّ أسبوعان على مقابلتهم الأخيرة منذ ذلك الوقت لم يتواصل أيٍ منهم مع الآخر دون أن يغيب أي منهم عن فكر الآخر ولكن هناك دائما ذلك الشيء الذى يمنعهم من الاقتراب "هل هو الخوف الذي بداخلهم بسبب عدم التأكد من حقيقة مشاعرهم...أم ربما تخوفهم من عدم قدرتهم على الاستمرار في ذلك الطريق سويًا إلى النهاية؟!

استيقظت في ذلك اليوم وهي تقفز من فراشها وكأنها تذكرت شيئًا لوهلة فأحضرت هاتفها وتحدثت إلى شريف دون أن تعي أن الوقت مازال باكرًا فالساعة لا تزال السادسة صباحًا

-آسفة بجد مكنش قصدي أصحيك خلاص كمل نومك.

-لا أنا صحيت خلاص خير في حاجة معاكِ يا فريدة...جود في حاجة حصلتله!!

-اطمن كل حاجة بخير أنا بس كنت محتاجة منك خدمة بس من فضلك خليها سر ما بينا.

***

بعدما أنهت كل الترتيبات اللازمة، لم يتبقَ لديها سوى القليل من

الساعات لتحضير حقيبتها الصغيرة لتلك المهمة المجنونة، بقدر ما كانت متحمسة لتلك المغامرة كان قلبها يخفق بشدة مضطربًا ممّا كانت مزمعة في فعله، هي تعلم أنها ربما بعقلها قد تكون اتخذت قرارًا غير صائب مئة بالمئة ولكن عندما يدخل الحب في أي معادلة لا يمكننا أبدًا التأكدً من صحة النتائج ليصبح ميزاننا الحساس حينها هو ذلك القلب الذي إما يرقص فرحًا أو يعتصر ألمًا فبقدر تلك الابتسامة المرتسمة فوق وجوهنا ينعكس ما بداخل قلوبنا.

***

-أنتَ بس لو تفهمني إحنا رايحين فين؟" قالها جود وهو متأفأفًا من برودة شريف.

ليجيبه بابتسامة عريضة تزيده استفزازًا:

-مش لازم تفهم يا أخي ما أنتَ ياما طلعت عيني وخلتني أسافر فجأة بسببك أخلص شغل في أماكن كتير..مرة من نفسي أطلع عليك إللي بتعملوا فيا.

-أنا مش عارف إيه إللي مصبرني عليك ومخليني أسمع كلامك أصلًا من الأول.

-وصلنا فين دي صحرا أنتَ هتشتغلني يا شريف.

شعر أنه ضحية لإحدى مخططات شريف الغامضة خاصةً عندما لم يجد أي معالم لتلك الصحراء القاحلة ووسط ضحكات صديقه الشريرة

لمح طيف لشابتين تلوحان من على مسافة لم يقدر على تمييزهم في البداية حتى تبع صديقه الذي سبقه فتبادل النظر إليّهم وإليه في صمت مليء بالتساؤلات ولكنهم استمرا في الضحك أمامه حتى أدرك أنهم في رحلة تخييم مفاجئة.

تفرقوا جميعًا من حوله وكل منهم انشغل في صنع شيئًا ما شريف ينصب الخيام، سارة تخرج أدوات الشواء والفحم أما فريدة تحضر بعض من الحطب الذي سيستخدمونه للتدفئة في تلك الليلة الباردة.

لا يعرف كيف سيتعامل مع فريدة..هل يجب أن يتجنبها أم يتعامل معها في أقل ما يمكن..أراد كثيرًا أن يذهب ويمازحها ويظلوا طوال الليل يتحدثون حتى يأتي الصباح ولكنه يتراجع عن أفكاره خوفًا من فرض نفسه في حياتها.

اخترق عقله سؤالًا مفاجئًا "مهلًا لماذا نحن مجتمعين في رحلة تخييم اليوم؟!"

شعر بشيء من الغرابة ولكن لم يكن لديه الفضول الكافي للبحث عن الأسباب فقط يكفيه أن هذه المفاجئة منحته يومًا إضافيًا بجانب فريدة فهو لا يعلم إن كانت الحياة ستمنحه في المستقبل أيام جيدة مثل هذا اليوم أم لا.

***

حدثها كثيرًا ولكنها لا تجيبه فالتفت بوجهه ليجدها منكبة واضعة

رأسها بداخل أجنده صغيرة مقربة لعينيها يبدو عليها الإنهاك والتركيز فيما تكتبه.

-إيه كل الحاجت إللي عمالة تكتبيها من الصبح دي؟

-جود عيد ميلاده بكرة..عاوزه أعمله حفلة هنا في البيت ونحتفله بيه وبفكر أخليه يعزم البنت إللي بيحبها عشان نتعرف عليها.

-هو حكى لك إن في واحدة في حياته؟!

-لا هو مقالش حاجة ومن أمتى ابنك بيقول لي أي حاجة عن حياته..بس أنا نفسي أفرح بيه يا أكرم، نفسي أطمن عليه وأشوفه فرحان مع إنسانة تستاهله.

-هو مش عيل صغير يا سميرة سيبيه يركز في شغله ومتعطليهوش.

-طب بس يلا ساعدنب بس عشان نلحق نجهز الحفلة.

بقدر ما كان أسلوبه دائماً جاف معها فالحوار كان يستسلم لطلباتها في نهاية المطاف ربما كان ذلك الشيء البسيط الذي كان يملكه ومن الممكن أن يقدمه لها كمكافأة عرفان عن جميع ما تحملته منه ولإجله في رحلتهم الخمسينية سويًا..ولكن دائماً عندما يكون مركز حوارهم هو جود لا تهدأ ثورته شيء ما، عند ذكر اسمه يجعله غاضبًا ثائرًا حتى إذا رأيته تشعر وكأن الرابط الوحيد الذي يجمعهم هو رابط الانتقام والندم وليس الأبوه.

***

عقب انتهائهم من تناول العشاء وجدوا أن الوقت مازال باكرًا على ذهابهم للنوم فاقترحت فريدة أن يلعبوا فتحمس شريف لفكرتها واختار بدوره لعبة الصراحة "the bottle" تلك التي تقوم بدوران الزجاجة وسط الحضور ومن تشير إليه الفوّهة عليه أن يجيب بصراحة عن السؤال

تلك اللعبة التي برغم إجاباتها الكاذبة والدبلوماسية البعيدة كل البعد عن الصراحة ولكنها دائماً ما تجعلنا نكتشف جانب جديد عن من حلونا..فالحقيقة في بعض الأوقات لا تُقال بالكلمات ولكنها تقال بنظرات العينين، تلك الابتسامة المكسورة أو الدمعة الحائرة التي تجاهد في الاختباء، رعشة الأيدي المندسة خلفنا مهما حاولنا إخفاء ما نريد قوله ستفضحنا لغة أجسادنا..

-بصوا بقى بما إننا بقالنا ساعة عمالين نسأل فبعض أسئلة هبلة خلاص أنا قررت هو سؤال واحد وكلنا هنجاوب عليه وبعدين نروح ننام عشان أنا زهقت منكم.

التفت إليه جود متسائلا:

-إايه سؤالك بقى يا عم الفيلسوف؟

ففاجئتهم سارة باختيارها هي للسؤال:

-إيه أكتر حاجة معندكوش استعداد تستغنوا عنها وممكن تعملوا المستحيل عشان متضيعش منكم؟

نظر كل منهما للاخر ثم انتهوا بتسليط انظارهم الى سارة في ترقب ..حاولت فريدة تغير الأجواء المتوترة بابدائها إجابتها الأولى على السؤال " انا عن نفسى معنجيش استعداد اخسر سمسمة جدتى حبيبتى".

ثم أصبح الدور بترتيب جلستهم على شريف فتراخى في وضعية جلسته ممدًا ذراعيه خلف رأسه:

-مناقصة شركة الفاروق أنا ممكن أروح فيها لو مجتش.

شعر وكأنه بدا كالأحمق لإجابته فحاول تعديل جملته:

-أنا بهزر يا جدعان...بس يعني كأي رجل مصري أصيل أنا مش شايف إن في أهم من الأكل والشغل وشكرًا.

وخزه جود في كتفه لسخافته ثم ساد الصمت لدقائق فتنحنح هو مبتسماً:

-أنا هجاوبكم بعدين.

انتقلوا إلى سارة منتظرين إجابة صاحبة السؤال علّهم يستمعوا إلى شيء جيّد في النهاية

نظرت لها بنصف ابتسامة وأحكمت احتضان كوب القهوة الذي بيدها قائلة بصوت خالى من التردد:

-سارة...!!

انتهى يومهم وأصبح كل منهم بداخل خيمته الخاصة فقط فريدة

وحدها لم تستطع ترك هذا المنظر الخلاب والسماء تفترش بالنجوم وكأنها كقطع الألماس الصغيرة المتناثرة فوق بساط حريري...سبحت في عالمها السحري حتى شعرت باستيقاظ أحدهم...

شيء بداخله حرمه من تذوق النوم هذه الليلة..شيء يدفعه للذهاب إليها ولكنه لا يريد إزعاجها فقرر إنهاء صراعه الفكري وخرج يتجول حول الخيمة في شرود علّ نسمات رياح الشتاء تريحه.

"زمان كان في بنت عملت حادثة هي وأسرتها"

التفت عند استماعه لصوتها فوجدها جلست بجواره ترسم أحد الخطوط العشوائية فوق الرمال بعصا خشبية صغيرة..ثم استطردت:

-لوقت معين افتكرت إن الحياة بالنسبالها خلاص خلصت وإن دي النهاية....لكن"

-فريدة لو جاية تواسيني من فضلك أنا مبحبش الأسلوب ده.

نظرت له بابتسامة صغيرة ثم أخذت شهيقًا تكاد تشعر معه أنها ابتلعت كل الهواء الذي يحيطهم ..لم يرجعها ما قاله عن أن تستكمل ما أرادت قوله:

-فضلت كدة سنة مبتتكلمش وصوتها مبيطلعش دكاترة قالوا نفسيًا ودكاترة قالوا شيء مؤقت وهيروح..فــالوقت ده هي الوحيدة إللي عرفت بحكمة تتعامل معايا قالت لي جملة واحدة"أنا جنبك" وسابتني أتقبل إللي حصل على مهل وهي طول الوقت فضهري بس من غير ما

تحسسني إني كائن مش طبيعي أو ناقصه حاجة..

-فريدة أنتِ عاوزة توصلي لي إيه؟!

-مفيش حد فينا طبيعي مية فالمية يا جود وإللي يقولك كدة يبقى معناه إنه لسة ما اكتشفش إيه تعبه...كل واحد فينا مر بحاجات وجعته عنده ذكرى كسرته، في حاجات بنخاف منها وفي حاجات بنخاف عليها...إحنا بشر مش إنسان آلي..بنبان من برا بس قد إيه إحنا كاملين لكن كل واحد جواه عالم تاني خاص بيه لحظات ضعف هو لوحده إللي يعرف إزاي عدت عليه واستحملها..

لم يستطع النظر إليها بعدما استمع إليها..هناك شيء يشق حلقه لا يعلم كيف يتصرف في تلك اللحظة حتى شغر بأصابعها تتحكم في طرف ذقنه لتجعله يدور برأسه تجاهها..أصبحت أنفاسه مسموعة وهو ينظر إلى عينيها التي تفصلها عنه فقط بعض السنتيمترات تاهت نظراته بداخل عينيها.

-كل ده ومش قادر تفهم أقولك إيه تاني عشان تفهم ردي على سؤالك طيب.

تملكته ضحكة هيستيرية جعلت الدموع تتساقط من عينيه..شاركته الضحك فالبداية لشعورها بالإحراج ولكنها سرعان ما دبّ القلق بداخلها خوفًا عليه من ضحكته تلك فصرخت منادية اسمه، زادت دموعه وهو مازال يضحك وإذ فجأة مال تجاهها فتوقف قلبها عن الحركة...ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهه كطفل صغير أمسك

رأسها بين كفيه واضعًا قبله فوق جبينها ثم عاد إلى مكانه وتمدد ناظرًا إلى السماء:

-شايفة النجم إللي هناك ده، ده النجم بتاعي.

تلاشت تلك اللحظات الشاعرية وعادا إلى تلك الروح الطفولية قائلة له:

-ده النجم بتاعي أنا يا غيّار.

-يا آنسة ركزي كويس أنا بتكلم عن النجم بتاعي بصي كدة هتلاقيه جنب النجم بتاعك.

ظلا طوال الليل يتحدثان عن كل شيء وأي شيء دون أن يشعر أي منهما بالنعاس...ربما كل منهم كان يتمنى لو أن الشمس تأخذ عطلة في هذا اليوم وتترك لهم ليلة إضافية يقضيانّها سويًا هكذا.

***

في صباح ذلك اليوم كان عليها إنهاء بعض الأشياء في مكتبها قبل البدء في الاستمتاع بعطلتها..كانت تريد أن تُنجز مهماتها سريعًا حتى تفرغ نفسها في تلك الليلة لقضائها معه...كلما تذكرت قبلته في الليلة السابقة أغمضت عينيها وابتسمت...

كيف يفعل بنا الحب ذلك...كيف يجعلنا بين ليلة وضحاها من أشد الناس حزنًا وألمًا إلى أكثرهم سعادة وحيوية..ما الشيء السحري به ليجعل ملامحنا تتبدل..تلك العينان اللامعتان والوجه المليء بالحيوية،

هذه الروح التي كانت غائبة وعادت مرة أخرى...أبدًا لن نفهم سر ذلك اللغز ولكنه سيظل من أجمل الألغاز في حياتنا البشرية.

بعدما أنهت كل شيء على نحو جيد خرجت لتجده ينتظرها أمام المجلة وبيده كوبان من القهوة..ذهبت نحوه وهي تتسائل هل كل هذا حلم؟...هل حقًا تلك الأحداث ليست جزء من فيلم غفوت وأنا أشاهده....هل أنا واقعة في حب ذلك الشخص الذي أمامي بهذا الجنون؟

-هفضل مستني سعادتك كدة كتير يعني؟!

-أه خليك ماسك الكوبايتين كدة ولا أقولك أشربهم الاتنين لوحدك هيه.

-ومين قالك إني جايبلك معايا..دول ليّا أصلًا هو أي حاجة هجبلك معايا منها ولا إيه.

ركلته في ساقه كطفلة صغيرة تعبر عن استيائها قبل أن تسحب كوب القهوة من يديه مشيرة إلى علامة الانتصار.

كم يحب أن يرى ذلك الجانب الطفولي منها...ربما لأنه يفتقد طفولته التي لا يتذكر منها سوى القليل.

أتتها مكالمة من مجهول جعلت ملامحها تتغير فابتعدت بضع خطوات عنه لتبقى بعيدة عن مسامعه..لم تستغرق سوى بضع دقائق حتى عادت إليه..لم يُرِد أن يسألها عن ماهية المتصل حتى لا يشعرها بالتطفل فهو

يعلم إن كان هناك شيء هام كانت ستخبره بالتأكيد...

تركته بعد أن شكرته على تلك القهوة متعللة بتذكرها لبعض الأشياء الهامة التي يجب أن تشتريها رافضة محاولاته فالذهاب معها لمساعدتها... فهو لم يعلم أنها كانت تحاول الهرب منه بكل الطرق لأن تلك المهمة هو الشخص الوحيد الذي لا يجب أن يرافقها بها.

همّ أن يذهب حتى استمع إليه مناديًا من إحدى شرفات المبنى مشيرًا له بالانتظار .."ماذا يريد منّي هذا أيضًا؟"

لم يكن فضولًا بقدر ما كان ثقلًا لّما كان متحضرًا لسماعه...فهو يعلم أن سامح لا يتحدث إلا إذا كان لديه بعض الطاقة السلبية التي يريد أن يمنحها لمن حوله وبالأخص جود زميله ونده السابق.

***

طرقت باب حجرتها مرتان قبل الدخول..شعرت بشيء من الألفة للوهلة الأولى عند رؤيتها

-آسفة لو كنت رديت على اتصالك متأخر..بس كويس إننا عرفنا نتقابل ها تشربي إيه؟....اه الأول نسيت أعرفك بنفسي أنا دارين.

تلك الابتسامة الودودة وأسلوبها غير المتكلف ساعد فريدة كثيرًا في تلك الجلسة السرية للتحدث والسؤال بحرية عن جود.

***

-أكيد أنتَ مستغرب دلوقتي عن سبب إللي خلاني أطلب منك نقعد على القهوة سوا.

-مش أوي يعني يا سامح بس تقدر تقول نفسي أعرف السبب العظيم إللي خلى أستاذ سامح يقرر يعزمني على كوباية شاي برا...قولى بيني وبينك كدة.. أنتَ ناوي تحطلي حاجة في الشاي؟!

-وشك قلب ألوان ليه كدة.. أنا بهزر معاك يا سيدي متزعلش.

-أنا عارف أنتَ شايفني إزاي.. يمكن لحد فترة فاتت جايز كنت لو قعدنا قاعدة زي دي أحطلك سم في الشاي وبضمير مستريح كمان.. بس فات الأوان يا صاحبي.

شعر جود بعدم ارتياح لنبرته الجدية، تلك المرة الأولى التي يراه بها هكذا..هذه الصراحة القاتلة عن كرهه له واعترافه بذلك كان يخيفه أكثر من أي شيء.

-أنا مش حابب أطول عليك أنا قابلت نادر صاحبك.

لم يدرك جود بعد ماذا يريد سامح إخباره فتسائل بعفوية عمّن يتحدث

-نادر صالح صاحبك في المدرسة..اتقابلنا صدفة في فرنسا لما كنت مسافر وراك عشان أحاول أكتشف أي حاجة عنك تخليني أتخلص منك.

لم يستطع جود تصديق ما يسمعه من سامح..كل هذا الكره والحقد

النابع فيمَ يقول ما سببه؟ ومن ذلك الشخص الذي يتحدث عنه؟؟

استمر سامح في استطراد تفاصيل مقابلته لنادر بينما جود بدأ يشعر بصاعقة كهربائية تخترق رأسه...كثير من الأحداث تصطدم في عقله وكأنه يتعرض لإضاءة قوية في عينيه جعلتهما غير قادرين على رؤية أي شيء أمامه.

***

مرّت قرابة الساعة على جلستهم سويًا تحدثوا بها عن وظائفهم وعن الحياة وحتى عن الموضة.. فدائما تستهوي النساء تلك الأحاديث المتعلقة بأشيائهم المفضلة كالتسوق والأزياء، مهما حصلوا على مناصب مرموقة أو أضافت الأعوام إلى ملامحهم كثيرًا من الكبر ستظل روح الطفلة التي بداخلهم مليئة بالولع تجاه فستانها المفضل الذي تتمايل به فوق أطراف أناملها في خفة كفراشة أمام مرآة غرفتها تنثني وتحلق إلى عالمها الخاص.

-دكتورة دارين هو جود حالته خطيرة؟

اخترق ذلك السؤال جلستهم المرحة فاعتدلت دارين في وضعيتها وتحركت مطفئة أضواء الحجرة مشيرة بما في يدها على تلك الشاشة الضوئية التي أمامهم.

تنقلت في سرعة بين مجموعة من الصور الطبيّة وهي تتحدث بالقليل من المصطلحات والتعريفات الطبية البحتة حتى لمحت ذلك الوجوم

على وجه فريدة فتبسمت مربتة فوق كتفها في تفهم.

-أنا آسفة الحماسة خدتني واتكلمت بطريقة نظرية معقدة شوية... بصي يا ستي ممكن نقول كدة ببساطة إن كل واحد فينا عنده ذاكرة مؤقتة وذاكرة طويلة المدى ودي أكيد حاجة درسناها كلنا قبل كدة... في ناس لما بتتعرض لحالات اعتداء نفسي أو جسدي وخاصةً في مرحلة طفولتهم آلية الدفاع عندهم إللي بتقاوم الأحداث الصعبة دي عليهم مش بتقدر تأدي وظيفتها بالشكل الكامل فـبيحصل خلل في الشخصية يعني "الأنا" بتتقسم لشخصيات مختلفة.

-مش فاهمة أوي ممكن توضحي لي...

-جود بيمر بحالة نادرة من الأمراض اسمه "DID" تعدد الشخصيات الفصامي...المرض ده حصل نتيجة إنه اتعرض لاعتداء نفسي شديد وهو طفل وعقله مقدرش تحمل الكم الكبير من الصدمة إللي كانت أكبر من سنه فالوقت ده ف "الأنا" بتاعته اتقسمت لشخصيات مختلفة وذاكرته حصل فيها خلل مؤقت بسببها فقد ذكريات مرتبطة بإللي حصل..كل واحد فينا من الطبيعي إن جواه العصبي والحنين والمرح كلهم على بعض بيكونوا في الآخر"الأنا" الكاملة إللي هي شخصيتنا لكن بالنسبة لجود كل واحد فيهم بتمثل شخصية مستقلة وليه ذاكرة منفصلة..يعني جود العصبي مش هيفتكر إللي حصل في يومه لمّا يرجع جود الهادي...وفي الغالب بتظهر في أقصى حالات الضغط النفسي أو الحزن الشديد.. عادة بتبدأ أعراض المرض فى الظهور بعد حادث أو

موقف قوي استفز الشخصيات فى الظهور والسيطرة وده اللى حصل مع جود بعد الحادثة اللى مر بيها مع أسرته من عشر سنين.

-يعني في أمل يتعالج منه طيّب أو في أي خطورة على حياته.

-أهم نقطة في علاج المرض ده إنه يحاول يقبل نفسه ويقرر إنه يفتكر ذكرياته القديمة.

الحب والاحترام والتشجيع أكتر حاجة جود محتاجها منك يا فريدة الفترة دي...أنا متأكدة أنك الشخص المناسب لجود يمكن إحنا متقابلناش قبل كدة بس من كلام جود عنك أنتِ الإنسانة إللي قدرت تخليه يرجع تاني يخرج من قوقعته ودي كفاية إنها تخليني أثق فيكِ...

دلوقتي بقى أنا هعرفك على شخصيات جود المختلفة إللي أنا عارفة إنك أكيد اتعاملتي مع حد منهم وفي شخصية كدة مهم أوي أنك تعرفيها.

سألت بفضول:

-أمير؟!

-لا حد تاني بس نصيحة منّي لمّا تقابليه أوعي يغيب عن عينك لأنها أكتر شخصية بتعمل كوارث رغم شخصيتها المرحة..

اتسعت عينيها من الصورة التي رأتها أمامها على الشاشة ونظرت في ذهول إلى دارين فأومأت برأسها في تأكيد لمّا لمحته بعينين فريدة:

-أيوة زي ما فهمتي بالضبط...

***

لم يكن يتخيل سامح مطلقًا أنّه سيعلن استسلامه بهذه السهولة... ولكن تلك النظرة المختلفة التي رآها بعينين فريدة بعدما علم منها خبر ارتباطها بجود جعلت كل أحقاده تعود أدراجها..طاويًا جميع خططه عندما أدرك أن الحب لا نحصل عليه بخوض الحروب ووضع الخطط...ربما أدرك ذلك مؤخرًا ولكنه يعلم أنه لم يفت الأوان بعد للعودة إلى إنسانيته والاعتراف بجميع أخطائه.

تركه مصدومًا في مقعده بعدما قام بالاعتراف بنواياه الخفية ومخططاته السابقة متى بدأ في ملاحقته ومحاولة معرفة أي شيء ضده... الأدلة والمعطيات المتعلقة بصديقه السابق الذي تقابلا صدفة في رحلته الأخيرة ومعرفته أثناء حديثهم بتلك الأشياء منه عندما كان خارجًا عن وعيه لبضع الوقت بسبب عادة الشرب التي لديه..وكيف قام بالعبث معه وإرسال الهدايا المخيفة لمضايقته وإبعاده عن فريدة بكل الطرق الممكنة.

ظل يلهث وهو يحاول استيعاب ما قد انتهى من سماعه للتو...لا يشعر بساقه ولا يستطيع إعطاء الأوامر ليديه أن تكف عن تلك الرجفة التي تملكتها...كثيرٌ من الصور تأتي وتغيب ممّا جعل رأسه تكاد أن تنفجر...تحول لون وجهه من كثرة الدماء الصاعدة به وعيناه امتلأت بالدموع التي لم يستطع منها في ذلك المكان العام.

أكثر ما كان يؤلمه حقًا ليس ما فعله به سامح ولكن أنه عاجز عن تذكر جميع التفاصيل التي يتحدث عنها سامح..لم يستطع تكذيبه أو تصديقه في كل ما قاله فليست بالمرة الجديدة التي تخونه بها ذاكرته ولكن لماذا يشعر بذلك الألم في قلبه هذه المرة...ما الأصوات التي يستمع إليها في عقله؟!..ذلك كان أكثر إيلامًا من كل ما فعله سامح له.

***

عند وصوله إلى المطعم وجدها تستقبله بابتسامة هادئة وهي في كامل أناقتها ظل يتأملها وهو يقترب إليها يشعر وكأنه يراها بعد عودتها من رحلة طويلة فما يلمحه في عينيها اليوم من قوة وسعادة يذكره بأيامهم الأولى سويًا راقه كثيرًا قميصها الأسود المطعم ببعض الإكسسوار والحلي ذات اللون الذهبي مكملًا بنطالها الجينز السماوي والحذاء الأسود تلك اللوحة لفتاة مفعمة بالحياة فهو نادرًا ما كان يراها بمثل هذه الإطلالة المميزة ممّا جعله منبهرًا كثيرًا برؤيتها هكذا..

-أنا كنت فاكر إنك مخصماني ولا حاجة.

-لأ، ليه بتقول كدة؟!

-يعني بقالنا فترة مخرجناش خروجة زي دي...وإنك تتصلي تعزميني عالغدا دي متوقعتهاش منك الفترة دي.

-الصراحة أنتِ قفشتني العزومة دي لها سبب فعلا.

-إيه؟!

-أنا جالي عرض شغل حلو من شركة تسويق انترناشونال وحبيت تكون أول حد أشاركه الخبر ده.

-وأنتِ ناوية توافقي؟!

-أكيد طبعًا أنا أبقى هبلة لو رفضت فرصة كنت بحلم بيها من زمان...وبعدين مش شايفة حاجة تخليني أرفض.

-صح مش شايفة حاجة تخليكِ ترفضي ولا كأن في بني آدم يهمك رأيه في حياتك.

-مين قال كدة؟!...لو ميهمنيش رأيك مكنتش بقولك دلوقتي.

-لا فيكِ الخير والله...أهو أحسن من إنك تقولي لي بعدما تمضي العقد مش كدة...أنا مش موافق عـالشغل ده يا سارة.

-ليه يا شريف!!

-هو كدة من غير ليه....أنا إذا كنت سيبتك ترجعي الشركة فده بس كان تغيير جو ليكِ لحد فترة الفرح لأن أنتِ عارفة رأيي وأنا مش شايف إنك هتعرفي توفقي بينك وبين شغلك وبيتنا بعد الجواز...كفاية عليكِ البيت والأولاد وأنا ولا دول مش مهمين بالنسبالك؟

-أنت إيه الطريقة الغريبة إللي بتفكر بيها دي...حياتنا وبيتنا مش "deal" يإما هو يإما الشغل..في ناس كتير قادرين يوفقوا بين أحلامهم وطموحاتهم وبين حياتهم الخاصة ومسئولياتهم وبعدين إحنا لسة مبدأناش عشان تكوّن عني فكرة إني مش هعرف أوفق يا شريف!!

فوجأت به يتركها وينصرف في منتصف حديثهم دون أي مقدمات...شعرت بالحرج الشديد وكأنّ كل من حولهم داخل المطعم ينظر لها خبئت وجهها بتلك القائمة التي أمامها...شيء بداخلها يشعر بالارتياح بعد حوارهم على الرغم من رده فعله القاسية.

لم يعد أسلوبه يضغط على قراراتها هي تعلم الآن ماذا تريد وماذا عليها أن تفعل...رفعت رأسها وقررت الاستمتاع بتناول وجبتها وهي تنصلت لتلك الأغنية الأجنبية لـ "adele" الصادرة من سماعات المطعم محلقة في سقفية المكان تتأمل الرسمة الإغريقية المنحوتة بالأعلى لمجموعة من الأطفال يبدون كالملائكة بأجنحتهم الصغيرة بعض منهم حامل أقواسًا وأسهم بألوان بستيلية هادئة...لم تلحظ من قبل أن ذلك النوع من الرسومات يستهويها..ارتسمت معالم الهدوء والرضا على ملامحها وهي تدندن كلمات الأغنية..

I only want to have fun

Learning to play learning to run

Let my heart decided the way when I was young

***

حاول التخلص من دعوة والدته على العشاء ولكنه استسلم أخيرًا أمام إلحاحها...منذ لحظة وصولهم إلى المنزل لم تتركه يبقى صامتًا ظلت تتحدث معه وتسأله عن أيامه الماضية وهل مازال على تواصل مع زملاء

الجامعة القدامى وإذا كان لديه أصدقاء مقربين في تلك الفترة...ـدرك جود من حوارها إلى ماذا تلمح فابتسم مربتًا فوق كفها برفق وأخبرها أنه سيخبرها عمّا تريد سماعه ولكن ليس الآن.

تنهدت وهي تحاول تصديق أن ما يقوله حقيقة وليس وسيلة للهرب من حديثهم..ولكنها قررت أخيرًا الوثوق بقلبها كأم وأن تصدقه... قبلته فوق وجنتيه كطفل صغير مدلل وتركته لتحضر له عصير الفراولة المفضل لديه، بدأ يشعرُ بأجفانه تتثاقل فقام بالتجول بداخل المنزل ليزيل آثار النعاس الذي حلت به ويكسب المزيد من الوقت معهم قبل أن يغادر معتذرًا باعتذارات واهية كعادته.

مرّ أمام تلك الغرفة شيء ما دفعه بالدخول ولكن قلبه كان يخفق بشدة عندما تذكر تلك المرة لسابقه، استمر في التردد للحظات حتى دفعه الفضول إلى خوض التجربة ربما قلبه الآن أصبح أكثر صلابة وشجاعة لتقبل أي شيء قديم سيكتشفه عن نفسه لضائعة التي لا يعرف عنها شيء.

تفاجأ عندما وجدها فارغة ومرتبة لا يرى أي أثر لتلك الصناديق القديمة التي كانت سابقًا فقط أرضيتها الخشبية وجدرانها الأبيض يوحي بالتجديد، تلك ليست معالمها القديمة..قرر عدم البحث خلف الأمر أكثر لربما أوهامه وكثرة تفكيره بمرضه هي التي جعلته يعطي للأمور حجماً أكبر...همّ بالخروج حتى لمح دفتر صغير ملون ملقى بجانب باب الحجرة وكأنه كان صامدًا ينتظره ليأتي ويفتش به.

ربما لذلك نعتقد أن أقدارنا لا تتغير فهي دائمًا تنتظرنا مهما تأخرنا ومهما تباطئت خطواتنا أو حاولنا الهرب منها فـحتمًا يأتي يوم ونواجه ما قُدِّرَ لنا مواجهته.

ازدرد ريقه في قلق وقرر مواجهة ما سيجده أيًا كانت صعوبته .... كثيرًا من الرسومات الًا رتجالية غير مفسرة الملامح عندما تراها لا تحتاج أن تأخذ كثيرًا من الوقت حتى تدرك أنها لطفل لم يتخطَ من عمره العشر سنوات.

فوق كل منها على حدة تاريخ وعنوان بخط متقطع كبير ولكن مهلًا ما تلك الرسمة المتقنة الجميلة!

لفت انتباهه لفترة تفاصيلها الدقيقة..اتسعت حدقة عينه من الصدمة عندما أدرك أن وجه الطفل المرسوم أمامه قريبة جدًا من ملامحه هو، التقط أحرف موقعة أسفل الصورة "نادر صلاح"

أخذت ضربات قلبه تتسارع حتى أصبحت مؤلمة...صوت ضجيج عالٍ في أذنيه وألم يعتصر رأسه من الداخل حاول السيطرة على نفسه ذلكً ليس المكان المناسب للانهيار...لا يريد أن يروه بتلك الحالة..خرج مسرعًا يركض إلى الخارج دون أن يراه أحد منتهزًا فرصة انشغالهم بما يفعلونه أخذ سيارته وتحرك بها قليلًا مبتعدًا عن منزله ثم أوقفها وهو يحاول ألا يفقد الوعي متحدثًا إلى شريف بضع كلمات قبل أن يسقط رأسه فوق عجلة القيادة مصدرة صوت ضجيج عالٍ من صافرة السيارة التي ضغطتها يده بالخطأ بسبب انهيار جسده.

نهض فزعًا وهو يشعر بألم شديد في جميع أجزاء جسده وكأنه اصطدم بقطار..استطاع بصعوبة تمييز معالم الحجرة ولكنه صدم حينما أدرك أنه ليس بمنزله وما جعله يرتبك أكثر الملابس النسائية التي يرتديها من أين حصل على ذلك الفستان الزهري..ليجدها أمامه بعد لحظات قصيرة ناظرة له نظرة مليئة بالعبوس والتوعد

-لو بطلت بحلقة فيّا وقمت فطرت معايا دلوقتي هرضى فضولك وأحكيلك على كل حاجة حصلت من امبارح لحد دلوقتي.

لم يتملكه كثيرًا من الحماس ولكنه بدأ في صنع دوائر هوائية بملعقة داخل طبقة دون أن يتناول منه شيئًا فهو تارة شاردًا وتارة أخرى يختلس النظر إليها بطرف عينيه دونًا أن يصطدم بنظراتها...ربّما لأن شعوره بالحرج من رؤيتها له في تلك الحالة كانت من أكثر اللحظات الحمقاء بالنسبة له.

-أنا زهقان يلا نلعب...عندك بلاي ستيشن؟

-عندي بلاي ستيشن...بس بشرط إللي يخسر يحكي حدوتة للتاني.

-هكذا بدأت في أن تُقص عليه ما حدث في الليلة السابقة بعدما شعرت بعدم ارتياحه أرادت أن تنهي صراعه الفكري وتصوراته عمّا حدث بطريقة مرحة خفيفة لتساعده في أن يتقبل حياته ويرى ما يحدث بها أنها أشياء طبيعية..

-بس يا سيدي وفضلت أنا وماجد نلعب على أمل أنه يزهق وينام...

وبعد حوالي أربع ماتشات وخمس أفلام كارتون أخيرًا نام..فرحت ودخلت أنام لحد ما سمعت صوت باب البلكونة بيخبط جامد.

-بقالنا كتير متقابلناش...تصدقني لو قولت لك إني مبسوطة إني شوفتك تاني.

-معتقدش إن مدى معرفتنا ببعض تخليكِ تبقي مبسوطة فعلًا بمقابلتي تاني..بلاش ترددي جمل اجتماعية محفوظة من باب المجاملة.

-إيه أكتر حاجة بتحس بيها وأنتَ قاعد على سور البلكونة كدة.. الخوف ولا الطيران؟

-الحرية...ببقى حاسس إن حياتي ملكي...بإيدي أطير وبإيدي امشي..إني قادر أقرر لوحدي عايز إيه...حتى لو قررت أنط من هنا دلوقتي هيبقى قراري أنا برضو.

-معاك حق بس فيه لحظات كتير فحياتك لسة مستنياك تجربها... زي القعدة الحلوة المجنونة دي...أنا من رأيي يعني نأجل فكرة النط لوقت تاني...أنا سمعت إنك بتحب تشرب شاي بلبن..ينفع تقبل عزومتي...أو ممكن نعتبرها بداية صحوبية ما بينا تفتكر انفع؟

صمتت لحظات ثم التفتت إليه بابتسامة عميقة معها وكأنها تربت فوق قلبه دون أن تحرك يدها خطوة واحدة ثم نظرت مرة أخرى إلى الأمام واستكملت حديثها:

-البرود المليان وجع إللي في عينين نادر..نبره اليأس و تأنيبه لنفسه

كانت مخلياني حاسة إنه أكثر شخص ضعيف من جواه مهما كان باين عليه القوة والقسوة من برا..بس تصدق القاعدة على طرف السور دي طلعت متعة...أهو طلعت لي بمغامرة مجنونة على الأقل بسببك امبارح.

اتسعت حدقة عينيه تاركًا كوب القهوة من يده في هلع قائلًا:

-أنتِ قعدتي مع نادر على طرف سور البلكونه البارح؟!

-أيوة مقولكش وبدأ يتلكم معايا ويقبل كلامي أي نعم مكنش بيتكلم كتير بس كان بيسمع لي بتركيز وقبل ما يمشي ابتسم تقريبًا دي كانت أول مرة أشوفه بيبتسم عارف حسيت لحظتها إنه ابني بجد.

المرة دي قلت أكيد خلاص وسيبتك تنام وقمت اطمن على سمسمة رجعت ملقتكش في الأوضة اتخضيت لسة هدخل أوضتى ودي كانت المفاجأة الكبرى.

-اوعي تقولي إن......

-أيوة الآنسة ماجدة..وأخيرًا نلت شرف مقابلتها ..لا بس تصدق طلعت كيوت كدة..ياختي حلوة وأنتِ بنوتة يا بيضة.

-بس تعالى هنا مكنتش أعرف إن ذوقك بيئة كدة في الولاد إللي بتحبهم.

-نعم !!!

نظرت له نظرة شريرة مليئة بالحماس لمّا أصبح بين أيديها من أدلة

ووثائق تستطيع أن تستفزه بها فاستطردت ما تبقى من أحداث.

-بقولك إيه يا أنتِ معندكيش فونديشن ولا إيه...الفساتين بتاعتك كلها ذوقها مش ستايل خالص، عمومًا أنا لبست ده وخلاص..مش عارفة أنتِ عايشة إزاي كدة؟!

-هو أنتِ ناوية تخرجي ولا إيه؟

-وأنتِ مالك أنتِ...أه هخرج بقالي كتير مكلمتش الأكس فريند بتاعي...استني هوريكِ صورته بس بقولك إيه متحاوليش توقعيه أنا عارفة نفسنة البنات دي.

-طبعًا مش محتاجة أشرحلك تفاصيل أكتر من كدة بس كانت مهمة إقناعها بإنها تلغي الخروجة شيء من رابع المستحيلات...فضلت أطلعلها بحجج وافتح معاها مواضيع لحد ما استعملت آخر فكرة جات في بالي لمّا يأست خالص وطبعًا جابت نتيجة ممتازة.

نظر لها في انتظار مليء بالتوسل لتنفي الفكرة التي خطرت له ولكن ضحكاتها المتواصلة وهي تنظر له ثم تعيد الضحك جعلته يخفي وجهه بين يديه كطفل يريد الاختباء من نظرات من حوله.

-لا بس إيه طلع عندك مواهب شرقية محترفة...فنااانة.

بعدما انتهت من سرد تفاصيل ما حدث الليلة السابقة ابتداءًا من إحضار شريف له لمنزل فريدة بسبب عدم قدرته على المكوث بجانبه تلك الليلة انتهاءًا بإخباره بمقابلتها جميع شخصياته فيما عدا أمير لم

يظهر في تلك الليلة..ولكن رغم ما حدث لم يشعر بالضيق من رؤيتها لنقاط ضعفه بالرغم من إنه الآن أصبح كالكتاب المفتوح أمامها لا يوجد شيء لا تعلمه عنه ولكنه يشعر براحة كبيرة وكأنه أصبح يرى نفسه بشكل أفضل حتى مرضه معها يراه بعينين مختلفتين.

أجمل هدية يمنحنا إيّاها الحب ليس فقط قلب من نحب ولكن عيناه..فنجد أنفسنا نرى الحياة بشكل مختلف حتى أننا نرى ما بداخلنا نحن بشكل مختلف أيضًا..فتلك هي قوة الحب أن نرى العالم من حلونا بعيون من نحب فنصبح أكثر قوةً وشجاعةً وثقةً عندما نرى كيف يلمسون عيوبنا ويتقبلوها باحترام..كيف يرون أحلامنا وأبسط اهتمامتنا التي قد تكون تافهة كشيء كبير بالنسبة لهم..فنكتشف كم نحن شيء كبير ومميز بالنسبة لهم، فليس هناك أجمل من أن نرى انعكاسًا لنا بداخلهم فندرك كم أصبحنا متداخلين في الروح والملامح أيضًا.

***

عندما رأى خطاب استقالتها في مكتبه نظر له مقلبًا إيّاه بين يديه دون أن يفتحه ثم قام بتمزيقه إلى قطع صغيرة في انفعال شديد..نهض من خلف مكتبه وذهب باحثًا عنها فعلم أنها لم تأتِ اليوم إلى الشركة.

ظل يسير محدثًا نفسه بداخل مكتبه ذهابًا وإيابًا يريد أن يمنع نفسه من الاتصال بها لأنه يعلم أنه لن يتحكم بانفعالاته إن قام بالتحدث إليها وربما ذلك لن يزيد الأمور إلا سوءًا بينهم حتى قاطعت خواطره سكرتيرته مخبره إيّاه عن قدوم والد جود إلى الشركة وأنه يبحث عنه هو

وجود فقام بمحادثة صديقه ليأتي على الفور إلى الشركة محاولًا اكتساب المزيد من الوقت بالذهاب والتحدث إلى عمه إلى أن ياتي جود.

حين وصل إليه استقبله شريف ممازحًا حتى يلطف الأجواء المحيطة مادحًا في مظهره الأنيق ببدلته السوداء الداكنة التي يرتديها وكأنه على موعد مع لقاء تلفزيوني ولكن والد جود نظر إلى شريف نظرة مقتضبة طالبًا منه مغادرتهم قليلًا لأن لديه ما يريد مناقشته مع جود.

قبل وصوله إلى المكتب استلم رسالة منها تخبره بانتظارها له أسفل الشركة نظر لهاتفه نظرة مطولة آخذًا نفسًا عميقًا لأول مرة يريد الهرب من مقابلتها...يريد أن يجد أي عذر لتأجيل تلك المحادثه..لا يعلم إن كان سبب ذلك بسبب استياءه منها أم بسبب خوفه الداخلي من كثرة الأشياء التي تزيد المسافة بينهم في الآونة الأخيرة.

-أنا قررت أرجع أمسك الشركة بنفسي...إديتك فرص كتير تثبت لي فيها إنك قد المسئولية بس كل مرة بتأكد لي إنك لسة ضعيف وجبان" أنهى كلماته دون أن يلتفت إليه مثبتًا نظره إلى نافذة الحجرة.

-ما عنديش استعداد أصلح لك وجهة نظر أنتَ مُصّر تشوفها كدة...أنا هنقل حاجتي كلها لمكتب شريف بس الشغل إللي انا مسئول عنه من فضلك أنا مش هقدر أسلمه غير لمّا نخلص الحاجى إللي بدأت فيها مش هسيبها غير لمّا أخلصها" نهض من مكانه وهمَّ في الانصراف حتى اخترقت مسامعه تلك الجملة فمنعت ساقيه من استكمال خطواتها إلى الباب "سلبي ومهزوز وعديم الشخصية"

-بابا !!...حضرتك والدي بس أنا ما اسمحلكش تتكلم معايا بالشكل ده بعد إذنك أنا أفضل إن مناقشتنا تنتهي لحد هنا ولو احتاجت تعرف تفاصيل أي مشروع السكرتيرة منى موجودة هتوفر لحضرتك كل إللي هتحتاجه.

أغلق الباب محاولًا إخماد تلك العاصفة التي بداخله يريد أن يجلس الآن بجانب الباب ويبكي كطفل صغير ضائع حتى يأتي والده ويجده ويأخذه بين ذراعيه ولكنه تماسكً وحاول رفع أقدامه بصعوبة خطوة تلو الأخرى مبتعدًا عنه فهو يعلم أيضًا أنه مهما أطال البكاء لن يأتي لأنه لم يعد طفل بعد ولأن والده ليس من ذلك النوع من الآباء.

شعر باهتزاز هاتفه داخل معطفه لم يستطع تمييز صوتها بالبداية حتى أتته بضع كلمات غير مفسرة جعلته يركض إلى الخارج مصطدمًا بكل من يأتي في طريقه كالمجنون.

***

صعد إلى سطح البناية مسرعًا فوجدها تتكيء فوق إحدى قصيصات نبات الصبار القديمة...فأقبلت بضع خطوات في اتجاهه عندما رأته مقبلًا واضعه خاتم خطبتهم بين يديها في صمت...

-إيه إللي بتعمليه ده يا سارة؟!!

-إللي بعمله ده كان لازم أعمله من فترة كبيرة يا شريف بس كويس إنى متأخرتش عن كدة.

-هتنهي كل حاجة بيننا عشان خاطر موضوع تافه زي الشغل.. الشغل بالنسبالك أهم منّي؟!..للدرجة دي أنا ماليش قيمة عندك؟!

-من فضلك متلعبش بالكلمات ومتحاولش تقلب الترابيزة.. الموضوع مش في الشغل نفسه أنا قراري أخدته بعد ليالي وجع وبكا وتفكير ليل نهار، أنا اتنازلت عن حياتي إللي بحبها عن أحلامي وطموحي وشغلي عشانك حاولت ابقى الشخصية إللي أنتَ عاوزها، نسيت نفسي ولغيت شخصيتي عشان بحبك بس ده مش حب يا شريف ده اسمه مرض.

-مش هقول لك إنك ما حبتنيش ومش هقولك إني هبطل أحبك، بس الحب إللي ما فيهوش احترام وقبول يبقى حب تحكم، حب مرضي أنا مش ملكك أنا إنسانة زيي زيك معرفتش أحس معاك إني مقبولة زي منا بكل لغبطتي وعيوبي حاولت أتغير وأرضيك..كل مرة ببقى مضغوطة وبحاول ابقى زي ما أنتَ عاوز لحد ما تعبت، أنتَ عمرك ما قبلتني زي ما أنا وأنا مش ناوية أكمل في حب هيدمرني.

-خلاص خلصتي كلامك انتهيتي من دفاعك..أنا الوحش إللي وجعك وأنتِ الضحية عندك أعذار تانية حابة تقوليها؟

-نفسي مرة تفهمني فيها أنا مش ضحية وأنت مش وحش، كل واحد فينا غلطان أنتَ غلطت لمّا لغيت شخصيتي وأنا غلطت لمّا وافقتك باسم الحب..بس ما ينفعش حياتنا تستمر كدة مش عاوزة أخسر نفسي تاني..جايز تكون الشخص الوحيد إللي حبيته وبحبه بس

قلبي وعقلي خدوا القرار خلاص وأنا مرتاحة وراضية عنه ربنا يوفقك يا شريف.

لم يتوسلها للبقاء شعر أن كل الكلام الذي لديه قد انتهى، لا يعلم من المخطيء في حق الآخر ولكنه يعلم دائمًا رغبة الآخرين في الخروج من حياته فهو لا يجبر أحدًا لا يريد البقاء.

ظل يتأمل ما حوله شعر بالاستغراب من نفسه كيف لم يصعد إلى سطح شركتهم منذ فترة طويلة..كثيرٌ من الأشياء قد تبدلت اختفت تلك القصور القديمة وأصبحت المنطقة مليئة بالأبراج الشاهقة شعر وكأنه لأول مرة يستمع إلى ضجيج السيارات ربما لأن سبب ذلك الضجيج داخل قلبه هو وليس بالشارع.

مع كل خطوه تخطوها كانت تريد أن تنسى كل ما حدث وتعود له راكضة ولكن عقلها كان يذكرها بكل ما عانته في السابق فينتهي شعورها اللحظي بالضعف وتكمل طريها إلى الأمام ولكنها لن تستطيع منع قلبها من الاستمرار في حبه، ربما عقلنا في بعض الأحيان يستطيع أن يتحكم في حياتنا ولكنه لن يستطيع أبدًا أن يتحكم في تلك النبضات القوية تجاه من نحب مهما مرّ الزمن سيظل ذلك الشعور الخفي ضربات القلب المتفاوتة وتلك اليدين الباردتين من رؤيتهم أمامنا وكأننا نراهم للمرة الأولى.

***

رأته يجلس بجانبها متكئًا رأسه فوق يدها محتويًا إياها بين يديه في

تشبت كطفل ربتت فوق رأسه بيديها الأخرى ظنًا منها أنه نائم لكنه فاجئها بانتفاضته وهو يصيح:

-أنتِ كويسة...أنتِ كويسة؟!

نظرته المليئة بالقلق ونبرته جعلتها تنسى جميع آلامها، ابتسمت له وهي تهز رأسها في صمت مربتة فوق يديه لتهدئه"متى وجدها الحب؟ وكيف منحها ذلك القلب العطوف؟" شعرت بالاطمئنان لوجوده بجانبها في تلك اللحظة...كم نحن نحب أن نرى خوفهم وقلقهم لأجلنا وأن نشعر من تصرفاتهم مقدار أهميتنا لديهم بين الحين والآخر شاكرين الظروف التي تجعلنا نرى ذلك، ولكن حين نشعر بانزعاجهم وكم أثر ذلك عليهم نندم على ما تمنينا رؤيتهم هكذا لندرك أن الضعف والإعياء في حضرتهم يتحول إلى قوة وشفاء...فالأمل بوجودهم وبالبسمة بجانبهم أكبر دواء.

لم تخبره فريدة من قبل أن لديها فوبيا الأماكن المغلقة وهو لم يلاحظ أي شيء عليها من قبل ولكن الطبيب قد أعلمه أنها معرضة أكثر لتلك النوبات داخل السيارة بسبب الحادثة السابقة فربما تعرضها لتلك النوبة اليوم أو في أي وقت أكثر خطورة على حياتها من اصطدامها بشيء لذا نصحه ألّا يتركها تقود السيارة بمفردها؛ لأن حادثة اليوم قد تتكرر في وقت آخر ولحسن حظها اليوم أن الوقت كان في صالحها قبل أن يتضرر قلبها بشدة.

ظل شاردًا فيما قاله الطبيب وهو ينظر لها في حنو ممررًا أصابعه فوق

رأسها حتى استمع إلى صوتها:

-كفاية شعري بقى منكوش..أنتَ بتلاعب بنت أختك.

-لا بنتي.

-يا سلام إيه العسل ده..يابني أنتَ إللي قد عيالي أصلًا يلا يا شاطر من هنا.

-يا ساتر يا رب حتى وأنتِ تعبانة غلباوية برضو.

-أيوة طبعًا وبعدين تعالى هنا قميص أبيض وبنطلون جملي وإيه ده إيه الساعة البني دي الله الله أنتَ كنت رايح تقابل مين النهارده يا بيه قر واعترف.

-كنت هقابل حبيبتي التانية.

-لا مش مصدقاك أنتَ أكيد كان عندك اجتماع مهم في الشركة أنا عارفاك مبتطلعش من الشركة أصلًا.

-لمّا أنتِ عارفة إللي فيها بتطلعي عيني ليه؟

-لازم أطلع عينك يا حبيبي أومال مين هيطلعها غيري؟

ظلّ بجانبها طوال اليوم ملغيًا جميع مشاريعه الأخرى في هذا اليوم حتى بعد قدوم جدتها وإصرارها على ذهابه إلى شغله المعطل...شعرت فريدة كم هي محظوظة لوجودها الآن بجانب أقرب وأهم اثنين في حياتها أرادت أن توقف الزمن عن الحركة قليلًا لتبقى في هذه اللحظات

السعيدة.

***

بعدما قام بإيصالها إلى المنزل واطمئن عليها أتته مكالمة من مجهول مسجلًا باسم vip call تحمس وجهه كثيرًا عند إنهائه المكالمة وكأنه وجد ما كان يبحث عنه منذ فترة ولكنه قرر الذهاب أولًا إلى مقرّ الشركة لترتيب بعض الأعمال المتعلقة باجتماعهم المقبل مع شركة الفاروق فهو يريد أن يكون في كامل استعداده أمام والده في تلك الجولة لا يوجد لديه أي نية للهروب أو الخسارة.

أتاه الأمر من سكرتيرته الخاصة بأن المدير قد قام بإقصائه من الاجتماع القادم والتأكيد على عدم حضوره لم يستطع الانتظار قليلًا حتى يهدأ بعد استماعه لذلك ليجد نفسه بداخل مكتب والده خلال ثوانٍ ظلّ يتنفس بصوت مسموع محاول في التنفيس عن غضبه ولكن نظرةٌ التهكم في أعين والده جعلته يخرج عن سيطرته فصرخ بوجهه

-أنتَ ليه بتعمل فيّا كدة...ليه عاوز دائمًا تكسرني؟

-أنتَ فاشل وبتحاول تدور على شماعة تعلق عليها فشلك..تقدر تقول لي إيه إللي خلاك دايمًا تبعت شريف مكانك في أي اجتماع مهم ليه إللي بيشتغلوا في الشركة نادرًا ما بيشوفوك على مكتبك...ليه في أي مناسبة مهمة بتختفي عشان جبان وسلبي وعمرك ما كنت قد المسؤلية سايب شغلك وعمال تلعب مع بنت..معنديش استعداد أسيبك تضيع الشركة يا أستاذ يا عاقل يا كبير لمّا تفوق لنفسك وتبطل لعب العيال ده

وتهتم بشغلك هبقى أسمحلك تحضر كل الاجتماعات المهمة للشركة.

-كان نفسي بدل ما تخلي حد يجيب لك أخباري كأنك بتتجسس عليّا تسألني زي أي أب ما بيطمن على ابنه كان نفسي تبقى أول حد آجي أحكي له عن الإنسانة إللي بحبها وأول حد اشتكي له وأنا مهموم من مشاكل الشغل بس أنتَ عمرك ما حسستني إني ابنك ...إذا كنت في يوم من الأيام شخص جبان فأنت السبب في ده بس أنا مش ناوي أخليك تدمرني أكتر من كدة يمكن أنت كنت السبب في اللي شفته في حياتي قبل كدة بس أنا مش ناوي أخليك محور حياتي والسبب في تعاستي في حياتي إللي لسة هعيشها..مش مستنيك تندم على كل حاجة عملتها في حقي لأني متأكد إن عمرك ما هتحس بإللي أنا حاسه بس من فضلك خلينا نوقف الصراع إللي بينا لحد هنا.

ذلك كان الظهور الأخير قبل اختفائه الغامض ظل كل من شريف وفريدة يبحثان عنه لعدة أشهر دون أن يتوصلا لشيء..لم تتوقف الحياة بعد اختفائه فالعمل استمر بداخل الشركة وانغمس شريف ووالد جود بالسفر سويًا في عدة اجتماعات للشركة خارج البلاد.

اعتاد الجميع مؤخرًا على غيابه ولكنها الوحيدة التي لم تعتد ذلك... كثيرًا ما تمنت أن ينتهي يومها بالمجلة لتجده بانتظارها حتى أنها أصبحت ترفض استقلال السيارة متخذة طريق عودتها للمنزل سيرًا أملًا في أن تصطدم به بين المارة ولكن جميع محاولاتها كانت تنتهي بالفشل فرؤيته أصبحت ممكنة فقط في أحلامها التي تنتهى دائمًا باستيقاظها هلعًا في

منتصف الليل عقب رؤيتها له وهي تنادي باسمه ولكنه لا يستمع إليها، ظلت تنتابها تلك الأحلام لفترات طويلة حتى اعتادت عليها ورغم ثقلها وألمها أصبحت الشيء الوحيد والمنفذ الأخير لها لرؤيته.

انتقل سامح إلى فرع المجلة بمحافظ الإسكندرية وانتظمت وتيرة حياته هناك بعدما قرر أن يطوي تلك الصفحة المتعلقة بفريدة وكل ما يرتبط بها من أحداث ليبدأ من جديد رحلته ويستعيد حلمه السابق في أن يمتلك منزل صغير بطابقين أمام البحر واضعًا كافة طاقته ووقته لتحقيقه.

***

-أنتَ هنا من بدري، آسف اتأخرت عليك شوية معلش النهاردة كان معايا شغل كتير.

-ولا يهمك يا نادر لو مش وراك أي حاجة تاني النهاردة ما تيجي نلعب دور بلايستيشن سوا؟

-موافق يا معلم بس إللي يخسر أنت عارف طبعًا هيعمل إيه.

-يابني ده عقاب عيال صغيرة بلاش فضايح واحنا وسط الأجانب كدة.

-لا ماليش دعوة هو ده شرطي وبعدين مقولتليش أنت ناوي تفضل هنا لحد امتى أنا عارف إنك معندكش نية تستقر هنا...ناوي على إيه يا صاحبي؟

شرد جود للحظات تذكر بها تفاصيل مقابلته لنادر عندما علم بكافة التفاصيل اللازمة عنه من المتحري الخاص الذي وضعه لتلك المهمة، تذكر تفاصيل أول لقاء بينهم عندما استقل الطائرة في سرية وذهب لمقابلته.. لم يكن ينوي البقاء كل تلك الفترة ولكن ربما ما وجده هناك جعله يريد أن يبقى مدة أطول ليستعيد نفسه ويحدد ماذا يريد أن يفعل والأهم أن يجد نفسه الضائعة بجانب صديقه المفقود.

ابتسم حينما تذكر تفاصيل محادثتهم الأولى

-نادر صلاح حضرتك نادر؟

-ده سؤال ولا إجابة يا جود؟

-الاتنين.. أنا مش فاكر إننا اتقابلنا قبل كدة بس حاسس إني أعرفك من زمان، حاسس إنك قريب ليا.. أنا آسف مش قادر افتكرك؛ لإني في جزء كبير من حياتي فقدته لما فقدت ذاكرتي وحاسس إنك جزء مهم فيها.

عارف بعد إللي حصل أنا فضلت لسنين بكرهك مش عارف ليه بس لما بفتكر لحظة ما سيبتني على الأرض بموت والعيال إللي من المدرسة إللي جنبنا بيضربوا فيّا وطلعت تجري بحس بحاجة مكسورة جوايا حتى بعدما اتعالجت برا وكملت حياتي هنا وكونت أصحاب لكن في حاجة جوايا لسة سايبها في مصر في المكان إللي كنا بنلعب فيه كورة وبنغني أغاني أفلام الكارتون إللي بنحبه فاكر!

تأكد جود أن قراره في ترك كل شيء وإصراره على الذهاب؛ بحثًا عن ذلك الشخص المجهول صاحب تلك الرسمة لم يكن قرارًا طائشًا... فهو لم يجد صديق طفولته الضائع ولكنه أيضًا وجد نفسه ...

استمرا في الاجتماع سويًا وفي كل مرة يخبره بها نادر تفاصيل أخرى عن ذكرياتهم سويًا بعضًا منها يستطع جود تجميعه في ذاكرته وكأنه يكون مشاهد من قطع أحجية لتكتمل الصورة في النهاية وفي بعض الأحيان يتعذر عقله عن تذكر تفاصيل ما يسرده له.

ذلك اللقاء المقدر بينهم بعد مرور عشرون عامًا على ما حدث في ذلك اليوم كان مفيدًا لكلٍّ منهم فليس جود وحده الذي أصبح أفضل ولكن نادر أيضًا أدرك أنه لم يتم التخلي عنه وأن ما حدث كان شيئًا آخر ربما استطاع مسامحة جود على ما فعله منذ عدة سنوات سابقة ولكنه الآن استعاد أيضًا محبته وصداقته الغامرة له كما كانت أيام طفولتهم وربما بنضج واستيعاب وتفهم أكبر.

يقولون أن أصدقاء الطفولة هم أكثر الأصدقاء تأثيرًا في حياتنا مهما قابلنا بعدهم من أصدقاء سيظل لهم بداخلنا ركن خاصًا ومميزًا عن الجميع مهما ابتعدوا ومهما فرقتنا الحياة في بقاع مختلفة على هذا الكوكب سنظل نتذكر هؤلاء الرفقاء القدامى وفي كل مرة ستبقى تلك الابتسامة المليئة بالتمني للقياهم مجددًا.

***

لم تتحمس كثيرًا عندما أخبروها بميعادها في الغد مع أحد أكبر شركات الشرق الأوسط لمناقشة التعاقد المزمع بينهم، ربما لو كانت أتتها تلك المقابلة في وقت آخر لكانت صرخت وظلت تقفز من فرط سعادتها واستمرت في تجهيز ما ستتحدث به في الغد لكن شيء ما بداخلها فقد بريقه حتى عملها الذي يمثل لها الحياة وما عليها أصبح فاترًا مع مرور يومًا آخر بدونه وكأنه لم يمر.

-إيه ده أنتِ رايحة فين باللبس ده؟

-عندي مقابلة شغل يا سارة خليكِ قاعدة مع سمسمة وأنا مش هتأخر ونسهر الليلة دي سوا.

-ماشي هستناكِ بس أنتِ برضو هتروحي كدة؟!

-أه في حاجة؟

-أه طبعًا في..أنتِ مبصتيش لنفسك في المراية قبل ما تنزلي!..في مديرة مجلة قد الدنيا تلبس لبس ماهوش ملامح كدة إيه البلوزة الباهتة دي ومش لابسة كعب ليه أنتِ رايحة تعزي؟

-أنا مش رايحة فرح يا سارة ده اجتماع شغل وشوية وراجعة متتعبنيش معاكِ.

بعد مرور قرابة الساعة وصلت أمام مقر الكافيه تنظر إلى فستانها الوردي القصير وتشعر بالحماقة من نفسها لمجارتها ما قالته سارة، فكرت أنه من الأفضل لو تجنبتها وذهبت لما كانت ترتديه بدلًا عن ذلك

الحذاء الكحلي ذو الكعب الرفيع غير مريح حتى أني من خلفها وقاطع لحظة تواصلها مع نفسها مشيرًا إليها بالدخول سائرًا أمامها ممهدًا لها طريق الدخول.

ظلّت تنظر فيما حولها تتفحص تفاصيل المكان ابتداءًا من تلك الإضاءة الخافتة المنبعثة من بلورات زجاجية تحتوي على شموع صغيرة وهنالك النجوم المضيئة المتدلية من الأعمدة المحيطة بالطاولات الثلاث الوحيدة الموجودة بداخل المكان تعجبت من غرابة المنظر وبرغم من شاعرية الموقف ألا إنها شعرت بشيء من القلق حيال الأمر حتى سمعت صوته فانقبض قلبها بداخلها وسرت البرودة في أطرافها بحثت برأسها عن مصدر الصوت حتى رأت تلك الشاشة الكبيرة المعروضة أمامها وعليها كثيرٌ من الصور التي تجمعهم في لحظات قصيرة استرجع عقلها كل التفاصيل الخاصة بهم كل ما مروا به سويًا وكأنه كان في اليوم السابق بدأ الحوار المسجل بصوته يعود بيها مرة أخرى إلى أرض الواقع فنهضت من مكانها محاولةً البحث عنه ولكنها لم تجد له أيّة أثر فعادت إلى مكانها في استسلام..

-عارف إني ياما زعلتك وياما جيت عليكِ..عارف إني يمكن مكونش الإنسان إللي يستاهلك ويمكن مكونش زي ما كنتِ بتحلمي تقابليني، بس إللي عارفه إني ما صدقت ما لقيتك مكنتش متخيل إني ممكن يبقى في حد زيّك في حياتي بس أنتِ جيتي وأنا خلاص مش ناوي أسيبك تاني من اللحظة دي...مش ناوي أضيع دقيقة تانية متبقيش

جنبي فيها مش عاوز أصحى وملاقكيش معايا..

امتلأت عينيها بدموع كادت أن تخرب ملامح وجهها لا تستطيع أن تتمالك أعصابها، تريد أن تقفز باحثة عنه كالمجنونة ولكنها أصبحت متعبة من الداخل لا تريد أن تبحث فلا تجده كالمعتاد فتعود محبطة سئمت من انتظارها للمجهول.

لمحت شيء أمامها على الطاولة فالتقطتها وهي تحاول القراءة بصوت محشرج وعينين دامعتين"لسة بتحبيني؟ لو أه امشي خطوة لقدام"لم تستطع فهم ما تقرأه بعد من الذي يعبث معها هكذا؟ هل حقاً جود قد عاد؟ هل هو من يفصل ذلك تلفتت حلوها ولم تجد شيء مرةً أخرى فقررت أن تخوض تلك التجربة الغامضة للآخر، سارت كما طلب منها فوجدت بطاقة أخرى فوق الطاولة الثانية التي أمامها "فيكِ نفس تكملي السكة معايا لآخرها؟ لو أه امشي خطوتين لقدام...ابتدأ صبرها ينفد ولكنها احتملت وسارت أيضًا خطوتان إلى الأمام لتصبح أمام الطاولة الثالثة والأخيرة فلم تجد هذه المرة أي بطاقات فشعرت بأنها وضعت في مزحة سخيفة فاستدارت إلى الخلف لتنصرف قبل أن تفقد أعصابها التي كادت على الانهيار لتجد كلمة إضاءات أمامها على شاشة العرض وقبل أن تنطلق حروفها وجدته أمامها ينطقها بصوتٍ هامس شعرت وكأنها تتوهم رؤيته أمامها في تلك اللحظة" كم أنتِ مثيرة للشفقة الآن يا فريدة أصبحتي تتهيأي رؤيته وتتخيلينه أمامك ويحدثكِ أفيقي هو ليس هنا"

ولكن مهلًا إن كان ذلك حلمًا يد من هذه التي تحتضن يدي اتسعت حدقة عيناها في ذهول عندما رأته ينحني أمامها على ساق واحدة وبيده خاتم صغير يحتل فوقه نجمة فضية لامعة وكأنه أصبح نجمهم الخاص هو شريكههم في جميع لحظاتهم السعيدة، ظلت صامتة واجمة لا تنطق بأي شيء حتى تشك أنها تتنفس.

ابتدأ في تكرار جملته بصوت مدوي في الأرجاء "تتجوزيني" لتنفجر ضاحكة ودموعها تتساقط بغزارة بعدما تخلى عن رومانسيته وأخبرها أنه لا يستطيع أن ينتظر المزيد من الوقت فأعصاب ساقيه تؤلمه من جلوسه في تلك الوضعية.

نظرت له لدقائق تتأمل ملامح وجهه تتفقد تلك التفاصيل التي تغيرت بعد مرور عام كامل حرمت من النظر إليه، ربما لو تركوها تنظر له مئة عام قادمة لن تشعر بالتعويض في مقابل تلك السنة ولكنها فاجئته بردها حين جذبته من رابطة عنقه السوداء.

-أنا استنيت سنة وأنت مش قادر تستنى عشر دقايق على ركبتك.. طيب يا جود أنت مش هتقوم غير لمّا أنا أفكر شوية إيه رأيك بقى.

-يعني أنا طالع عيني في تحضير المفاجأة وشقلبتلك المكان إللي بتحبيه وغيرت ملامحه عشان أفاجئك واخترت أكتر مكان أنتِ بتحبيه وتقولي لي كدة.

-إيه ده استنى صح أنا إزاى مخدتش بالي إن ده المكان إللي اتقابلنا فيه قبل كدة..فاكر آخر مرة شفتك هنا بكتني إزاي وطلعت عيني.

-ما بلاش سواد بقى انسي أنا صلحت غلطتي أهو وعملتلك ذكريات جديدة فيه عشان يبقى أول بداية للحظات الحلوة بينا... وبعدين سيبك من كل ده، ناوية تردي على الغلبان إللي واقف قدامك ده امتى؟؟

-ممممممممم افكر.

- بقى كدة طيب ماشي جنان بجنان بقى.

-أنتَ يا مجنون استنى هنا رايح فين؟؟؟!!

-أنا ما عنديش وقت أضيعه في التفكير يلا بينا على سمسمة أنتِ فاكرة إنك هتعرفي تهربي مني ولا إيه.

هناك بعض اللحظات من السعادة التي تستطيع أن تنسينا جميع ما مررنا به لأعوام كاملة، لحظات يتوقف الزمن بها لننسى كل شيء ونستمتع فقط بالحَاضر بتلك اللحظة وتفاصيله ذلك الشعور الذي يظل بداخلنا ربما لو أخبرها أحدٌ يومًا ما أنها ستعيش مثل تلك اللحظات لكانت أصابتها نوبة حادة من الضحك الهستيري وابتدأت في انتقاد الفكرة وسخافتها ولكن أكثر الأشياء التي لم تتخيل قط أن تحدث لنا هي التي سبب حدوثها إلينا أكبر مما نتوقع...لم تستطع المناورة أمامه ولا إيقافه ظلّت تسير بجانبه بعدما جذبها من يديها مصطحبًا إيّاها إلى جدتها ليطلب منها رسميًا إعلام خطبتهم.

في نهاية اليوم ظلّت تتجول في غرفتها ذهابًا وإيابًا تارةً تنظر من

النافذة وتارةً أخرى تذهب إلى مبرد الطعام تنظر إليه دون أن تأخذ منه شيئًا وكأنها قد نسيت ما قد أتت لتبحث عنه، كثيرٌ من الطاقة تملؤها كلما استعادت تفاصيل يومها بداية من إلحاح سارة المدبر لتبديل مظهرها انتهاءًا بعودة جود لتجد نفسها خلال لحظات تستعد لمراسم خطبتها من الشخص الوحيد الذي احتل قلبها كل هذه الأحداث تشعرها بالجنون هل هلى تحلم أم هذا حقيقي؟ هل من شدة معاناتها في الفترة السابقة تتخيل هذا السيناريو أم بالفعل هذا ما حدث؟!...لم تطمئن إلا عندما شعرت بجدتها استفاقت من نومها وأخبرتها أن كل ما يحدث حقيقة وإن عليها الذهاب إلى النوم إذا ما أرادت أن تبدو كدب الباندا غدًا عندما يراها جود فاستمعت إلى نصيحة جدتها وذهبت على الفور كطفلة صغيرة مطيعة.

***

يشعر بشيءٍ ما مختلف يحدث بداخل شركته في هذا اليوم ولكنه لم يكترث للأمر كثيرًا فهو يدرك الشباب وحماسهم الزائد واهتمامهم بالحديث عن مباريات الكرة وعروض الأزياء تلك التي بالنسبة له ليست أكثر من تفاهات.

مع بداية الاجتماع رأى الجميع من حوله يتهامسون وينظر كل منهم إلى الآخر في فضول..ف قرر أن يضع حدًا إلى تلك التصرفات الغريبة ولكن دخول شخص مجهول بعد إغلاق الباب كان الإجابة المنتظرة عن جميع ما يحدث.

حاول أن يبدي عدم اهتمامه بالشخص القادم وبدأ في الحديث بصوتٍ هاديء ونبرة روتينية كما يتحدث في العادة، مميز هو في أسلوبه الهاديء والفاتر تكاد تشعر معه بالنعاس ولكن نظرته الثاقبة تجعلك منتبهًا حتى وإن كنت لا تفهم ما يقال وكأنه العجوز الشرير في أحد أفلام الكارتون عندما تراه من بعيد تشعر بالشفقة لإجله ولكن عندما تقترب وترى ضحكته الماكرة ذات الأنياب اللامعة يدب بداخلك الرعب والهلع والندم عن انطباعك السابق.

***

صوت عجلات حقيبة سفرها فوق طرقات صالة المطار يشعر قلبها بالنشوة والسعادة تكاد لا تصدق أن ما يفصلها عن تحقيق حلمها بضع لحظات فقط ...كثيرًا ما نسجت بضع السيناريوهات لذلك الحلم في خيالها لم تعتقد أنها لديها القوة الكافية لتحقيقه...ربما من أهم الأشياء التي حدثت لها بسبب دخول شريف إلى حياتها هي أنها استطاعت أن تفهم نفسها حقًا وتدرك ماذا تريد في هذه الحياة وربما هذا أكثر الأشياء التي ستظل تشكره من أعماقها لإجله.

عندما رأته مقبلًا أمامها وهو يركض شعرت بنبضات قلبها تتسارع، لم تتوقع وجوده في هذا التوقيت...بعدما وقف لدقائق يلتقط أنفاسه وهو ينظر لها بابتسامة مختلفة ربما ترى تلك الابتسامة على وجه شريف لأول مرة منذ أن عرفته

-الحمدلله إني لحقتك...كدة كنتي ناوية تمشي من غير ما تسلمي

عليّا؟

-معلش أنا عارفة مشغولياتك في الشغل فمحبتش أعطلك.

-مممم...مش عارف إيه بيتقال في لحظات زي دي بس كل إللي حاسه إنك هتوحشيني.

-شريف أنا...

-عارف كل إللي عاوزة تقوليه عارفة أنا مش جاي دلوقتي أضغط عليكِ أو اترجاكِ إنك تفضلي..أنا بنفسي بقولك سافري لفي الدنيا حققي حلمك...أنا متغيرتش أه بس على الأقل ابتديت أحاول أفهم إللي بتحسي بيه.

-بجد مش عارفة أقولك إيه...بس من قلبي بقولك شكرًا على كل حاجة عملتها عشاني شكرًا إنك خلتني افهم نفسي.

-لو فعلًا عاوزة تشكريني روحي حققي أحلامك ولما ترجعي خليني أشوف عينيكِ بتضحك زي أول مرة شوفتك فيها...إحنا جايز نكون سيبنا بعض وكل واحد راح في طريق مختلف بس إللي متأكد منه إني هبقى فرحان وأنا بتابع أخبارك ونجاحاتك وهكون فخور بيكِ دايمًا وفرحان لنجاحك.

ترك عيناه تحتضنها في صمت وهو يراها تختفي وسط تلك الجموع متخذة طريقها إلى باب الخروج المقابل...صالات المطار ذلك المكان المليء بالقصص والأحداث التي تصلح لأن تحّول إلى أفلام سينمائية.

هناك تجد الطفل الصغير يطوق عنق والده بذراعيه الاثنان متشبثًا وكأنه يرتجاه عدم الرحيل..وفي الجانب الآخر هناك صديقان يستعدان لبدأ تحقيق حلمهم القديم وبجانبهم تلك الزوجة التي تركض في لهفة طفلة صغيرة نحو زوجها الذي عاد بعد أعوام من الصبر والانتظار... أصدق المشاعر وأعمقها تلك التي تخرجها في لحظات وداع من نحب أو مقابلتهم بعد غياب..فعندما تتلاشى جميع حواجز الكبرياء ويبقى بداخلنا فقط ما نشعر به من أعماق قلوبنا تجاههم فالوقت عندما ينفد منا تكثر الاعترافات التي كثيرًا ما كنا نأبى أن نخبرهم بها ولكنها تخرج في سلاسة وندم ونحن نتركهم خلفنا ونتمنى لو كان لدينا المزيد من الوقت لأخبرناهم بجميع ما في داخلنا ولكنها تبقى دائمًا هكذا فهذه هي قوانين الحياة لا ندرك أهمية ما لدينا إلا حينما نكون على أعتاب فقدانه.

***

عقب انتهائه من طرح المخططات القادمة للشركة استراح في جلسته إلى الخلف معطيًا لبصره فرصة أكبر لرؤية جميع من في القاعة متفحصًا معالمهم التي يقتنص منها كلامهم غير المنطوق..بعدما انهى اثنان من القسم التنفيذي في إبداء آرائهم شعر جود أن تلك هي لحظته المناسبة فعلق قائلًا:

-أنا شايف إن شغلنا مع شركة الفاروق خلال السنة دي محققش نسبة أرباح مرتفعة زي ما قسم التخطيط كان متوقع وإن مواردنا

استهلكت قدر أكبر من المتوقع وعلى الناحية التانية تعاملنا مع شركة الأهرام زاد ٣ أضعاف نسبته في آخر سنتين ومن غير ما التكلفة تزيد أو العقد معاهم يحصل فيه أي تعديلات واعتقد إن دي فرصتنا عشان نعمل شغل أكبر معاهم..وأنا شايف إن ده الوقت المناسب عشان نكبر القسم الخارجي لشركتنا في فرنسا واليابان.

لاقى كثيرًا من الاستحسان ممن حوله بنظراتهم المليئة بالانبهار من حديثه وكأنه لم يغب عنهم لعام كامل...ولكن الوحيد الذي لم يبدِ سعادته أو تقبله هو والده فحاول النيل منه أمامهم جميعًا.

-إحنا لحد دلوقتي معندناش مختصين في دراسة السوق الخارجي عشان نكبر استثمارتنا وإحنا متطمنين بلاش طيش شباب وحماسة لخطوة غحنا مش قدها.

ابتدا صوت الحوارات الثنائية والهمسات تتعالى ملقية اعتراضها عن أسلوب رئيسهم ولكن جود استطاع في سرعة استعادة انتباههم وإعجابهم بإبدائه ابتسامة مليئة بالثقة بعدما طرق بكلتا يداه فوق طاولة الاجتماع ناهضًا بعدما ترك شيئًا ما يحمل بداخل حاسبه الآلي النقال وابتدأ في التحدث وهو يتنقل في حركة دائرية من خلفهم جميعًا واضعًا يده فوق كتف كل أحد منهم على حدة ذاكرًا اسمه في سرعة وترحاب حتى انتهى به المطاف عائدًا مكانه.

-قبل ما انتقل بيكم في تفاصيل مشروعنا الجديد برا وبالتحديد فرنسا مع شركة كبيرة للأجهزة الرياضية وأشارككم كل التفاصيل

والدراسة إللي اتعلمت عنها...حابب أشكركم جدًا كل واحد هنا في القاعة قلت اسمه وبشكل شخصي شكرًا على حياتكم إللي إدتوها للشركة وعلى إخلاصكم أنا عارف إن جوة كل واحد حلم تاني بجانب شغله هنا وإن ياما بسبب الشغل جيتوا على حياتكم وأحلامكم..أنتوا قوة الشركة وأنا فخور إني بشتغل مع كل واحد فيكم وأتمنى يجي اليوم إللي أشوفكم محققين فيه كل أحلامكم بنجاح زي ما بتدوا دايمًا الشركة دي النجاح والقوة.

***

بعد خروجه من قاعة الاجتماع وجد كثيرًا من المكالمات الفائتة فريدة تحتل المركز الأول في عددهم يأتي بعدها والدته فمن المؤكد أنها علمت برجوعه إلى الوطن وتتوق إلى رؤيته ولكن ذلك الشخص الثالث هو أهمهم في تلك اللحظة.

-صباح الفل...جاهز للي اتفقنا عليه؟

-كله جاهز يا جود..أنا كنت مستني اللحظة دي من زمان وكنت متأكد إنها هتيجي.

انهى مكالمته تلك سريعًا وأخذ نفسًا عميقًا وهو ممسكا بيده مقبض الباب قبل أن يسحبه إلى الأسفل ويدخل إليه.

نظر له كعادته بابتسامة مليئة بالسخرية وأخبره وهو يشعل سيجاره الكوبي المستورد:

-فاكر إن الشويتين إللي عملتهم جوا هيجبروني إني أقبل برجوعك للشركة.. أنا مش بتصرف بمشاعري هتضحك عليّا بكلمتين زي الموظفين إللي هنا.. أنا ما يهمنيش غير الأفعال والنتايج دايماً.

-ممكن اسألك سؤال.. هو أنتَ بتكرهني أوي كدة ليه؟

-سؤال ساذج من شخصية جبانة.. مفيش أب بيكره ابنه بس أنا عاوز أشوفك قوي، لكن الظاهر كدة مفيش فايدة.

نهض جود وانحنى فوق ذلك المكتب العاجي واضعًا وجهه في وجه والده طارقًا بيده طرقات مليئة بالغضب

-وهو الضرب والعقاب وحرمان طفل من أبسط حقوقه في اللعب والطفل زي باقي الأطفال دي طريقتك في تعليمي؟!

بهت والده في موقعه وازدرد ريقه في دهشة.. فأدركها جود:

-أيوة أنا افتكرت كل حاجة ذاكرتي رجعتلي عارف يا بابا أنا كنت طول الوقت مستغرب من الجفا والمسافة إللي بينا إللي مكنتش فاهم سببها ولما رجعتلي ذاكرتي وافتكرت كل مواقفك المخيفة والحزينة معايا دايرة استفهامي زادت أكتر.. وللأسف مش لاقي أي إجابة تخليني أقبل إللي عملته معايا.

-أنا كنت زيّك كدة طموح ومنطلق وبحب إنسانة ورتبت كل تفاصيل حياتي معاها بس جدك الله يرحمه كسرلي كل مراكب أحلامي على شط الواقع وبمنتهى الذكاء قدر يخليني استسلم قدامه واسلمله

الدفا...كرهت ضعفي قدامه وحلفت أطلعك أقوى مني ومن الناس ومن الظروف.

فانطلق في وجهه باكيًا:

-بس أنا مش أنت يا بابا...دي حياتي مش حياتك إزاي سمحت لنفسك ترسم لي كل تفصيلة فيها ...إزاى إديت لنفسك الحق تختار بالنيابة عنّي وتحرمني من طفولتي ومن شخصيتي ومن نفسي.

-افهم يا غبي أنا كنت بحميك، كنت عاوزلك الأحسن.

-مش عاوزوا سيبني أغلط واتعلم، سيبني افهم من نفسي اقع وأقوم...دورك إنك تسندني وتوجههني مش تحركني بخيوط زي العروسة الماريونيت...بسببك أنا قضيت جزء كبير من عمري ضايع ومشوه ومريض أيوة مريض...كنت دايماً بتجرحني بكلمة جبان بس تصدق فعلًا دي الحقيقة أنتَ طلعتني جبان خايف أعيش حياتي، عارف إنك ولا لحظة حسيت فيها بالندم على إللي أنتَ عملته فيّا لإنك طول الوقت مقتنع إنك أنت الصح...بس للأسف اسمح لي أقولك إنك أكبر غلطان في الدنيا دي.

-أنتَ هتفضل بالنسبالي أبويا إللي بحترمه..يمكن مش عارف أحبك بس عمري ما هكرهك، أتمنى إللي جاي يكون فرصة جديدة بينا جايز وقتها نبدأ نفهم بعض ونتعلم إزاي نتعامل مع بعض..عن إذنك.

انطلق سريعًا من مكتبه وهو في أقصى لحظات ضعفه ولكنه يشعر

بقدر كبير من الارتياح بعدما أزاح آخر حجر من ذلك الهرم الصخري الذي وضع فوق أكتافه طوال تلك الأعوام..أخيرًا انتهت الأحجية الغامضة وقطعة البازل المفقودة قد عادت إلى موقعها واكتملت لوحة حياته أمام عينيه، نظر مطولًا إلى سيارته قبل أن يقرر الذهاب قام بإغلاقها مرة أخرى وأشار إلى إحدى السيارات ليقرر استقلالها ليضع كافة تركيزه في مهمته التالية.

***

أزعجها صوت اهتزاز هاتفها فاستيقظت بإجفان مليئة بالنعاس لتقفز خلال لحظات معتدلة في جلستها في اندهاش ثم وضعت هاتفها بجانبها وألقت ضحكة بلهاء مليئة بالكسل قبل أن تسقط رأسها فوق الوسادة مرة أخرى لتعود إلى عالم أحلامها لم يمر إلا ثوانٍ قليلة حتى نهضت مرة أخرى ناظرة لهاتفها لتخرج مهرولة تحدث نفسها "مجنون... أكيد بيهزر...مجنون"

-ماشية حافية ويتكلمي نفسك لا يا فريدة أنتِ اتجننتي رسمي.

-سمسمة أنا مش فاهمة حاجة أنا شكلي اتجننت فعلًا خلاص.

-وهو في واحدة تتجنن يوم خطوبتها برضه؟!

-لا ثانية واحدة كدة معلش يوم إيه ؟!!...يا جماعة هو أنا إللي اتجننت ولا أنتوا إللي قاصدين تجننوني، خطوبة مين يا سمسمة بلاش هزار ويلا حضري لي الفطار.

اقتربت إليها جدتها واضعة وجه فريدة بين كفيها تتأمل ملامحها بعينين تملؤها الدموع لتمشط فوق خصلاتها...مش قادرة أصدق إني عيشت لحد ما أشوفك منورة بالفستان مع الإنسان إللي يحافظ عليكِ وأنا مطمنة عليكِ معاه.

جففت قطرات الدموع المتساقطة فوق وجنتيّ حفيدتها مقبلة رأسها

-يلا بقى عشان منتأخرش ورانا حاجات كتير.

-الكوافيرر والقاعة والفستان كل ده هنلحق نجهزه امتى...أنا مش فاهمة أي حاجة!

-بالنسبة للقاعة جود حاجز ومحلفني مقولكيش المكان...والكوافير ميعادنا معاه كمان ساعة لو بطلتي رغي وخلصتي فطارك بسرعة هنروح بدري.

ركضت سريعًا إلى غرفتها دون تريث كطفل يركض نحو الهدية التي منحها إياه والده بمناسبة تفوقه في عامه الدراسي...اصطدمت أنامل قدمها بالمقعد فأكملت خطواتها الأخيرة بساقٍ واحدة وهي تصيح من شدة الألم والفرحة وكأنها تؤدي إحدى الرقصات الأفريقية..ظلت تتأملها علبة بيضاء أنيقة عليها بضع الكلمات الفرنسية مغلقة بشريط أنيق من الستان الأسود وفوق منه بطاقة ذهبية صغيرة وبجانبها وردة حمراء في أوان توهجها كعادته كان مختصرًا في كلماته بداخل تلك البطاقة "اسمحي لي أكون نجمك الليلة دي..بحبك".

***

في موعده المحدد أتى لاصطحابها قبلٍ أن يخرج من سيارته ألقى نظرة سريعة إلى هيئته في مرآتها الأمامية محاولًا تعديل وضعية البيبون... يحاول منع يده من نزعها لا يجيد ارتداء تلك الأشياء يشعر معها بالاختناق ولكنه سيتحملها هذه المرة فلنٍ يجد مناسبة أهم من تلك لارتدائها فاليوم يشعر كأنه أكثر إنسان حظًا في هذا الكوكب.

نظر نظرة أخيرة إلى انعكاسة نفسه في زجاج مركز التجميل بدلته السوداء الإيطالية ذات الياقة الرفيعة الطويلة وذوقها الكلاسيكي ذات الطراز الأنيق تضفي معها ذقنه الطويلة شيئًا من الجاذبية بضع ثوانٍ مرت حتى استمع إلى خروج أحدهم من المكان فارتفع بمستوى بصره ببطأ يتأمل ذلك الملاك الذي يراه أمامه.

فستانها الطويل بلونه السماوي الذي يميل إلى الاخضرار، أكتافه الرفيعة تساقطت من مكانهم قليلًا تاركة موقعها لتبرز عظمتي الترقوة لديها جمالًا فائقًا، مجتمعة بعض الورود الصغيرة المزين بها الجزء العلوي من الفستان بتصميمه الذي يمتاز بطبقات من الحرير التي تنساب في حرية وسلاسة من أعلى خصرها إلى نهايته أرضًا يفترش بضع سنتيمترات أسفل قدميها.

منذ اللحظة التي وقعت عيناه عليه بأحد دور الأزياء في باريس قرار إهدائه لها، كان يتخيلها ترتديه ولكنه لم يكن يدرك أنها ستضفي بروحها الجميلة سحرًا إضافيًا يفوق سحر الفستان بكثير.

تنحنحت ليكف عن التحديق بها هكذا واضعة إحدى خصلات شعرها بتسريحته المموجة المنسدل فوق كتفيها خلف أذنيها في خجل يظهر بشدة على وجنتيها الشديدة الاحمرار، أخذ يدها برفق واضعًا قبله صغيرة بداخل كفها اليمنى ناظرًا إلى عينيها العسليتين وكيف جعلت منهم أشعة الشمس نيزكًا يمكنه أن يخترقك نورًا ونارًا من شدة توهجه.

-أنا كنت فاكر إن أنا إللي لقيتك بس تقريبًا كدة أنتِ إللي لقيتيني... مش ناوي أوعدك بكلام كتير بس من اللحظة دي وكل لحظة هتجمعنا هتبقى في حد ذاتها هي الوعد إللي ما بينا، الوعد إللي يخليني أعيش عشان أشاركك إللي جاي والنهاردة آخر يوم في الأسرار يا فريدة، آخر يوم أكشف لك فيه عن آخر ركن في الكهف المهجور إللي أنتِ دخلتيه وشقلبتي كِيانه.

-جود أنا...

-حاسس بكل إللي أنتِ عاوزه تقوليه، مشاعرك المتلخبطة وصلالي...أنا بس ليا عندكِ طلب نأجل أي كلام ما بيننا لحد ما تشوفيني بالكامل وتقرري أنتِ عاوزة تقولي لي إيه.

-تاني يا جود تاني غاوي تتعبني يا جود...افكر يوم خطوبتنا، بعد كل ده شايف إن أنا لسة مترددة؟!

-لا يا حبيبتي مش قصدي..أنا حابب إني أكون حقاني معاكِ واخليكِ تشوفيني بكل تفاصيلي قبل ما تقرري تدخلي الكهف المهجور وتقابلي الوحش إللي فيه...يلا مش عاوز اسمع أي كلمة تاني.

أشار بيده إلى السيارة معطيًا انحنائة صغيرة كنوع من الاحترام إلى أميرته وذهبا سويًا بسيارته.

***

عقب وصولهما وجد شريف بانتظارهما أمام المدخل ومعه أستاذ منصور فأشار برأسه إلى صديقه لاصطحاب فريدة إلى الداخل لم تدرك بعد هي مالذي يحدث ولكنها تشعر أنه ليس بالوقت المناسب للسؤال فسارت للداخل بصحبة شريف ومع كل خطوتين تتخذهم تنظر خلفها تتفقد جود سريعًا حتى أصبحت بالداخل، وجدت حولها كثير من الحضور مجتمعين مجموعات صغيرة فوق الطاولات البيضاء والقليل من الياسمين والورود الصفراء يفترش فوقها بأناقتها تفحصت وجوه الجميع، ترى جدتها أمامها تجلس بجانب عائلة سارة تشعر بالحزن الشديد؛ لأن صديقتها خارج البلاد ولا تستطيع مشاركتها أهم لحظات حياتها، وهناك في الأمام بجانب شريف والد جود ووالدته أحنت رأسها في خجل لتحييهم كانت تنوي الذهاب للجلوس معهم ولكن شريف قد أخبرها سابقًا أن تبقى مكانها حتى انتهاء جود مما يريد فعله.

أمامها كثيرٌ من الوجوه التي رأتهم سابقًا بالشركة أثناء ذهابها وأيضًا هناك بعضًا من زملائها بالمجلة جود قد احضر إلى خطبتهم حقًا جميع الأشخاص المقربين إلى فريدة لم ينسَ أحدًا حتى زملائها ولكن مهلًا من هؤلاء الأشخاص بالأمام ما هذه الكاميرات التي بصحبتهم، ترى كثيرًا من الأوراق بأيديهم يقرأونها ويتحدثون مع بعضهم ووجوههم

تعكس انطباعات مليئة بالجدية.

تملكها الفضول لفهم ما يحدث حولها حتى وجدته يمسك بإحدى الميكروفونات مصدرًا بسببابته بعض الطرقات القوية فوق الميكروفون مصدرًا صافرة قوية من السماعة ليستحوذ على انتباه الجميع.

-كل واحد موجود هنا دلوقتي مهما كان السبب إللي جاي عشانه حابب أقوله شكرًا....مفيش حد في القاعة دي وجوده صدفة..كل واحد أنا كنت قاصد وبشكل شخصي أشاركه في اللحظات دي مش حابب أطول عليكم أكتر من كدة...أو بمعنى أصح بحاول أرتب الكلام ع قد ما اقدر اعذروني الببيون مكتفاني شويه.

شجعته نظرات من حوله في استطراد ما سيقول:

-حابب أعلن وبشكل رسمي إني الكاتب إللي مطلع عينكم أنا "يوسف منصور"

ساد الصمت أرجاء المكان ثم تعالت الأحاديث الجانبية البعض ينظر له في ذهول والآخرون بإعجاب، حاول ألّا يركز كثيرًا في ردود أفعالهم كي ينهي ما بدأ فيه

تنحنح قليلًا ليخبرهم أنه لم ينتهِ بعد من حديثه:

-عارف إن في اسئلة كتير بتدور في دماغكوا دلوقتي وإن شاء الله ناوي أجاوب عليها واحد واحد بس ممكن نكتفي بسؤالين منهم دلوقتي وأنا عارف إن اغلبكم بتفكروا فيهم...

حاول تغيير نبرة صوته ليبدو وكأنه يجري حوارًا مع نفسه:

-ليه كتبت تحت اسم مستعار؟

-اممم...أنا مش أول واحد اكتب تحت اسم مستعار، دايمًا بيبقى للكاتب وقتها أسبابه إللي بتختلف من واحد للتاني...بس بالنسبالي أنا مكتبتبش باسمي عشان كنت خايف...خايف كتاباتي متعجبش الناس...خايف أبطل اكتب...خايف ما كنش قد حلمي...الخوف إللي بيخليك في صراع ما بين نفسك الحقيقية ونفسك إللي بتحاول تكون عليها عشان ترضي إللي حواليك، كنت فاكر إني لمّا هكتب باسم مستعار هعرف أحقق وأوزن بين الاتنين.

-طيب واشمعنا النهاردة قررت تكشف عن شخصيتك الحقيقية بعد رفضك الطويل عن كل اللقاءات؟

-مش هكدب عليكم وأقول كلام كبير واتفلسف...بس ممكن نقول إني حسيت إن ده أنسب وقت، عارفين لمّا تيجي اللحظة إللي تحسوا فيها "هي دي" اللحظة إللي عقلك بياخد فيها القرار وقلبك مرتاح رغم إن دقاته بتزيد بس رجليك من غير ما تحس بتاخد خطوة في القرار ده لقدام...

بهت جميع الحضور تكاد تستمع إلى أصوات أنفاسهم من شدة الصمت والتركيز عندما وجدها اختفت من بين الحضور أدرك ردها.

نظر إلى الأرض لحظات متحيرًا حتى رفع رأسه ليترك الميكروفون

وينهي حواره عند ذلك الحد ولكنه تفاجأ بها تلوح بكلتا يديها رافعة لوحة خشبية مهترئة مرسوم فوقًا منها قلب صغير كتبت فوقه بخط متعرج "بحبك حتى لو كنت مخيمر" تعالت ضحكته والدموع تتساقط من عينيه أخذ نفسًا طويلًا ثم قرّب الميكروفون مرة أخرى بنبرة عالية...

-بيقولوا إن كل واحد في حد هيجي يوم ويقابلوا ووقتها هيكتشف إنه كان عايش عشان مستني..من اللحظة إللي قابلتها فيها وعاوز أقول لكم إنها مكنتش لحظة رومانسية إطلاقًا

تعالت ضحكات الجميع فأكمل هو:

- كل موقف وكل لحظة جمعت ما بينا كانت مليانة حزن وعناد أكتر بس بالرغم من كدة الحب إللي لقيناه في بعض خلّانا نوصل للحظة دي دلوقتي سوا مش هبالغ بس تقريبًا من غير فريدة يمكن مكنتش هعرف أقف دلوقتي وسطكم واتكلم بالشجاعة دي، الحب بيشفي، الحب بيسند...الحب بيشارك في المرض قبل الصحة والزعل قبل الفرح...

مش عارف أنا المحظوظ عشان لاقيتك ولا أنتِ إللي حظك وحش عشان قابلتيني بس في كل الأحوال خلاص أنتِ اتدبستي قالها بنبرة ضاحكة كطفل صغير.

-فريدة شكرًا إنك بعد عشر سنين كاملين قدرتي تلاقيني أو بمعنى أدق تسمحي لي ألاقيكِ وألاقي معاكِ نفسي.

أنهى كلمته ووعد جميع الصحافيين والمراسلين أنه سيقوم بتحديد

موعد خاص لاستكمال مقابلته معهم وإجابتهم عن جميع تساؤلاتهم.

حل الظلام وافترشت السماء بضوء القمر الخافت ليضفي سحرًا خاصًا لتلك الليلة المبهجة، ذهب إليها ليجدها شاردة في عبوس بجوار جدتها فأصدر صافرة في أذنيها ليشاكسها ظنًا أنها هكذا بسبب تركه إياها وحيدة ولكنها أخبرته عن حزنها لعدم وجود سارة إلى جانبها اليوم فأخذها من يدها وتحركا إلى الأمام بضعة خطوات دون أن يفسر لها شيئًا ثم أشار إلى شاشة بيضاء كبيرة فظهرت سارة أمامها، صاحت فريدة والدموع تتساقط من عينيها

-بخ أنا هنا...أنتِ فاكرة عشان أنا مش في مصر مش هحضر خطوبتك يا هانم ولا إيه ....أنا معاكِ من أول اليوم ومتابعة الأحداث، جود رتب كل حاجة من الأسبوع إللي فات...نظرت له نظرة عابثة لإخفائه ذلك عنها ولكمته بضع لكمات حتى قاطعتهم سارة:

-بس انتوا هتبتدوا تضربوا بعض من دلوقتي استنوا حوشوا شوية لبعد الجواز فتعالت ضحكاتهم جميعًا.

-جود مش هوصيك على فريدة..مش عاوزاها تقلب فيلم عربي قديم بس من الآخر لو زعلت البت أنا هاخد أجازه وآجي أنكد عليك أنا بقولك أهو...يلا أنا بقول كفاية عليكم كدة مش هتقضوا الخطوبة كلها بتتكلموا معايا دي ليلتكم انبسطوا شوية وعوضوا كل الوجع والتعب إللي فات ربنا يخليكم لبعض..باي.

قاربت السهرة على الانتهاء ولكنهما ظلوا يتراقصان على أنغام

أغنيتهم المفضلة

a thaousand years "

The day we met frozen

I held,my breath

Right from the start

iknew that I'd found a home for my heart beats fast

Colors and promises

How ro be brave

How can a live when I'm afraid to fall

But watching you stand alone

.. All of my doubt suddenly goes away somehow

One step closer

همس متسائلًا فأجابته بابتسامه طفولية:

ده الروج بتاعي^^...لما خلصت كلامك كان نفسي اطلع اجري عليك وأقولهم ده حبيبي بس خفت من ردة فعل الناس ما أنا بقيت حبيبة رجل مهم وغمزت له لتمنحه بعض الغرور، فكان لازم اتصرف عشان أرد عليك وهنا بدأ عقل الأنثى الجهنمي يشتغل

-أنا قلت برضه البنات دول ميغلبوش أبدًا.

رفعت أحد حاجبيها في اعتراض وأجابته في ثقة:

-إحنا جدعان أوي خاف على نفسك يا كابتن.

-وبقيت كابتن كمان ماشي همشيها لك النهاردة.

رفع يدها اليمنى وأمال برأسه ليضع فوقًا منها قبلة.. ليتفاجأ بها تصيح في دهشة جعلته ينتفض من مكانه لردة فعله فسألته:

-صح أنت قلت عشر سنين.. إزاي عشر سنين أنت الأرقام عندك مختلفة ولا إيه؟.. إحنا يدوب نعرف بعض من سنة وشهرين وخمس أيام!

كاد أن يسقط أرضًا من نوبة الضحك الهستيرية لطريقتها الطفولية البريئة وكيف حولت ذعره إلى موقف ساخر.. ضاق بعينيه لينظر لها مطولًا ثم ابتسم قائلًا:

-لسة مش قادرة تفتكري مين إللي طلعك بره العربية يوم الحادثة؟!

اتسعت حدقة عينيها في دهشة واستيعاب لما يقول فابتسم محتضنًا إياها بقوة متمايلين على أنغام الموسيقى.

Time stands still

Beauty in all she is

I will be brave

I will not let anything take away

What’s standing in front of ,e

Every breath

Every hour has come to this

....

I have died everyday waiting for you

Darling don’t be afraid I have loved you

For a thousand years

I’ll love you for a thousand more

And all along I believed I would find you

Time has brought uor heart to me

I have loved you for athousand years

i’ll love you for a thousand more